مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic Studies and Humanities

جامعة نزوى
University of Nizwa

مجلة الخليل للدراسات اللغوية والأدبية

Al-Khalil Journal for Linguistic and Literary Studies

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
Semi-annual peer-reviewed scientific journal

المجلد التاسع | العدد الرابع عشر - أكتوبر ٢٠٢٤

المجلس التوجيهي لمجلات الخليل بجامعة نزوى

رئيس جامعة نزوى

نائب الرئيس للدراسات العليا والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

مدير مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية

رئيس التحرير
د. يعقوب بن سالم آل ثاني
أستاذ النحو والصرف المساعد، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
yalthani@unizwa.edu.om

مدير التحرير
د. شفيقة وعيل
أستاذ الأدب الحديث مشارك، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
chafika.ouail@unizwa.edu.om

هيئـــة التحريـــر
أ.د. سعيد جاسم الزبيدي
أستاذ النحو والصرف، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
said.alzubaidy@unizwa.edu.om

أ.د. هاني أبو رطيبة
أستاذ النحو واللغة، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
hani.ismail@unizwa.edu.om

د. مسعود بن سعيد الحديدي
أستاذ النحو والصرف مساعد، رئيس قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
alhadidi@unizwa.edu.om

د. بدر هلال اليحمدي
أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
alhadidi@unizwa.edu.om

د. سالم بن علي البوسعيدي
أستاذ علم اللغة الماعد، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
salimalbusaidi@unizwa.edu.om

د. مريم بنت سالم البادية
أستاذ النقد الأدبي المساعد، قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى
shalbadi@unizwa.edu.om

منسق التحرير
محمد بن علي الإسماعيلي
محرر ومدقق لغوي، مكتب النشر
دائرة الإعلام والتسويق – جامعة نزوى
mohammed.ali@unizwa.edu.om

التصميم والإخراج الفني
فاطمة بنت سالم الخروصية
منفذة ومصممة
alkharousifatima@gmail.com

الفهـــــــرس

العـــــدد	العنـــوان	الصفحـــة
١	**كلمة العدد**	٤
٢	**مِنَ الْوَسَائِلِ اللغَوِيَّةِ لإطالةِ بناءِ الجُمْلةِ بينَ المَرّارِ بنِ مُنْقِذٍ وأمل دُنْقُل** أ.د فضل يوسف زيد/جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها	٥-١٩
٣	**دور لغة الخطاب الإعلامي العُماني في تمكين المرأة العُمانية** روان بنت سعيد الذهلية/كلية التربية، طالبة بكالوريوس في تخصص اللغة العربية - جامعة السلطان قابوس د. زاهر بن بدر الغسيني/ أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السلطان قابوس	٢٠-٢٩
٤	**الشخصية في رواية «درب المسحورة» للروائي: محمود الرحبي** د. حمود بن عامر الصوافي/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قسم البحوث - جامعة نزوى زائرا	٣٠-٣٧
٥	**كتاب الجمل التي لا محل لها من الإعراب لسامي الكندي (دراسة نقدية)** أ. إبراهيم آل ثاني/ وزارة الداخلية	٣٨-٥٤
٦	**دراسة تأثيلية للألفاظ المتعلقة بحرفة الصناعات السعفية في محافظة شمال الباطنة بسلطنة عُمان** د. موفق الحسن محمد/جامعة صحار د. علي بن سالم المانعي/جامعة صحار د. علي بن حمد الريامي/ جامعة التقنية والعلوم التطبيقية - صحار	٥٥-٦٤
٧	**المرأة وتمثّلاتها في الخطابين السنّي والشّيعيّ** د. محمود بن حمد الرواحي/ جامعة الشرقية	٦٥-٧٢

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فيسرُّ مجلة الخليل للدراسات اللغوية والأدبية أن تقدِّم بين يدي القراء العدد الرابع عشر، وقد تضمن ستة بحوث علمية في مجال اللغة والأدب خضعت -حسب نظام النشر في المجلة- إلى مراجعة محكمين مختصِّين اعتمدتهم المجلة من داخل الجامعة وخارجها.

وكان من العناية في اختيار البحوث أن تتنوع بين الدراسات اللغوية والأدبية، القديمة والجديدة، وأن تفرغ مساحة لدراسة المنجز العماني بشقيه اللغوي والأدبي.

آملين أن تحقق هذه البحوث إضافة علمية ومعرفية في مجال اختصاصها وأن تفتح أبوابا للدراسة والبحث.

والمجلة - بإذن الله - ماضية في أداء رسالتها العلمية، مشرعة أبوابها أمام الأساتذة المختصين والباحثين الجادين لتسهم في تشجيع الإبداع ونشر مكنونات المواهب في مجالات اللغة والأدب بما يرتقي بالمنجز اللغوي والأدبي. وتطمح المجلة بما تقدمه من أصالة البحوث وعمق الطرح والإبداع في الاختيار أن تعزز حضورها في الساحة اللغوية والأدبية العامة، وأن تحقق منعطفات إيجابية في مجال اختصاصها.

د. يعقوب بن سالم آل ثاني
رئيس التحرير

(مِنَ الْوَسَائِل اللغَوِيَّةِ لإطالةِ بناءِ الجُمْلةِ بينَ المَرّارِ بنِ مُنْقِذٍ وأمل دُنْقُل)

أ.د فضل يوسف زيد/جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها

Prof. Fadl Yousef Zaid / Sultan Qaboos University, College of Arts and Social Sciences, Department of Arabic Language and Literature

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2023 – 05 – 18

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 – 02 – 19

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 – 02 – 20

الملخص

هذه الدراسة محاولة للاقتراب من النصّ الشعريّ وبيان دور النحو في تفسير هذا النصّ من خلال الوسائل اللغوية المختلفة وأهمها النعت، وهي تُعَدّ تطبيقًا لاتجاه آخذٍ في الانتشار والتقدّم وهو اتجاه نحو النصّ الذي يتجه إليه البحث النحويّ في الآونة الأخيرة، وأحسب أنه آخذٌ في التقدم والازدهار.

لقد حاولتُ أن أتبيّن الدور الدلالي والتركيبي لبعض الوسائل اللغوية في نصّ شعريّ لأحد شعراء المفضليات وهو المرار بن منقذ، وشاعر حديث وهو أمل دنقل، فتبيّنت من هذه الدراسة الدور التركيبي لبعض تلكم الوسائل اللغوية، وأهمها وأكثرها ورودا النعت في إطالة بناء الجملة من خلال ما أتاح له النظام اللغويّ من التعدّد والتنوّع والتداخل والمعاقبة فيه بين المفرد والجملة، وما يترتّب على هذا الطول - غالبًا - من تركيب صور شعريّة. وقد لاحظت أنَّ هذا الدور التركيبي والدلاليّ للنعت والوسائل اللغوية الأخرى في الشعر القديم قد توفّر في شعر أمل دنقل من خلال تحليل بعض نماذج شعريّة لديه، وهو ما يعني أنه لا فرق بين الشعر العموديّ والشعر الحرّ من حيث المسالكُ اللغويّة التي يسلكها كُلّ منهما. كما لاحظت أنَّ تداخلَ النعوت مع الوسائل اللغوية الأخرى كالحال والعطف إلى جانب دورها في إطالة الجملة الأصليّة يؤدي إلى بناء صور شعريّة متشابكة.

الكلمات المفتاحية: التركيبي، الدلالي، الوسائل، اللغويّة.

The linguistic means to lengthen the construction of the) (sentence between Al-Marar bin Munqith and Amal Dunqul

Abstract

This study is an attempt to approach the poetic text and demonstrate the role of grammar in interpreting this text through various linguistic means, the most .important of which is the adjective

I have tried to show the semantic and synthetic role of some linguistic means in a poetic text of one of the favorite poets, Al-Marar bin Munqith, and a modern poet, Amal Dunqul. The linguistic system allowed him to multiply, .diversify, overlap and punish in it between the singular and the sentence

And the consequence of this length - often - is the installation of poetic images. I noticed that this structural and semantic role of the epithet and other linguistic means in ancient poetry was provided in the poetry of Amal Dunqul by analyzing some of his poetic models, which means that there is no difference between vertical poetry and free poetry in terms of the linguistic pathways that each of them takes, as I noticed. The overlapping of adjectives with other linguistic means such as case and conjunction, along with their role in lengthening the original sentence, leads to the construction.

Key words: compositional, semantic, means, linguistic

مقدمة

ثمة وسائل لغويّةٌ كثيرةٌ لإطالة بناء الجملة، أشار إليها نحاةٌ قدماءُ ومحدثونَ، وقد ذكر تلكم الوسائلَ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في كتابه بناء الجملة العربية وذكر منها النعت والخبر والحال والعطف وغيرها، وركّز بصورة خاصة على النعت، وذكر أنه من الوظائف النحويّة التي أتاح لها النظام اللغويّ أن تتعدد لمنعوت واحد، وأن تعاقب الجملة فيه المفرد، فيأتي مفردًا، ويأتي جملة، ويأتي شبه جملة، وقد يتضمن النعت الجملة في داخل مكوناته جملة نعتية أخرى، فتتراكب الجملة الواحدة، وتحوي في داخلها أكثر من جملة، وهنا يقوم النعت بوظيفتين مهمتين: أولهما: طول الجملة الأساسيّة وتعقيدها وهي وظيفة تركيبيّة، والثانية مترتبة - غالبًا - على الأولى، وهي: تركيب صورة شعريّة من صور القصيدة وهي وظيفة دلاليّة (عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، ١٤١٠هـ، صفحة ٨٢)، (فمن الملاحظ أنه كلما طالت الجملة نزعت إلى التصوير؛ وذلك لأن طول الجملة لا يتمّ إلّا بذكر عدّة عناصر تندرج نحويًّا في جملة واحدة. ومعنى هذا أنّ هذه العناصر توظف نحويًّا للنعت أو لغيره، وبذلك يظل العنصر الأصليّ كما هو، غير أنه يقيّد بهذه المقيّدات التي تضيف إليه ملامح جديدة كُلّما ذُكر قيدٌ جديد) (عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ٢٠٠٣م، صفحة ٣٢١).

وقد وُجدت هذه الظاهرة بشكل لافت للنظر في الشعر القديم كما لاحظ الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، حيث يمكن أن تمتد الجملة الواحدة عن طريق تقييد أحد عناصرها بالنعت وبغيره من الوسائل اللغوية كالخبر والعطف امتدادًا كبيرًا، بحيث تستغرق عدّة أبياتٍ في القصيدة، ويترتب على ذلك - غالبًا - تركيب صورة شعريّة في القصيدة.

وقد اخترت قصيدة المرّار بن منقذ من شعراء المفضليات للتطبيق عليها، وهو شاعر قديم كما هو معروف، وفي المقابل اخترت سبع قصائد من شعر أمل دنقل، وهو من الشعراء المحدثين لاختبار السلوك التركيبي للوسائل اللغوية في الشعر، وهل ثمة فرق بين القديم منه والحديث في ذلك؟

أولا: طول الجملة في قصيدة المرّار بن منقذ

في قصيدة المرّار بن مُنْقِذ، وهو من شعراء المفضليّات (الضّبيّ، الصفحات ٨٢-٩٣) نراه ينعت فرسه نعتًا طويلًا استغرق تسعة عشر بيتًا، مع ملاحظة أن هذه الأبيات جملة واحدة، طالت عن طريق تقييد أحد عناصرها بالنعوت المتعددة المتداخلة، وبالحال والخبر والعطف في أحيان قليلة، وقد ترتّب على طول هذه الجملة وتداخلها تركيب صورة شعريّة لفرس الشاعر،

وكأنّ الشاعر يتحدث عن نفسه هو، يقول المرّار بن منقذ في وصف فرسه:

وتَبَطَّنْتُ مَجُودًا عَازِبًا ... وَاكِفَ الكوكب ذا نَوْرٍ ثَمِرْ
ببعيدٍ قَدْرُهُ ذي عُذَرٍ ... صَلْتَانٍ من بنات الْمُنْكَدِرْ
سائلٍ شِمْرَاخُهُ ذي جُبَبٍ ... سَلِطِ السُّنْبُكِ في رُسْغٍ عَجِرْ
قارحٍ قد فُرَّ عنه جانبٌ ... وَرَبَاعٍ جانبٌ لم يَتَّغِرْ
فَهْوَ وَرْدُ اللَّوْنِ في ازْبِئْرَارِهِ ... وكُمَيْتُ اللون ما لم يَزْبَئِرْ
نبعث الحُطَّابَ أن يُغْدَى به ... نبتغي صَيْدَ نعامٍ أوْ حُمُرْ
شُنْدُفٌ أشدَفُ ما وَرَّعْتَهُ ... فإذا طُوْطِئَ طيّارٌ طِمِرْ
يصرع العَيْرَيْنِ في نَقْعهما ... أَحْوَذِيٌّ حين يهْوِي مستمرْ
ثم إنْ يُنْزَعْ إلى أقصاهُما ... يَخْبِط الأرضَ اخْتِباطَ المُحْتَفِرْ
أَلِزٌّ إذْ خَرَجَتْ سَلَّتُهُ ... وَهِلًا نَمْسَحُهُ ما يَسْتَقِرْ
قَدْ بَلَوْنَاهُ عَلَى عِلَّاتِهِ ... وعلى التَّيْسِيرِ منهُ والضُّمُرْ
فإذا هِجْنَاهُ يومًا بادِنًا ... فَحِضَارٌ كالضِّرَامِ المُسْتَعِرْ

تبطنت: دخلتُ في جوف غيث، أي ما أنبت المطر، أطلب فيه الصيد. مجودًا: المكان أصابه الغزير من المطر: العازب: الذي لا يرعاه أحد. واكف الكوكب: يميل هنا وهناك. ثمر. كثير الثمر.

ببعيد قدره: بفرس واسع الخطو. العُذَر: شعر الناصية. صلتان: سريع العدو. المنكدر: فرس لبني العدوية رهط المرّار.

الشمراخ: شعر الغرّة. ذي جُبَب: الفرس يبلغ تحجيله إلى ركبتيه. سليط: طويل. السنبك: مقدم الحافر. عجر: غليظ. قارح: الفرس الذي بلغ السادسة من العمر. الرباع: الفرس في الخامسة من عمره.

الازبئرار: انتفاش الشعر. ورد اللون: بين الأحمر والأشقر. ورّعته: كففته. أشدف وشندف. إمالة الرأس من النشاط والمرح. طمر: مستفز للوثب.

العير: حمار الوحش. النقع: الغبار. الأحوذيّ: السريع الخفيف.

يُنزع: يُكَفّ. إلى أقصاهما: أى عند أبعد العيْرين.

ألز: مجتمع بعضه إلى بعض. السلّة: الربو في جوف الفرس ويخرج حينما يركض ركضًا شديدًا. وَهِلا: من الوَهل وهو الفزع كأن به فزعًا من نشاطه.

التيسير: حُسن نقل قوائمه. الضُّمُر: الهزال ولحاق البطن.

بادنا: سمينًا. الحضار: سرعة العدو. الضرام: ما دقّ من الحطب تشعل به النار.

وإذا نحن حَمَصْنَا بُدْنَهُ ... وعصرناهُ فَعَقْبٌ وحُضُرْ
يُؤْلِفُ الشَّدَّ على الشدّ ... كما حَفَشَ الوابِلَ غَيْثٌ مُسْبَكِرْ
صفةُ الثعلب أدنى جَرْيِهِ ... وإذا يرْكضُ يعفورٌ أَشِرْ
ونَشَاصِيٌّ إذا تُفْزِعُهُ ... لم يَكَدْ يُلْجَمُ إلّا ما قُسِرْ
وكأنّا كُلَّما نغدو به ... نبتغي الصيدَ بباز مُنْكَدِرْ
أو بِمِرِّيخٍ على شِرْيَانَةٍ ... حَشَّهُ الرَّامِي بِظُهْرَانِ حُشُرْ
ذو مِرَاحٍ فإذا وقَّرْتَهُ ... فَذَلُولٌ حَسَنُ الْخُلْقِ يَسَرْ
بين أفراسٍ تَنَاجَلْنَ به ... أَعْوَجِيَّاتٍ مَحَاضِيرَ ضُبُرْ

البدن: السمن. حمص: عصر. العقب. الجرى بعد الجرى. حضر: سرعة العدو.

يؤلف الشدّ: يتابع شدًّا بعد شدّ. الحفش: شدة الدفع. الوابل: المطر الشديد. المسبكر: المسترسل المنبسط.
يعفور: ظبي. أشر: نشيط.
نشاصي: الغيم المرتفع.
البازى: نوع من الصقور للصيد. المنكدر: المنقض.
مريخ: سهم طويل الشريانة: شجرة تتخذ منها القسيّ.
الظهران: جمع (ظَهْر) وهو ما ظهر من ريش الجناح، وهو أفضل ما يُراش به السهم.

الحشر جمع (حَشْر): الدقيق اللطيف القطع. وحشّ السهم بالريش: ألزقه به.
ذو مراح: نشيط. وقرته: سكنته. ذلول: سهل. يسر: سهل الأمر.
تناجلن به: تناسلن به. وأعوجيات منسوب إلى (أعوج) وهو فحل مشهور لقبيلة طيّء.
محاضير جمع محاضر، وهو الشديد العدو. ضبر: من قولهم: (ضبر الفرس) أي جمع قوائمه ووثب.
الأبيات السابقة جملة واحدة في الأصل، وهذه الجملة هي قوله: «وتبطنت مجودًا. . . ببعيد»، طالت هذه الجملة، وامتدّت هذا الامتداد العظيم من خلال تقييد أحد عناصرها، وهو الجار والمجرور (ببعيد) المتعلّق بالفعل (تبطّنْت)،وهو نعت قام مقام المنعوت، والتقدير: (وتبطنت بفرسٍ بعيد قدره) أي بفرس واسع الخطو، وقد جاءت هذه الكلمة متأخرة في الجملة، إذْ شغل المفعول به (مجودًا) من خلال نعته بالنعوت المتعددة البيت السابق عليه، فالجملة هي: (وتبطنت مجودًا عازبًا واكف الكوكب ذا نوْرٍ ثَمِر)، فقد نعت الشاعر المفعول به (مجودًا) بأربعة نعوت مفردة هي: عازبًا، واكف الكوكب، ذا نَوْر، ثمِر، شكّل النعت الأخير منها (ثمر) القافية. وبدأ بيت جديد بالنعت الذي قام مقام المنعوت المحذوف (بفرس بعيد قدره)، وهو نكرة، وقد مهّد ذلك لتقييد هذه النكرة بالنعوت المتنوعة التي عاقب فيها الشاعر بين النعت بالمفرد والنعت بالجملة.
تبدأ هذه النعوت بنعتين مفردين لذلك الفرس، وهما: (ذي عُذَر)، و(صلتان)،ثم النعت بشبه الجملة الجار والمجرور (من بنات المنكدر)، وهي نعوت تُبيّن هيئة ذلك الفرس الجسديّة وتوضّح سرعته وخفّته في عَدْوِهِ، وتستمر الجملة الأصليّة في الطول والامتداد من خلال تقديم ثلاثة نعوت مفردة جديدة في البيت الآتي تساعد في تشكيل صورة هذا الفرس الجسديّة، وهي:(سائل شمراخُهُ)،و(ذي جُبَبٍ)،و(سَلِط السُّنْبُكِ)،وتستمر الجملة في الطول من خلال تقييد عنصرٍ فرعيّ من عناصرها (رُسْغ) بنعت مفرد (عَجِر)، وهو ما ولّد صورة فرعيّة داخل الصورة الكبرى، وأدّى إلى تعقّد بناء الجملة الأصليّة وتركيبها، وفي البيت الآتي ينعت الشاعر الفرس بالنعت المفرد (قارح)، ثم يتبع هذا النعت المفرد بالنعت بالجملة الفعليّة الماضيّة (قد فُرَّ عنه جانبٌ)، ويعطف على النعت المفرد (قارح) نعتًا مفردًا آخر وهو (رَبَاعٍ)، وهو نعت قام مقام المنعوت المحذوف، والتقدير: «وفرسٍ ربَاعٍ»، ثم نعت هذا الفرس الرَبَاع بجملة فعليّة حذف فعلها اكتفاء عنه بما قبله، وبقي نائب الفاعل، وهو كلمة (جانبٌ)، والتقدير: (ورباعٍ قد فُرّ عنه جانبٌ)، ثم يتبع ذلك بالنعت بالجملة الفعليّة المضارعيّة (لم يتغر)، وهي كلها نعوت عاقب فيها الشاعر - كما هو واضح - بين النعت المفرد والنعت الجملة، ممّا أدّى إلى تعقيد الجملة وتركيبها، ومن ثمّ تركيب الصورة الشعريّة التي يرسمها الشاعر لذلك الفرس، وهي صورته الجسديّة التي تثبت في النهاية أو يريد الشاعر أن يثبت من خلالها سرعة ذلك الفرس وتفرّده عن أيّ مثيل، وتستمر الجملة في الطول والاتّساع والتداخل من خلال اعتماد الشاعر على وسائل لغويّة أخرى في إطالة بنائها وتركيبها أتاحها النظام اللغويّ، فتمتد عن طريق الجملة الاستئنافية البيانية: (فَهْوَ ورد اللون في ازبئرارهِ) في البيت الآتي، ثم عطف جملة استئنافية بيانية أخرى عليها، حذف منها المبتدأ، (وكميت اللون ما لم يزبئرُّ)، ويعود الشاعر إلى الإخبار عن فرسه في البيت الآتي بالجملة الفعليّة المضارعيّة (نبعثُ الحُطّاب أنْ يُغْدَى به نبتغي صَيْدَ نَعَامٍ أوْ حُمُر)، ويحتمل أن تكون هذه الجملة حالية، وصاحب الحال هو (هو) في قوله (فَهْوَ ورد اللون في ازبئرارهِ) في البيت السابق، وتستمر الجملة في الاتّساع والتداخل من خلال الإخبار عن ذلك الفرس في البيت الآتي بالجملة الاسميّة التي حذف منها المبتدأ (شُنْدُفٌ أَشْدَفُ ما وَرَّعْتَهُ)، ثم بالنعت المفرد (طِمِرّ) أي مشرف مستفز للوثب، وتستمر الجملة في الامتداد من خلال الإخبار بالجملة الفعليّة في البيت الآتي: (يصرع العَيْرَيْنِ في نقعهما) ويحتمل أن تكون جملة حالية صاحبها هو (هو) في قول الشاعر: (فَهْوَ ورد اللون في ازبئرارهِ)، ثم الإخبار بالجملة الاسميّة المحذوف منها المبتدأ (أحوذيّ حين يهوي)، ثم بالنعت المفرد (مستمر)، وهي أخبار ونعوت وأحوال تؤكد كلها سرعة هذا الفرس العجيب وخفّته، ويعطف الشاعر في البيت الآتي جملة شرطيّة نعتيّة على الجملة النعتيّة السابقة وهي: (ثم إن يُنْزَعْ إلى أقصاهما يخبط الأرض اختباط المحتفِر)، وتزداد الجملة تعقيدًا وتركيبًا، ومن ثمّ تزداد صورة هذا الفرس - بدورها - تعقيدًا وتركيبًا، فنرى الشاعر يخبرعن هذا الفرس بالجملة الاسميّة المحذوف منها المبتدأ في البيت الآتي بقوله: (أَلِزٌّ إذْ خرجت سلّتُهُ وَهِلاً نمسحُهُ ما يستقرّ)، وتزداد الجملة الأصليّة في الطول والتعقيد من خلال الإخبار بالجملة الفعليّة في البيت الآتي:
(قد بلوناهُ على علّاته وعلى التيسير منه والضُّمُرْ)

ثم بالجملة الشرطيّة في البيت الذي يتبعه:
فإذا هِجْناهُ يومًا بادنًا فحضارٌ كالضِّرام المستَعِرْ
ثم نعت عنصرين من عناصر هذه الجملة ذاتها؛ الأول هو (يومًا) المفعول الثاني للفعل (هاج) وقد نعت بالنعت المفرد (بادنًا)، والعنصر الثاني من عناصر هذه الجملة وهو (الضّرام) وقد نعت بنعت مفرد (المستعِرْ) وقد أدّى هذا التداخل بين النعوت إلى تعقيد الجملة؛ ثَمَّ إلى تعقيد الصورة وتركيبها، ويعطف الشاعر على الجملة الشرطيّة السابقة جملة شرطيّة أخرى:
وإذا نحن حمْصنا بُدْنَهُ وَعَصَرْنَاهُ فَعَقْبٌ وَحُضُرْ
وتستمر الجملة في التعقيد والصورة في التركيب من خلال الجملة الفعليّة الحالية في البيت الآتي:
يُؤْلِفُ الشَّدَّ على الشَّدِّ كما حَفَشَ الوابلَ غَيْثٌ مُسْبَكِرْ
ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة (غيْث) بالنعت المفرد (مسبكر)، وتستمر الجملة في الامتداد من خلال النعت في البيت الآتي بالجملة الاسميّة (صفةُ الثعلب أدنى جَرْيِهِ)، ثم بالعطف عليها بجملة شرطيّة (وإذا يُركض يعفورٌ أشِرْ) ثم توليد نعت فرعي، ومَن ثَمّ توليد صورة جزئية من خلال نعت أحد عناصر هذه الجملة نفسها (يعفور) بنعت مفرد (أشِر)، ثم عطف جملة شرطيّة على الجملة السابقة، (ونشاصيٌّ إذا تُفْزِعُهُ لم يكد يُلجم إلّا ما قُسِر)،

وتزداد الجملة طولاً من خلال العطف على الجملة السابقة بجملة اسميّة منسوخة:
وَكَأَنَّا كُلَّمَا نَغْدُو بِهِ نبتغي الصَّيْدَ بباز مُنْكدِرْ
ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة (باز) بنعت مفرد (منكدر)، ثم العطف في البيت الآتي على أحد عناصر الجملة السابقة (باز)، ونعت هذا المعطوف النكرة (مريخ) بشبه الجملة الجار والمجرور (على شريانة)، ثم بالجملة الفعليّة (حشّه الرامي بظهران حُشُرْ)، ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة النعتيّة الفرعيّة (ظهران) بنعت مفرد (حُشُر)، ولا ريب أن تداخل النعوت وتكثيفها على هذا النحو قد زاد من طول الجملة وتعقيدها ؛ومن ثمّ تعقيد الصورة الشعريّة، ويعود الشاعر إلى نعت الفرس مرّة أخرى في البيت الآتي بالجملة الاسميّة المحذوف منها المبتدأ (ذو مِرَاحٍ)، ثم بالجملة الشرطيّة: (فإذا وقّرْتهُ فذلولٌ حَسَنُ الخُلُق يَسَر)، ثم بتعدد خبر مبتدأ جملة جواب الشرط المحذوف منها المبتدأ فـ (ذلول) خبر لمبتدأ محذوف يعود على ذلك الفرس، والتقدير: هو ذلولٌ، و(حَسَنُ الخلق) خبر ثانٍ، و(يَسَر) خبر ثالث، والنظام النحويّ يسمح بتعدد الخبر كما يسمح بتعدد النعت، وتعدد الخبر - كالنعت - وسيلة من الوسائل اللغويّة لإطالة بناء الجملة، ويعود الشاعر إلى وصف الفرس في البيت الأخير مقارنًا بينه وبين أقرانه الذين تناسلْن به، فيخبر عن فرسه بشبه الجملة الظرف (بين أفراس) ثم نعت هذه الأفراس بالجملة الفعليّة (تناجلن به) ثم بالنعوت المفردة (أعوجيّات، محاضير، ضُبُر)، وهكذا أدّت النعوت والأخبار والأحوال وظيفتين مهمتين؛ الأولى تركيبيّة، وهي: طول الجملة الأصليّة، مع المعاقبة بين النعوت والأخبار والأحوال المفردة، والنعوت والأخبار والأحوال الجملة، مستغلاً في ذلك ما أتاحه النظام النحويّ لتلكم الوظائف النحوية من التعدد والتنوع، وقد كانت هذه الوظائف تتداخل كثيرًا، كأنْ ينعت الشاعر بعض عناصر الجملة النعتيّة نفسها، فتشتمل الجملة النعتيّة الواحدة على أكثر من نعت كما رأينا في كثير ممّا سبق، وبذلك تزداد الجملة الأساسيّة طولاً وتعقيدًا، أما الثانية فهي وظيفة دلاليّة مترتبة على الوظيفة التركيبيّةِ السابقة، وهي تركيب الصورة الشعريّة لذلك الفرس وتكوينها وينتقل الشاعر إلى وصف ناقته ورسم صورة لها ويشبهها بالحمار الوحشيّ الذي ينتقل الوصف إليه أيضًا في أحدَ عشرَ بيتًا، وهذه الأبيات جملة واحدة طالت عن طريق نعت أحد عناصرها بالنعوت المتنوعة المتعددة أيضًا، يقول المرّار:
ولقد تمرح بي عِيديّةٌ رَسْلَةُ السَّوْمِ سَبَنْتَاةٌ جُسُرْ
رَاضَها الرائضُ ثم اسْتُعْفِيَتْ لقِرى الهمِّ إذا ما يَحتضِرْ
بازلٌ أو أخلفَتْ بازِلَهَا عاقِرٌ لم يُحْتَلَبْ منها فُطُرْ
تَتَّقِي الأرض وصوّان الحصى بوقاحٍ مُجْمَرٍ غيرِ مَعِرْ
ناقة عيديّة: منسوبة إلى (العيد) حيّ من مَهَرة، بفتحتين. رسلة السوم: سهلة المرّ. سبنتاة: جريئة مقدامة. جسر: جسور.
استعفيت: تركت لم تُرْكَبْ حتى كثر لحمها وشحمها. لقرى الهم: جعل الهم كأنه ضيف. يحتضر: يحضر.
الفطر: القليل من اللبن حين يُحلب.

البازل: يبزل البعير لتسع سنين. أخلفت بازلها: إذا أتى على البعير عام بعد البزول.
الصوّان: المكان فيه حصى. الوقاح: الصلب. المجمر: المجتمع. المعر: الذى ذهب ما يلى أطرافه من الشَّعْر.
فقد طالت جملة (تمرح بي عيديّة) من خلال تقييد أحد عناصرها وهو المنعوت المحذوف، وتقديره: «ناقة عيديّة» بالنعوت المتنوعة، بدأت هذه النعوت بثلاثة مفردة (رسلة السوم) و(سبنتاة) و(جُسُر)، ثم النعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل الماضي في البيت الآتي (راضها الرائض)، ثم بالعطف على هذه الجملة بجملة نعتيّة أخرى (ثم اسْتُعفيت لقرى الهمّ إذا ما يحتضر)، وتستمر الجملة الأصليّة في الامتداد والطول عن طريق نعت الناقة العيديّة بالنعت المفرد في البيت الآتي (بازلٌ)، ويمكن اعتبار هذا النعت جملة اسميّة حُذف منها المبتدأ، ويكون التقدير: هي بازلٌ، ثم بعطف جمل نعتيّة فعليّة ماضيّة على النعت السابق (أو أخلفت بازلَها)، ثم نعتها بنعت مفرد (عاقرٌ) وبآخر جملة فعليّة مضارعيّة (لم يُحتلبْ منها)، ثم بالنعت المفرد (فُطُر)، وهكذا يخالف الشاعر في نعته لتلك الناقة بين النعت المفرد والنعت الجملة، وهو ممّا يسمح به النظام النحويّ، وتستمر الجملة في الاتّساع من خلال النعت بالجملة الفعليّة (تتقي الأرض وصوّان الحصى بوقاحٍ) ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة النعتيّة نفسها (وقاح) بنعتين مفردين (مجمر)، و(غير معِر) وهكذا تتداخل النعوت وتتعدد ممّا يؤدي إلى تعقيد الجملة الأصليّة، وممّا يزيد في تعقيد الصورة الشعرية

وتركيبها، وتزداد هذه الجملة النعتيّة الأخيرة تركيبًا من خلال نعت أحد عناصرها (مثل عدّاءٍ)، وهنا ينتقل الشاعر إلى وصفٍ موازٍ لوصف الناقة حيث يشبهها بحمار وحشيّ (عدّاء)، ويستطرد في وصف هذا الحمار الوحشيّ وعندئذٍ تتركّب صورة شعريّة جديدة، يقول المرّار:

مثلَ عدّاءٍ بروضات القطا قلصتْ عنه ثِمادٌ وَغُدُرْ
فَحْلِ قَبٍّ ضُمَّرٍ أقرابُها يَنْهَسُ الأكفالَ منها ويَزُرّْ
خبط الأرواثَ حتى هاجَهُ من يَدِ الجوزاءِ يومٌ مُصْمَقِرّْ
لَهَبَانٌ وقدتْ حِزَّانُهُ يَرْمَضُ الجُنْدُبُ منه فَيَصِرّْ
ظلّ في أعلى يَفَاعٍ جَاذِلاً يَقْسِمُ الأمرَ كَقَسْمِ المؤتَمِرْ
أَلِسُمْنَانَ فيسقيها بِهِ أم لِقُلْبٍ من لُغَاطٍ يَسْتَمِرّْ
وهْو يفلي شُعْثَا أعرافُهَا شُخُصَ الأبصارِ للوحش نُظُرْ

عدّاء: حمار يعدو. روضات القطا: موضع. قلصت: ارتفعت. الثماد: بقايا الماء. غدر: جمع غدير. قبّ: ضوامر البطن. أقرابُها: خصورها. يَزُرّ: يَعَضّ. مصمقر: شديد الحرّ. اللهبان: وهج الحرّ. وقدت: توقدت. حزانه جمع (حزيز): وهو الغليظ من الأرض. يرمض: اشتداد الحرّ. اليفاع: المرتفع من الأرض. جاذلًا: منتصبا. المؤتمر: الذي يختار أمرًا لنفسه. سُمنان ولُغاط: موضعان. قُلْب جمع قليب، وهو البئر. أعرافها: الشعر الذي على أعناقها. يفلي: يريد أن الحمار يعض أتنه كفعل من يفلي الشعر.

طالت الجملة النعتيّة الأخيرة في وصف الناقة العيديّة (تتقي الأرض. . . مثلَ عدّاءٍ)، وانتقلت القصيدة إلى وصفٍ موازٍ لوصف الناقة، وهو وصف الحمار الوحشيّ (عدّاء) بالنعوت المتنوعة بدأت بالنعت بشبه الجملة (بروضات القطا)،ثم بالنعت بالجملة الفعليّة (قلصتْ عنه ثمادٌ وغُدُر)،واستمرّت الجملة في الامتداد عن طريق نعت هذا العدّاء في البيت الآتي بالنعت المفرد (فحلِ قُبٍّ) ثم نعت ما أُضيف إليه هذا النعت وهو كلمة (قُبّ) بالنعت السببيّ (ضُمَّرٍ أقرابُها)، ثم العودة إلى نعت الحمار الوحشي بالجملة الفعليّة (ينهس الأكفان منها)، ثم عطف جملة نعتيّة فعليّة عليها (ويزرّ)، وتستمر الجملة في الطول والاتساع عن طريق النعت بالجملة الفعليّة في البيت الآتي (خبط الأرواث حتى هاجه من يد الجوزاء يوم مصمقر) ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة النعتيّة نفسها (يوم) بالنعت المفرد (مصمقر)، ثم نعت هذا العنصر في البيت الآتي بنعت مفرد آخر (لهبان) ثم بالجملة الفعليّة (وقدت حزّانه) ثم بجملة نعتية أخرى (يرمض الجندب منه فيصر)، وهكذا تتداخل النعوت ممّا يزيد في تعقيد بناء الجملة وتعقيد الصورة الشعريّة وتركيبها، وتستمر الجملة في التعقيد والتركيب بالعودة إلى نعت هذا العدّاء بالنعت بالجملة الفعليّة (ظلّ في أعلى يفاعٍ جاذلًا. .). وهكذا تداخلت النعوت وتعددت في رسم صورة ذلك الحمار الوحشيّ الذي يعادل صورة الناقة العيديّة، وعملت على تعقيد الجمل ومن ثمّ تركيب الصور الشعريّة في القصيدة.

ويرى الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف - ونحن معه - ضرورة إعطاء هذه الظاهرة مزيدًا من التتبع والدراسة لتوفّرها في الشعر الجاهليّ (عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، ١٤١٠هـ، صفحة ٨٢).

ثانيا: طول الجملة في شعر أمل دنقل

إذا كانت التراكيب النعتيّة وغيرها من الوسائل اللغوية الأخرى كالخبر والحال والعطف تقوم بهذا الدور التركيبي والدلاليّ في إطالة بناء الجملة في الشعر العربي القديم، ثمَّ في تركيب الصورة الفنيّة في القصيدة، كما رأينا في قصيدة المرّار بن منقذ السابقة، فإننا لا نعدم هذا الدور التركيبي للنعت ولغيره من الوسائل اللغوية الأخرى في شعر أمل دنقل، فكثيرًا ما نجده يكثّف النعوت المتتابعة والوسائل اللغوية الأخرى كالخبر والحال لرسم صور شعريّة متلاحقة، لكنّ الملاحظ حقًّا أن الجملة لا تطول في شعره بالدرجة نفسها التي نلمسها في الشعر الجاهليّ، وعلى أيّ حال فإننا نجد في شعره نماذج كثيرة لطول الجملة، وغالبًا ما يترتب على هذا الطول صور شعريّة في القصيدة، ومن ذلك قوله من قصيدة «خمس أغنيات إلى حبيبتي - الأغنية الرابعة» (دُنْقُل، صفحة ٣٠):

متى. . متى نعود للهدوء
هناك في عينيك لي وسائد الهدوء
في غابة حالمة الثمار بالمجيء
تغسل في غدرانها أوشالنا
تضم أغنياتها أطفالنا
لعالم. . مجنح. . مضيء
لا بوق، لا ميدان
لا حدود
متى. . حبيبتي. . نعود
لأمسنا البريء

فقد طالت جملة «هناك في عينيك لي وسائد الهدوء في غابة» من خلال تقييد أحد عناصرها (غابة) بنعوت متعددة متنوعة، وحينما طالت هذه الجملة كوّنت صورة شعريّة متكاملة لتلك الغابة التي يحلم بها الشاعر، فقد نُعتت بنعت مفرد، وهو (حالمة الثمار بالمجيء)، ثم بجملتين فعليتين مضارعتين الأولى منهما مبنية للمجهول وهي (تُغسل في غدرانها أوشالُنا) وقد أفاد النعت بهذه الجملة طهارة هذه الغابة التي يُغتسل فيها من الذنوب والمعاصي والأوشال، مع ما يدلّ عليه الفعل المضارع من التجدّد والاستمرار والحركة، والثانية مبنيّة للمعلوم وهي (تضمّ أغنياتُها أطفالَنا)، وقد أفاد النعت بهذه الجملة مدى إشاعة هذه الغابة جوّ الحبّ والمرح لأطفالهم، وهكذا أدّى تنوع النعت وتعدده إلى تشكيل الصورة الشعريّة لهذه الغابة، ثم انتقل الشاعر إلى نعت عنصر آخر من عناصر الجملة السابقة لتزداد في الطول والاتساع، وهو عنصر موازٍ للعنصر السابق (عالم) نعته بنعتين مفردين، هما: (مُجَنَّح)، و(مضيء)، ثم أتبع هذين النعتين بثلاث نعوت كل منها جملة اسميّة حُذف منها الرابط، لكنّه مع ذلك منويّ، وهذه الجمل هي: (لا بوق)، (لا ميدان)، (لا حدود)، والتقدير: (لا بوق فيه، لا ميدان فيه، لا حدود له)، وقد أدّى هذا التنوع في النعوت

بين المفرد والجملة إلى طول الجملة وامتدادها، ومن ثمّ إلى تركيب الصورة الشعريّة لذلك العالم الذي يحلم به الشاعر والذي هو مواز للغابة السابقة، وكل ذلك يشكل بالنسبة للشاعر الأمس والماضي، فهو يتمنى أن يعود هو ومحبوبته إلى عالمهما وماضيهما الأثيرين، ولذا حقّ له أن ينعت هذا الأمس بقوله (البريء)، فهو يتمنى أن يعودا إلى ذلك الماضي المملوء بالبراءة والأحلام، والذي يخلو من الضوضاء والإزعاج، فهو عالم شديدُ الخصوصيّة والتفرّد، وقد ساعدت النعوت الشاعر على تشكيل هذا العالم حتى غدا عالمًا شعريًّا.

قصيدة (رسالة من الشمال) (دُنْقُل، الصفحات ١١٩-١٢٤) تحتوي على جمل كثيرة طويلة، تَتَّسِع كل جملة منها وتمتد لتكوّن صورة شعريّة من صور القصيدة، تقوم الصورة منها على جملة واحدة تطول - في الغالب - من خلال التقييد بالنعت، أوّل هذه الصور يصوّر فيها إحساسه بالغربة والضياع بسبب بُعْده عن مدينته الأثيرة الأسكندريّة حيث يقول:

بعمر - من الشوك - مخشوشن بِعِرْقٍ من الصيف لم يَسْكُنِ
بتجويف حُبٍّ، به كاهنٌ له زمنٌ. صامت الأَرْغُنِ
أعيش هنا، لا هنا، إنني جَهِلْتُ بكينونتي مَسْكَنِي
غدي: عالم ضلّ عني الطريق مسالِكُهُ لِلسُّدَى تَنْحَنِي
علاماتُهُ كانثيال الوضوءِ على دنس مُنْتِنٍ مُنْتِنِ

ففي الأبيات السابقة امتدت الجملة البسيطة (غدي: عالم) من خلال نعت خبرها (عالم) بنعوت متنوعة متداخلة، وأوّل هذه النعوت الجملة الفعليّة الماضية (ضلّ عنّي الطريق)، ثم تأكيد هذا النعت بنعتين آخريْن بالجملة الاسميّة التي تدلّ على الثبات، وهما: (مسالكه للسدى تنحني)، و(علاماته كانثيال الوضوء على دنس منتن) ثم نعت أحد عناصر الجملة النعتية الأخيرة (دنس) بنعت مفرد وهو (منتن)، ثم تأكيد هذا النعت عن طريق التكرار اللفظي، وهذا التداخل بتقييد عنصر في جملة النعت الأخيرة زاد من طول الجملة الأصليّة، وساعد على تركيب الصورة الشعريّة.

ويطوف الشاعر بقلبه وعقله بين مشاهد الأسكندريّة وشوارعها والتي لا تزيده إلّا إحساسًا بغربته وضياعه إلى أن يقول وهو يوجه خطابه إلى الجنوب قريته وصباه وعالمه الأثيريّ الأوّل، ومن خلال توجيه حديثه إلى من يخاطبها بقوله:

ملاكي: أنا في شمال الشمال أعيش ككأس بلا مدمن
ترددُ الذبابَ انتظارًا، وتحسو جمودَ موائدِها الخوّنِ
أرشُّ ابتسامي على كل وجهٍ تَوَسَّدَ في دُهْنِهِ اللَّيِّنِ
ويَجْرَحُنِي الضَّوْءُ فِي كُلِّ لَيْلٍ مريرِ الخطى، صامتٍ، مُحْزِنِ
سريتُ به كَالشُّعَاعِ الضَّئِيلِ إلى حَيْثُ لاَ عَابِرٌ يَنْثَنِي

إلى أن يقول:

ملاكي. ملاكي تساءل عنك اغترابُ التَّفَرُّدِ فِي مَسْكَنِي
سفحْتُ لك اللَّحْنَ عبر المدى طريقًا إلى المبتدا ردّني
وعيناك: فيروزتان تضيئا نِ في خَاتَمِ الله كالأعين
سَأَلْتُهُمَا في صلاةِ الْغُرُوبِ عن الحب والموت والممكن
ولم تذكرا لي سوى خلجة من الهدب قلت لها: هيمني!
هواي له الشمس تنهيدة إلى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوةٌ إنْ غدا لها الخوفُ أصبح في مأمنِ
مقاعدها ما تزال النجوم تَحُجُّ إلى صمتها المؤمنِ
حكينا لها، وقرأنا بها بصوتٍ على الغيب مستأذن

فالجملة الأصليّة في الصورة (أعيش ككأس بلا مدمن)، وقد طالت هذه الجملة من خلال تقييد مجرور الكاف (كأس) بالنعت بشبه الجملة (بلا مدمن)، ثم بالجملة الفعليّة المضارعيّة (تردّ الذباب انتظارًا) مع ما يعطيه معنى المضارع من التجدّد والاستمرار، فهذه الكأس دائمًا في انتظار من يحتسيها، ولكنْ ليس ثَمّ من مجيب، ثم يعطف الشاعر على الجملة النعتية السابقة جملة نعتية أخرى وهي (تحسو جمود موائدها الخوّن)، ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة النعتيّة نفسها (موائدها) بالنعت المفرد (الخوّن)، وقد أدّى هذا التنوع في النعوت وتداخلها إلى تعقيد الصورة الشعريّة وتركيبها.

وتستمر القصيدة في رسم صورة الضياع والاغتراب التي يعيشها الشاعر، فنراه يبني صورة شعريّة جديدة من خلال تقييد أحد عناصر جملة جديدة بالنعوت، فجملة (أرشّ ابتسامي على كل وجه) طالت من خلال نعت كلمة (وجه) بالجملة الفعليّة (توسّد في دهنه اللَّيِّن)، وقد ولّد الشاعر من النعت الفعليّ السابق نعتًا داخليًّا، فقد نعت كلمة (دهنه) بالنعت المفرد (اللَّيِّن).

ثم يرسم الشاعر صورة جديدة تزيد من جلاء الحالة التي يعيشها الشاعر، وهي صورة الليل، فقد طالت جملة (ويجرحني الضوء في كل ليل) بتقييد أحد عناصرها (ليل) بثلاثة نعوت مفردة وهي (مرير الخطى، صامت، محزن)، ولا شك أن تتابع نعوت الليل بهذه الصورة يشكّل تجسيدًا لفرط حساسيته إزاء الزمان، حتى إزاء الزمان الذي ينقذه فهو أيضًا مرير الخطى وصامت ومحزن، ثم النعت بالجملة الفعليّة الماضيّة (سريتُ به كالشعاع الضئيل إلى حيث لا عابرٌ ينثني) ثم توليد نعوت فرعيّة من الجملة النعتيّة السابقة بنعت (الشعاع) بالنعت المفرد (الضئيل).

ثم ينتقل الشاعر إلى صورة شعريّة أخرى لحمتها وسداها النعوت المتنوعة المتداخلة، فنراه ينعت أحد عناصر الجملة (وعيناك فيروزتان)، وهو الخبر (فيروزتان) بنعوت متعددة طالت من خلالها هذه الجملة البسيطة وكوّنت صورة شعريّة من صور القصيدة، أول هذه النعوت النعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع، وهو ممّا يناسب الحركة والتصوير (تضيئان في خاتم الله كالأعين)، ثم النعت بالجملة الفعليّة الماضية في البيت الآتي:

سألتهما في صلاة الغروب عن الحب، والموت، والممكن

وتستمر الجملة في الاتساع والامتداد من خلال عطف جملة نعتيّة جديدة على الجملة النعتية السابقة وهي (ولم تذكرا لي سوى خلجة من الهدب قلت لها: هيمني!)، ثم توليد نعوت فرعيّة من هذه الجملة النعتيّة الأخيرة كنعت (خلجة) بالنعت بشبه الجملة (من الهدب)، ثم بجملة (قلت لها هيمني)، وتداخل النعوت ممّا زاد من تعقيد الصورة وتركيبها، ثم نجد نعتًا بالجملة الفعليّة في البيت الذي يلي الأبيات السابقة وهو (إلى اليوم بالموت لم تؤمنِ) نعتًا لكلمة (تنهيدة) الواقعة خبرًا في قوله: (هوايَ له الشمس تنهيدة) أفاد استمرار وديمومة الحبّ وعدم انتهائه، بل عدم إيمان الشاعر بالموت الذي هو نهاية حتميّة لكل شيء، وفيه ما فيه من التحدّي، (فهو يذكر حُبّه وهواه فيراه أكبر من أن يناله الموت، وكأنه هو الشيء الوحيد الذي يلح على وجدان الشاعر وعقله الباطن) (العتباني، ١٩٩٩م، صفحة ٤٩).

ويستعيد الشاعر في الأبيات الآتية الصورَ المحبّبة إلى نفسه والذكريات الجميلة في مدينته الإسكندريّة، وتبدأ الجمل في التصوير الذي تطول معه الجملة، فجملة (وكانت لنا خلوة) جملة اسميّة مصدّرة بـ (وكانت)، وقد طالت من خلال نعت أحد عناصرها وهو اسم (كان) المتأخّر (خلوة)، وتأخير هذه الكلمة وتنكيرها مهّد لتقييدها بالنعوت المتنوعة، وأول هذه النعوت النعت بالجملة الشرطيّة المركّبة (إنْ غدا لها الخوفُ أصبح في مأمن)، والنعت بالشرط هنا يدلّ على مدى أمان هذه الخلوة التي كان يلتقي فيها بمحبوبته، وأن من يدخلها يكون آمنًا حتى الخوف نفسه، وهي صورة جميلة تصوّر مدى الشعور بالأمان في تلك الخلوة التي كان يلتقي فيها الشاعر مع من أحبّ، وتستمر الجملة الأصليّة في الاتّساع بنعت هذه الخلوة بالجملة الاسميّة في البيت الآتي: (مقاعدها ما تزال النجوم تحجّ إلى صمتها المؤمن) ثم توليد نعت داخليّ في الجملة النعتيّة السابقة (الصمت) بالنعت المفرد (المؤمن)، وقد أفاد النعت بهذه الجملة استمرار ذهاب المحبين إلى هذه الخلوة، ومواظبتهم على الالتقاء فيها، وكأنها كعبة يحج إليها الناس من كل صوب وحدب، وهم يواظبون على التردد إلى هذه الخلوة؛ لما لها من التقديس في قلوبهم، ولما يحوطها من خشوع وجلال، دلّ على ذلك النعت الداخليّ (صمتها المؤمن)، وفي هذا التركيب النعتي كسر لقانون الاختيار select restriction بين المنعوت (صمتها)، وبين النعت (المؤمن) وقد تولّد عن هذا الكسر في الاختيار صورة شعريّة رائعة أشاعت جوّ التقديس والخشوع لهذه الخلوة التي يوصف صمتها وهدوءها بأنه مؤمن ومقدّس، وتستمر الجملة الأساسيّة في الاتساع من خلال نعت العنصر السابق (خلوة) في البيت الآتي بالجملة الفعليّة ذات الفعل الماضي (حكينا بها)، ثم عطف جملة نعتيّة ماضيّة جديدة على الجملة السابقة (وقرأنا بها)، ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة (صوت) بنعت مفرد (مستأذن)، ولا شك أن تنوع النعوت وتداخلها وتكثيفها على هذا النحو عَمِل على تعقيد بناء الجملة الأصليّة وتعقيد الصورة الشعريّة وتركيبها.

إن هذه الصور الشعريّة الثلاث والتي تبدو متفرقة صورة الكأس المهملة، وصورة العينين، وصورة الخلوة في الملهى، هي وجوه ثلاث لشيء واحد، صور ثلاثة للحياة كما يراها الشاعر، تلك الحياة الماضية مع محبوبته التي رحلت، وذكرها تعبير عن انقضاء فترة من العمر غالية لن تعود، وهذا الإحساس الحادّ بالموت يستدعي ذكر الخمر التي تذهب بهمومه.

لقد احتوت القصيدة السابقة على صور شعريّة كثيرة متداخلة ربط النعت بينها مؤديًا دورين هامّين أحدهما تركيبي، وهو: إطالة بناء الجملة الأساسيّة التي تشكّل كل صورة من خلال تقييد أحد عناصرها بالنعوت المتعددة المتنوعة، وقد تتضمن الجمل النعتيّة جملاً نعتيّة داخليّة فتتداخل النعوت وتتشابك وتعقّد الصورة، والآخر دلاليّ، وهو: الربط بين تلك الصور، وبهذا يكون النعت وسيلة مهمة من وسائل التماسك النصيّ.

لقد تبيّن من خلال تحليل القصيدة السابقة دور النعت التركيبي والدلالي في إطالة بناء الجمل التي تشكل بناء الصور الشعريّة، وفي الربط بين تلك الصور في خيط رفيع أشبه بالسحر، لا نراه، لكننا نشعر بتأثيره.

في قصيدة (البكاء بين يديْ زرقاء اليمامة) (دُنْقُل، الصفحات ١٥٩-١٦٥) صورة لما حلّ بالبلاد من الضياع والخراب بعد نكسة يونيو ٦٧، شكّلت النعوت المتتابعة بنية هذه الصورة التي أراد الشاعر رسمها لهذا الخراب، يقول:

لم يبق إلّا الموتُ. .
والحطامُ. .
والدمارْ. .
وصبية مشرّدون يعبرون آخر الأنهارْ
ونسوةٌ يُسَقْنَ في سلاسلِ الأسرِ،
وفي ثياب العارْ
مطأطئات الرأس. . لا يملكن إلّا الصرخات التاعسهْ!

الأبيات السابقة جملة واحدة في الأصل، طالت من خلال نعت أحد عناصرها المعطوف على ما قبله، والجملة هي: (لم يبق إلا الموت والحطام والدمار وصبية) فقد نعتت كلمة (صبية) أحد عناصر الجملة السابقة التي طالت عن طريق العطف بين عناصرها بحرف العطف (الواو) أوّلاً، نعتت هذه الكملة بالنعت المفرد (مشرّدون)، ثم بالجملة الفعليّة المضارعيّة (يعبرون آخر الأنهار) والتي أكّدت معنى التشرد الذي يعيشه هؤلاء الصبية من ناحية، وأفادت تجدّد هذا التشرد واستمراره من خلال زمنها المضارع

الذي يدل على التجدد والحدوث من ناحية ثانية، ثم مناسبة المضارع للتصوير وما فيه من حركة من ناحية ثالثة، وتستمر الجملة في الاتساع عن طريق عطف عنصر جديد على كلمة (صبية) السابقة، وهو كلمة (نسوة)، ثم نعت هذه الكملة بثلاثة نعوت متنوعة، أوّل هذه النعوت النعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع المبني لما لم يُسمَّ فاعله، وبناء الفعل المضارع لما لم يُسمَّ فاعله أفاد أن هؤلاء النسوة أصبحن عُرضة لأن يُسقن في الأسر من أيّ عدوّ، ولم يعد هناك عدوّ واحد معروف، وذلك بعد هذه الهزيمة التي جعلت الأعداء يطمعون في هؤلاء النساء، ثم تطول هذه الجملة النعتيّة الأخيرة نفسها عن طريق عطف جملة (وفي ثياب العار) على الجملة السابقة وقد حُذف من هذه الجملة الفعل (يُسقن) لسبق ذكره، والتقدير: (ونسوةٌ يسقن في سلاسل الأسر، ويسقن في ثياب العار).

أمّا النعت الثاني فكان نعتًا مفردًا (مطأطئات الرأس)، وهو نعت يوحي بمدى الخزي والذلّ والانكسار الذي تشعر به هؤلاء النساء، ويمكن اعتبار هذا النعت جملة اسميّة على أساس أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هُنَّ)، وتكون الجملة من المبتدأ المحذوف والخبر الموجود في محل رفع نعت لكلمة (نسوة) أمّا النعت الثالث فكان بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع المنفي (لا يملكن إلّا الصرخات التاعسة)، وثمّة نعت فرعيّ داخل جملة النعت السابقة وهو (التاعسة) نعت (للصرخات)، وقد أكّد النعت بالجملة الفعليّة السابقة الخزي والعار الذي لحق بمصر وأهلها بعد نكسة يونيو، فهؤلاء النساء لا يملكن إلا صرخات خائبة تاعسة لا تجدي؛ فليس ثَمَّ من مجيب، وليس ثَمَّ من مُصْرِخ!

لقد طالت الجملة السابقة عن طريق وسيلتين هامتين من وسائل إطالة بناء الجملة اللغويّة، هما: العطف والنعت، وكان طولها سببًا في تركيب بنية الصورة الشعريّة التي أراد الشاعر رسمها، ويمكن إعادة كتابة الأبيات السابقة لنتبيّن أنها جملة واحدة في الأصل:

(لم يبقَ إلّا الموتُ والحطامُ والدمارُ وصبيةٌ مشرّدون يعبرون آخر الأنهار، ونسوةٌ يُسَقْنَ في سلاسل الأسر، وفي ثياب العار، مطأطئات الرأس، لا يملكن إلّا الصرخات التاعسة).

وفي قصيدة (الهجرة إلى الداخل) (دُنْقُل، الصفحات ٢٨٧-٢٩١) صورة شعريّة مركّبة، لحمتها وسداها النعوت المتعددة المتنوعة والتي راح الشاعر يولّد منها نعوتًا فرعيّة داخليّة ركّبت صورًا جزئيّة نعتيّة، عَمِلتْ على تشابك بناء الجملة الأصليّة، وتعقّد الصورة الشعريّة:

أخرج للصحراء!
أصبح كلبًا داميَ المخالِبْ
أنبش حتى أجدَ الجثةَ،
حتى أقضم الموت الذي يدنّس الترائب!
أدسُّ في الحفرة وجهيَ الشَّرِه المحمومْ
تصبحُ بوقًا مصمتًا حول فميَ المنكفئ المزمومْ

إنّ الأبيات السابقة كلها جملة واحدة بسيطة في الأصل (أصبح كلبًا)، وقد طالت من خلال تقييد أحد عناصرها (كلبًا) الواقع خبرًا للفعل الناسخ (أصبح) بالنعوت المتعددة، وأوّل هذه النعوت هو النعت المفرد (دامي المخالب)، ثم النعت بالجملة الفعليّة (أنبش حتى أجدَ الجثّة) وتستمر الجملة الأصليّة في الاتساع من خلال عطف جملة نعتيّة مضارعيّة على الجملة النعتيّة السابقة، سقط منها حرف العطف (الواو) (حتى أقضم الموت الذي يدنّس الترائب)، وقد طالت هذه الجملة النعتية المعطوفة عن طريق نعت أحد عناصرها بالاسم الموصول (الذي) وصلته (يدنّس الترائب)، وقد قام هذا النعت الداخليّ بتشكيل صورة جزئيّة داخل الصورة الشعريّة الكبرى، وتستمر الجملة الأصليّة في الطول والاتّساع من خلال العودة إلى نعت العنصر السابق فيها (كلبًا) بالنعت بالجملة الفعليّة (أدسّ في الحفرة وجهيَ الشَّرِه المحموم)، وتطول هذه الجملة النعتيّة بدورها من خلال نعت أحدِ عناصرها (وجهي) الواقع مفعولاً به بنعتين مفردين، وهما (الشَّرِه)، و(المحموم)، وقد قام هذان النعتان الفرعيّان بتشكيل صورة جزئيّة جديدة داخل الصورة الشعريّة الكبرى، وتستمر هذه الجملة النعتيّة الأخيرة في الاتّساع والامتداد والتشابك من خلال تقييد أحد عناصرها (الحفرة) بوسيلة لغويّة أخرى من وسائل إطالة بناء الجملة، وهي جملة الحال (تصبح بوقًا مصمتًا حول فمي المنكفئ المزموم)، والتي تطول هي الأخرى من خلال تقييد أحد عناصرها (بوقًا) بنعت مفرد (مصمتًا)، ثم بالنعت بشبه الجملة الظرف (حول فمي)، ثم نعت ما أضيف إليه النعت الظرف (فمي) بنعتين مفردين (المنكفئ)، و(المزموم)، ولا شك أن تداخل النعوت وتكثيفها على هذا النحو ممّا زاد من تشابك بناء الجملة الأصليَّة وتعقيدها، وممّا زاد من تعقيد الصورة الشعريّة الكبرى وتركيبها.

وفي قصيدة (حكاية المدينة الفضيّة) (دُنْقُل، الصفحات ٢٩٢-٣٠٠) يرسم الشاعر صورة تمثل الخراب والضياع بعد سقوط القدس في أيدي اليهود، ساعدت النعوت على تشكيل هذه الصورة، يقول:

يا طريق التَّلِّ:
ما زالت على جنبكِ آلافُ النفايات .
لسكان القباب المصمتةْ
من قمامات البقايا الميتةْ
وزجاجات خمورٍ فارغة
وكلابٍ والغةْ
ورمادٍ، وورقْ
آه . يا ذكرى الحنين المحترقْ

فبعد سقوط القدس حدثت أشياء فاجعة وحلّ الخرابُ في تلك المدينة المقدّسة، ولم يَعُدْ إلّا قمامات من بقايا منعوتة

بأنها (ميّتة)، واختيار نعت القمامات بأنها ميّتة، يدل على أنها أسوأ القمامات وأنتنها، وهو أدعى إلى جوّ الخراب والدمار والعبث الذي تشهده هذه المدينة، وإلى جانب هذه القمامات الميّتة زجاجات خمور (فارغة)، وكلاب (والغة) وهي نعوت تشعّ جوّ الخراب الذي أراد الشاعر تصويره من خلال هذه النعوت الدالة.

ويغيب الشاعر في حلم أسطوريّ يبتلع ويوظّف «موتيفة» شهرزاد القديمة فتلفظه مركبة الأميرة، وتدخله المدينة (فضل، صفحة ٣٠)، ويعجز الشاعر أن يشكرها؛ لأن كلمات الشكر ولّت كما يقول، ولا يملك إلّا أن يتغزل فيها؛ فتطول الجمل، ويبدأ التصوير، يقول الشاعر:

«أغريبٌ ؟»
قلتُ: ما عدتُ غريبًا
بيتنا كان على ربوة نجمهْ
كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا
عن جبين يهبُ العمر تناهيد ورحمهْ
ورسمنا وجهك المعبودَ فوق المنزلِ
وعلى صدر الربيع المقبلِ
وتعشقناك: حزنا أرجوانيًّا أميرا
وتعشقناك: شعرًا كستنائيا غزيرا
وتعشقناك: ثوبًا جدلته الحورُ
من زهو المطر
وعشقنا فيك: حتى خُفَّكِ المجلوبَ من وادي القمر!

فقد اتسعت جملة (بيتنا كان على ربوة نجمة) من خلال تعدد الخبر فجملة (كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا) في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ (بيتنا) وتعدد الخبر وسيلة مهمة من الوسائل اللغويّة لإطالة بناء الجملة، وفي هذه الجملة أحلّ الشاعر النعت محل المنعوت في قوله (كثيرًا) والأصل: وقتًا كثيرًا، وهو من دواعي اتساع الجملة الأصليّة، وتستمر هذه الجملة الواقعة خبرًا ثانيًا للمبتدأ في الاتساع من خلال نعت أحد عناصرها الاسم المجرور بحرف الجر (عن) (جبين) بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع (يهب العمر تناهيد ورحمة)، وتستمر الجملة في الاتساع والطول عن طريق عطف جملة خبريّة جديدة عليها وهي (ورسمنا وجهك المعبود فوق المنزل وعلى صدر الربيع المقبل) ولاكتمال الصورة ولّد الشاعر من الجملة الخبريّة السابقة نعتين داخليين، وهما نعت (وجهك) بـ (المعبود)، ونعت (صدر الربيع) بـ (المقبل)، وتستمر الجملة الأصليّة في الاتساع والطول من خلال عطف أربع جمل جديدة على الجملة السابقة تبدأ ثلاث منها بداية واحدة (وتعشقناك) وتحمل كل جملة في طيّاتها نعوتًا متنوعة متعددة، أوّل هذه الجمل جملة (وتعشقناك: حزنا أرجوانيًّا أميرا)، حيث نعت أحد عناصر هذه الجملة (حُزنا) بنعتين مفردين متنوعين في الصيغة، الأوّل بالاسم المنسوب (أرجوانيًّا) والثاني بالصفة المشبّهة (أميرا)، والجملة الثانية (وتعشقناك: شعرًا كستنائيًّا غزيرا) حيث نعت أحد عناصرها (شعرًا) بنعتين مفردين أيضًا هما: كستنائيًّا، وغزيرًا الأول منهما اسم منسوب، والثاني صفة مشبّهة على زنة (فعيل)، والجملة الثالثة (وتعشقناك: ثوبًا جدلته الحور من زهو المطر) حيث نعت فيها كلمة (ثوب) بالنعت بالجملة الفعليّة الماضية (جدلته الحورُ من زهو المطر)، أمّا الجملة الرابعة فقد نعت أحد عناصرها (خفّك) بالنعت المفرد (المجلوب من وادي القمر).

وهكذا ساعدت النعوت على تشكيل الصورة التي أرادها الشاعر للقدس (الفتاة الجميلة) من خلال تعددها وتنوعها. في قصيدة (لا وقت للبكاء) (دُنْقُل، الصفحات ٣١٥-٣٢١) التي يرثي فيها الشاعر الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، ويرثي الأمّة العربيّة كلّها، وهو في هذه القصيدة يُبَشّر بالثورة والنصر على الأعداء بعدما حلّ بالبلاد من حزن عظيم بسبب رحيل زعيمها وبسبب نكسة يونيو ٦٧، يقول الشاعر مُبَشرًا بالثورة المنتصرة:

وها أنا - الآن - أرى في غدك المكنونْ:
صيفًا كثيف الْوَهْجْ
ومدنا تَرْتَجُّ
وسفنًا لم تَنْجْ
ونجمة تسقط - فوق حائط المبكى - إلى التراب
وراية (العُقاب)
ساطعةً في الأوْجْ

فالأبيات السابقة كلها جملة واحدة في الأصل وهي: (أرى في غدك المكنون صيفًا)، وقد طالت هذه الجملة عن طريق نعت المجرور بحرف الجر (غدك) بالنعت المفرد المكنون، ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة (صيفًا) الواقع مفعولاً به للفعل (أرى) بالنعت المفرد (كثيف الوهج)، واستمرت الجملة في الطول من خلال عطف عنصر جديد (مدنًا) على العنصر السابق (صيفًا)، ثم نعت هذه المدن بالجملة الفعليّة المضارعيّة (ترتج)، وبعطف عنصر جديد على ما تقدم وهو قوله (سفنًا) ثم نعت هذا المعطوف بالجملة الفعليّة المضارعيّة المجزومة بـ (لم)، وهي (لم تنج)، وتستمر الجملة الأصليّة في الامتداد والطول بعطف عنصر جديد على العناصر السابقة وهو (ونجمة) ثم نعت هذا المعطوف بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع، وهو ما يناسب التصوير والحركة (تسقط - فوق حائط المبكي - على التراب)، لقد امتدّت الجملة السابقة وطالت من خلال وسيلتين لغويتين مهمتين هما العطف والنعت، وأدّيا دورًا تركيبيًا مهمًا، وهو إطالة بناء الجملة الذي شكّل الصورة الشعريّة التي أراد الشاعر رسمها وعمِلا على تعقيد بناء هذه الصورة وتركيبها. ولو أننا أعدنا كتابة هذه الأبيات لوجدناها جملة واحدة طالت من خلال تقييد أحد عناصرها بالنعت ثم بالعطف وتقييد كل عنصر معطوف بالنعت أيضًا مع تنوع هذا النعت بين المفرد والجملة، ممّا أدّى إلى طول الجملة الأصليّة وامتدادها عن طريق هاتين الوسيلتين اللغويتين من وسائل إطالة الجملة، وما ترتّب على ذلك من تركيب الصورة الشعريّة، والجملة الطويلة هي:

(وها أنا - الآن - أرى في غدك المكنون صيفًا كثيفَ الوهج، ومدنا ترتج، وسفنا لم تنج، ونجمة تسقط - فوق حائط

المبكي - إلى التراب، ورايةُ (العقاب) ساطعةً في الأوج).
في قصيدة «سفر التكوين - الإصحاح الثالث» (دُنْقُل، صفحة ٣٣٣) صورة معقّدة وهي عبارة عن جملة واحدة طالت عن طريق أحد عناصرها بالنعوت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع، يقول الشاعر:

أصبح العقل مغتربًا يتسوّل، يقذفه صبيةٌ
بالحجارة، يوقفه الجندُ عند الحدود، وتسحبُ
منه الحكومات جنسيّة الوطنيّ. . وتدرجه في
قوائم من يكرهون الوطن

الأبيات السابقة جملة واحدة (أصبح العقل مغتربًا) طالت من خلال تقييد أحد عناصرها بالنعوت المتعددة، وهو كلمة (مغتربًا) الواقعة خبرًا للفعل الناسخ (أصبح)، وهو نعت قام مقام المنعوت المحذوف، والتقدير: (إنسانًا مغتربًا)، وهذا من دواعي الاتّساع في الجملة، وقد قُيّدت هذه الكلمة بأربعة نعوت جاءت كلها نعوتًا بالجملة الفعليّة المضارعيّة، أول هذه النعوت جملة (يقذفه صبية بالحجارة) والتي تدل على مدى إهانة هذا العقل الذي أصبح مغتربًا، وتستمر الجملة في الطول بتقييد العنصر نفسه بجملة نعتيّة أخرى (يوقفه الجندُ عند الحدود)، وهو نعت يؤكد معنى النعت السابق، وأنّ هذا العقل لا يحظى بأيّ احترامٍ من ذوويه وأهله، وتواصل الجملة طولها من خلال العطف على الجملة السابقة بجملة نعتيّة جديدة، وهو عطف متمم للمعنى ومكمل لصورة الهوان التي يرسمها الشاعر لذلك العقل المغترب (وتسحب منه الحكومات جنسيّة الوطنيّ)، ثم العطف بجملة نعتيّة جديدة (وتدرجه في قوائم من يكرهون الوطن).

ويلاحظ على الصورة السابقة أنها بنيت على النعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع، ممّا يعني تكرار هذه الأفعال وتجدّدها، (إن التعبير بالفعل المضارع يصنع تجسيدًا واضحًا وتصويرًا حيًّا للصورة الفنيّة، واستمرارًا للمعنى) (عفيفي، ١٩٩٢، صفحة ٦).

ثمّة صورة شعريّة جديدة في القصيدة السابقة - الإصحاح الرابع، رُكّبت من النعوت المتنوعة، وهي عبارة عن جملة واحدة طويلة، يقول الشاعر (دُنْقُل، صفحة ٣٣٤):

قلتُ: فليكن الدمُ نهرًا من الشهد ينساب تحت فراديس عدنْ
هذه الأرض حسناء، زينتها الفقراء، لهم تتطيُّب،
يعطونها الحبُّ، تعطيهم النسل والكبرياء
قلتُ: لا يسكن الأغنياء بها. الأغنياء الذين
يصوغون من عرق الأُجراء نقود زنا. . ولآلئ
تاج. وأقراط عاج. . ومسبحة للرياء.

فقد تتابعت النعوت في الأبيات السابقة لتشكل الصورة الشعريّة النعتيّة، وهي نعوت متعددة متنوعة.

بُنيت الصورة الشعريّة على جملة «هذه الأرض حسناء» من خلال تقييد المنعوت المحذوف، وتقديره: «فتاة حسناء»، بنعت مفرد (حسناء)، يلي ذلك النعت بالجملة الاسميّة (زينتها الفقراء)، ثم النعت بالجملة الفعليّة (لهم تتطيّب) وقد تقدّم فيها عامل الفعل عليه (لهم)، وهو تقديم لا يخلو من دلالة، فكأنه يريد أن يقول بهذا التقديم إنها لا تتطيب إلّا لهم، ولهم فقط، وتستمر الجملة في الاتساع من خلال النعت بجملتين فعليتين مترتبين على النعوت السابقة، وهما: (يعطونها الحبّ) ومن ثَمّ (تعطيهم النسل والكبرياء).

ويلاحظ على الصورة السابقة كثرة النعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع، وهو ممّا يناسب التصوير والحركة.

قصيدة (سفر ألف دال - الإصحاح العاشر) (دُنْقُل، الصفحات ٣٦٣-٣٦٤) يقوم النعت فيها بدور كبير في تشكيل بنية الصورة الشعريّة، حيث تتتابع فيها النعوت لتشكل الصورة الشعريّة النعتيّة في الأبيات، وهي نعوت متنوعة شملت القصيدة كلها، وراح الشاعر يولّد من الصورة النعتيّة الأصليّة صورًا نعتيّة داخليّة من خلال النعوت الداخلية الفرعيّة التي تتضمنها الجمل النعتيّة في القصيدة، يقول الشاعر:

الشوراع في آخر الليل. . آه. .
أراملُ متشحاتٌ. . ينهنهن في عتبات القبور - البيوتْ.
قطرة. . قطرةً؛ تتساقط أدمُعُهنّ مصابيح ذابلةً،
تتشبّث في وجنة الليل، ثم. . تموتْ!
الشوارع - في آخر الليل - آه. .
خيوطٌ من العنكبوتْ. .
والمصابيح - تلك الفراشات - عالقةٌ في مخالبها،
تتلوّى. . فتعصرها، ثم تَنْحَلُّ شيئًا. . فشيئًا. .
فتمتص من دمها قطرة. . قطرة ؛
فالمصابيحُ: قوتْ!
الشوارع - في آخر الليل - آه. .
أفاعٍ تنام على راحة القمر الأبديّ الصموتْ
لمعانُ الجلود المفضضة المستطيلة يغدو. . مصابيحَ. .
مسمومة الضوء، يغفو بداخلها الموتُ ؛
حتى إذا غرب القمر: انطفأتْ،
وغلى في شرايينها السمّ
تنزفه: قطرة. . قطرة؛ في السكون المميتْ!
وأنا كنت بين الشوارع. . وحدي!
وبين المصابيح. . وحدي!
أصبّبُ بالحزن بين قميصي وجلدي
قطرة. . قطرة؛ كان حبي يموتْ!
وأنا خارج من فراديسه. .
دون ورقة توتْ!

لقد أدّى النعت في هذه القصيدة وظيفتين هامتين وهما: طول الجملة بسبب تعدد النعوت وتنوعها وتداخلها، وتركيب صور شعريّة متماسكة في القصيدة، وهذه الوظيفة الدلاليّة الثانية مترتبة على الوظيفة التركيبيّة الأولى.

تحتوي القصيدة على أربع صور معقّدة مركّبة في المقاطع الأربعة التي تكوّنها، (والتي تدور في النهاية حول محور واحد، هو الشعور بالموت والذبول والانطفاء) (زايد، ١٤١٤هـ، صفحة ٦٨).

لقد تكوّنت القصيدة من أربعة أبيات أو مقاطع، وقد توحّدت قوافي هذه المقاطع الأربعة (تموتْ - قوتْ - المميتْ - توتْ) وهي قوافٍ مقيدة بتاء ساكنة مسبوقة في ثلاثٍ منها بحركة الردف الطويلة واو المدّ، أما القافية الرابعة

(المميت) فالردف فيها هو (الياء)، وهو ممّا يسمح به النظام العروضيّ من المراوحة في الردف بين الواو والياء.
ويلاحظ أن كلمات القافية جاءت مناسبة لجوّ القصيدة، وهو الفقد والضياع والموت لتجربة الشاعر العاطفيّة التي انتهت بالفشل والتي لم يخرج من فراديسها دون ورقة توت، وقد ترتّب هذا التناسب على اتّحاد القافية رغم تباعد ما بينها، ورغم استطالة المقطعين الأوّل والثالث.
وممّا يلفت الانتباه في هذه القصيدة كسرُ قوانين الاختيار في أكثر من موضع في علاقة النعت بالمنعوت، فهناك مصادمة واضحة في نعت المصابيح بأنها ذابلة، وبأنها تتشبّث في وجنة الليل ثم تموت، وهناك مصادمة وإخلاف للتوقع في نعت الأفاعي المخبر بها عن الشوارع - والتي تمثّل صدمًا للاختيار في الإخبار بها عن الشوارع بأنها تنام على راحة القمر الأبديّ الصموت، بالإضافة إلى المصادمة في إضافة الراحة إلى القمر، والمصادمة في نعت القمر بأنه صموت، ثم المصادمة في الاختيار بعد ذلك في نعت المصابيح بأنها مسمومة الضوء، ويغفو بداخلها الموت، وهي نعوت جرت كُلّها على غير ما هو له ممّا ساعد على تكوين صور استعاريّة كثيرة في القصيدة.
لقد شكّلت النعوت بناء القصيدة الذي يعتمد على ثنائيّة مزدوجة: الأشياء المحيطة بالشاعر والتي تموت وتذبل وتنطفئ ممثلة في الشوارع، والمصابيح، والفراشات، والشاعر نفسه وقصّة حبّه التي تنتهي بالفشل والانطفاء والموت والذبول؛ ولذلك تقوم كل جملة بعرض مظهر من مظاهر الموت والانطفاء ممثلة في المصابيح، والفراشات، والأرامل المتشحات. والبداية واحدة، والنهاية أيضًا واحدة، ولذلك بدأت جمل القصيدة بداية واحدة يتصدرها (الشوارع)، وتنتهي أيضًا نهاية واحدة، وهي موت الحبّ الذي فجع الشاعر وأصابه بالكآبة واليأس، وهنا ساعد النعت وبناء الجمل النحوي على تماسك صور القصيدة، حتى جاءت كل منها وحدة واحدة.
في هذه القصيدة أربع جمل طويلة مثّلت الصورة الشعريّة الكبرى للقصيدة؛ إذ عرضت كُلَّ صورة منها جملةٌ واحدة، ومما يسترعي الانتباه أن هذه الجمل الأربع تبدأ بداية واحدة هي قوله: (الشوارع - في آخر الليل - آه).
وقد أطالت النعوت بناء الجملة في القصيدة، وترتّب على ذلك تركيب الصور الشعريّة؛ ففي المقطع الأوّل أخبر الشاعر عن الشوارع بأنها أرامل مع ملاحظة ما في هذا الإخبار من إخلاف للتوقّع وصدمٍ للاختيار ممّا كوّن صورة شعريّة، ثم أخذ في نعت هذا الخبر بنعوت متنوعة متعددة متداخلة أدّت إلى تشابك بناء الجملة الأصليّة واتساعها، فالجملة الأصليّة هي: (الشوارع - في آخر الليل - آهٍ أرامل)، وقد اتّسعت عن طريق تقييد خبرها (أرامل) بالنعوت الآتية:
(متّشحات)، وهو نعت مفرد، اسم فاعل من الفعل الخماسي (اتّشح)، والاتشاح لا يكون إلّا بالسواد؛ لأنهن أرامل ممّا يساعد في رسم صورة الحزن الذي يخيّم على هذه الصورة الفنيّة التي يرسمها الشاعر تصويرًا لحزنه وضياعه.
(يُنَهْنِهْنَ في عتبات القبور - البيوتْ)، وهو نعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع والذي يفيد الاستمرار والتجدد، وقد أُريد بهذا النعت تعميقُ صورة الحزن والضياع والموت ممثلاً في تلك الأرامل المتشحات اللائي يبكين بكاءً شديدًا وبحرقة.
(قطرة. قطرة تتساقط أدمعهن مصابيح ذابلة تتشبّث في وجنة الليل، ثم تموت)، وهو نعت بالجملة الفعليّة تقدّم فيها الحال (قطرة. قطرة) على عاملها (تتساقط)، وقد زاد هذا النعت من حالة الحزن الجاثم على صدر الشاعر، حيث تتحول المصابيح إلى دموع تتساقط من عيون هؤلاء الأرامل، والتي تحاول أن تتشبّث في وجنة الليل فلا يصيبها إلّا الموت والفناء، وتستمر الجملة في الاتساع بتداخل النعوت، فنرى تقييدًا لبعض عناصر جملة النعت السابقة، وتوليد نعوت داخليّة لإتمام الصورة واكتمالها؛ فينعت الشاعر المصابيح بالنعت المفرد (ذابلة) ثم بالجملة الفعليّة (تتشبّث في وجنة الليل)، ثم عطف جملة نعتيّة على هذه الجملة وهي قوله: (ثم تموت)، وبذلك تداخلت جملة نعتيّة في بناء جملة نعتيّة أخرى، فتراكبت الجملة الواحدة وحوت في داخلها أكثر من جملة، وقد أدّى هذا التداخل في النعوت وتكثيفها على هذا النحو إلى تعقّد بناء الجملة الأصليّة، وتعقّد الصورة الشعريّة وتركيبها، (وتداخل النعوت على هذا النحو صورة من صور الاتّساع المتنوعة التي يصنعها النعت في بناء الجملة، حيث تتداخل النعوت بصور متنوعة وتتوالد منها صور جزئيّة بالنعت) (خضر، ٢٠٠٠، صفحة ٧٠).
إنّ تداخل النعوت على هذا النحو وتنوعها وتعددها عمِل على تشابك بناء الجملة وامتدادها، وشكّل بنيّة الصورة الشعريّة التي ترسمها، لقد عمِلت النعوت - هنا - على تصوير حالة الموت والانطفاء والذبول كأحسن ما يكون التصوير من خلال إضافة معانٍ جديدة كلما أضيف نعت جديد.
تعود القصيدة في المقطع الثاني فتبدأ جملة أخرى بمثل ما بدأت به الجملة السالفة، مِمّا يشعر بأنها سوف تنتهي النهاية الدامية نفسها. غير أن هذه الجملة صورة أخرى من صور الموت؛ ممثّلة في المصابيح (الفراشات) التي تعلق بخيوط العنكبوت وتموت، وقد ساعد النعت بشبه الجملة على تحديد وتخصيص نوع هذه الخيوط بنعت تلك الخيوط بشبه الجملة الجار والمجرور (من العنكبوت) التي ستكون شبكة محكمة لتلك المصابيح (الفراشات) حتى تقضي عليها وتموت، وهكذا يلفّ الموت والانطفاء هذه الصورة.
وفي المقطع الثالث أخبر الشاعر عن تلك الشوارع بأنها أفاعٍ - مع ملاحظة ما في ذلك من صدمٍ لقانون الاختيار، وما ترتّب على هذا الصدم من تكوين صورة شعريّة استعاريّة، ثم أخذ في نعت هذه الأفاعي بنعوت متنوعة متعددة أطالت بناء الجملة الأصليّة، فقد نعت هذه الأفاعي أوّلاً بالجملة الفعليّة (تنام على راحة القمر الأبديّ الصموت)، ثم نعت أحد عناصر هذه الجملة النعتيّة (القمر) بنعتين مفردين هما: الأبديّ، والصموت، ثم عاد مرّة أخرى إلى

نعت تلك الأفاعي بالجملة الاسميّة التي حُذف منها الرابط، لكنّه منويّ (لمعان الجلود المفضّضة المستطيلة يغدو مصابيح مسمومة الضوء، يغفو بداخلها الموت) والتقدير: (لمعان جلودها)، ثم راح يولّد من هذه الجملة النعتيّة نعوتًا فرعيّة داخليّة شكّلت صورًا نعتيّة داخليّة. وزادت من تعقيد بناء الجملة وتعقيد الصورة الشعريّة الأساسيّة، فنراه ينعت (الجلود) أحد عناصر الجملة النعتيّة بنعتين مفردين هما: (المفضضّة)، و(المستطيلة)، مع ملاحظة أنّ خبر هذه الجملة النعتيّة الاسميّة خبر جملة فعليّة (يغدو مصابيح) ممّا زاد في تركيب الجملة الأصليّة، وينعت الشاعر أحد عناصر هذه الجملة الخبريّة الداخليّة (مصابيح) بالنعت المفرد (مسمومة الضوء)، ثم بالجملة الفعليّة (يغفو بداخلها الموت)، وقد أدّى تداخل النعوت وتكثيفها على هذا النحو - كما هو واضح - إلى تشابك بناء الجملة الأصليّة وتعقيد الصورة الشعريّة، وتستمر الجملة في الاتساع والامتداد من خلال نعت تلك المصابيح بالجملة الشرطيّة المركّبة (حتى إذا غرب القمرُ انطفأت)، ثم بعطف جملة نعتيّة أخرى (وغلى في شرايينها السمّ) على جملة جواب الشرط غير الجازم (انطفأت) ثم بالجملة الفعليّة (تنزفه قطرة. قطرة في السكون المميت) الواقعة حالا من السّمّ في قوله (وغلى في شرايينها السمّ) (، ثم نعت أحد عناصر الجملة النعتية الأخيرة (السكون) بالنعت المفرد (المميت).

ولا شك أنّ تداخل النعوت وتنوعها على هذا النحو جعل الجملة الأساسيّة (الشوارع - في آخر الليل - أفاعٍ) تطول كل هذا الطول، مما ترتب عليه رسم صورة شعريّة معقّدة تخللتها صور فرعيّة جزئيّة، رسمت في وضوح وجلاء حالة الحزن والذبول التي تسيطر على الشاعر والتي تلفّ القصيدة.

وقد أدّت هذه النعوت المتتابعة المتداخلة التي شكّلت بنية الصورة الشعريّة، وهي صورة الانطفاء والذبول الذي يلفّ الأشياء من حول الشاعر، أدّت إلى الانتقال إلى الصورة التي تُعَدُّ نتيجة طبيعيّة لذلك، وهي صورة الشاعر نفسه الذي فشل في حبّه الضائع الذي يتصبّب حزنًا والذي لا يخرج من فراديس حبه إلّا خاويَ الوفاض، وإلّا خاويًا حتى من ورقة توت.

وقد تطول الجملة طولاً مفرطًا عن طريق النعت بالاسم الموصول الذي يحتاج دائمًا إلى ما يتمم صلته، فالموصول وصلته كالاسم الواحد كما يقول النحاة، ويترتب على هذا الطول تركيب الصور الشعريّة، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (سفر التكوين - الإصحاح التاسع) (دُنْقُل، الصفحات ٣٦٠-٣٦٢) حيث يقول:

دائمًا أتحسّسُ ملمسَ كفّك في كل كفّ
المقاهي التي وهبتنا الشرابَ،
الزوايا التي لا يرانا بها الناس،
تلك الليالي التي كان شعرك يبتلُّ فيها. .
فتختبئين بصدري من المطر العصبيّ،
الهدايا التي نتشاجر من أجلها،
حلقاتُ الدخان التي تتجمع في لحظات الخصام

الأبيات السابقة كلها جملة واحدة (أتحسس ملمس كفك في كل كفّ المقاهي) طالت من خلال التقييد لبعض عناصرها بالنعت بالاسم الموصول وصلته، فقد قيّد الشاعر (المقاهي) وهو اسم منصوب على نزع الخافض، والتقدير: في المقاهي - بالنعت بالاسم الموصول (التي) وصلته (وهبتنا الشراب)، وبذلك طالت الجملة قليلا، ثم أخذت في الاتّساع والطول بنعت مماثل لعنصر آخر، وهو (الزوايا) - المنصوب على نزع الخافض أيضًا - بالنعت بالاسم الموصول (التي) وصلته (لا يرانا بها الناسُ)، ثم نعت (الليالي) بالاسم الموصول (التي) وصلته (كان شعرك يبتلّ فيها فتختبئين بصدري من المطر العصبيّ) وهذه الجملة جملة مركّبة طالت بدورها من خلال ترتّب جملة فيها على أخرى، ومن خلال نعت أحد عناصرها (المطر) بالنعت المفرد (العصبيّ)، وهو اسم منسوب مؤول بالمشتق (الشديد)، ثم عاد إلى نعت كلمة الهدايا بالاسم الموصول (التي) وصلته (نتشاجر من أجلها)، وتستمر الجملة الأساسيّة في الطول من خلال نعت عنصر جديد معطوف على ماسبق، وهو (حلقات الدخان) بالاسم الموصول وصلته (التي تتجمع في لحظات الخصام)، وقد أدّى النعت بالموصول وصلته إلى طول الجملة الأصليّة وتعقّد بنائها، ومن ثمّ إلى تعقّد الصورة الشعريّة في القصيدة وتركيبها.

وفي قصيدة (مزامير - المزمور السابع) (دُنْقُل، صفحة ٣٧٣) صورة شعريّة لحمتها وسداها النعوت المتنوعة المتعددة، يقول الشاعر:

جاء الأناسُ الميتون، يحملونَ. .
أكفانهم؛ أطيارُهم ليست إلى أعناقهم ؛
يستفسرون:
«ماذا أتى بنا هنا ؟!»
أتت بكم امرأةٌ خاطئةٌ،
نهودها دافئةٌ،
ولحمها معطّر النكهةْ
قد استدارت في فراشها برهةْ
عانقت الجدارَ، قبّلت وجههْ

لقد بُنيت الصورة الشعريّة على جملة واحدة في الأصل (أتت بكم امرأةٌ) من خلال تقييد أحد عناصرها (امرأةٌ) الواقع فاعلاً، بالنعوت المتنوعة، أوّل هذه النعوت النعت المفرد (خاطئةٌ)، ثم النعت بالجملة الاسميّة (نهودها دافئة)، ثم عطف جملة اسميّة نعتيّة أخرى، وهي (ولحمها معطّر النكهةْ)، وتستمر الجملة الأصليّة في الاتّساع بإضافة نعت جديد لتلك المرأة بالجملة الفعليّة الماضيّة (قد استدارت في فراشها برهةْ)، ثم بجملتين فعليتين ماضيتين أيضًا وهما: (عانقتِ الجدار)، (قبلت وجهه).

إنّ تنوع النعوت هنا بين المفرد وبين الجملة بنوعيها، وتعددها مثل هذا التعدد مِمّا عمِل على امتداد الجملة الأصليّة واتّساعها، وتشكيل بنية الصورة الشعريّة لتلك المرأة التي يتحدّث عنها الشاعر.

ويمكن إعادة كتابة الأبيات السابقة بطريقة أخرى لنعرف

أنها جملة واحدة ممتدة:
(أتت بكم امرأةٌ خاطئة، نهودها دافئة، ولحمها معطّر النكهة، قد استدارت في فراشها برهةْ، عانقت الجدار، قبّلت وجههْ).
في قصيدة (من أوراق أبي نواس - الورقة الخامسة) (دُنْقُل، الصفحات ٣٨٢-٣٨٤) صورة شعريّة بُنيت على النعت بالجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع الذي يناسب التصوير والحركة في الشعر، يقول الشاعر:
وأمّي خادمة فارسيّهْ
يتناقل سادتُها قهوة الجنس وهي تدير الحطبْ
يتبادلُ سادتُها النظرات لأردافها. .
عندما تنحني لتضيء اللهب
يتندّر سادتها الطيبون بلهجتها الأعجميَّة!
نائمًا كنت جانبها، ورأيتُ ملاك القدسْ
ينحني، ويربت وجنتها
الأبيات السابقة كلها جملة واحدة بسيطة في الأصل (وأمّي خادمة) طالت من خلال تقييد خبرها (خادمة) بالنعوت المتعددة، فقد نعتت بالمفرد (فارسيّة) ثم بثلاث جمل فعليّة مضارعيّة طويلة، الجملة الأولى: (يتناقل سادتها قهوة الجنس وهي تدير الحطب)، وقد طالت هذه الجملة النعتيّة بدورها من خلال تقييد المنعوت السابق (خادمة) بجملة الحال الاسميّة (وهي تدير الحطب)، الجملة الثانية هي: (يتبادل سادتُها النظرات لأردافها عندما تنحني لتضيء اللهب) وهي جملة طويلة مركّبة من جملتين (يتبادل سادتُها النظرات لأردافها)، و(عندما تنحني لتضيء اللهب)، أمّا الجملة الثالثة التي نعتت بها كلمة (خادمة) فهي: (يتندّر سادتها الطيّبون بلهجتها الأعجميّة) وقد ولّد الشاعر من هذه الجملة النعتيّة نعتين مفردين داخليين وهما: (الطيّبون) نعتًا لـ (سادتها)، و(الأعجميّة) نعتًا لـ (لهجتها)، وقد عَمِل هذا التداخل في النعوت، وتعددها على تشابك بناء الجملة الأصليّة وتعقيدها، وتركيب الصورة الشعريّة، وتستمر الجملة الأصليّة في الاتّساع من خلال نعت تلك الخادمة في البيت الآتي بالجملة الاسميّة التي تقدّم خبرها على فعلها الناسخ وهي: (نائمًا كنت جانبها)، ثم عطف جملة نعتيّة على هذه الجملة، وهي (ورأيت ملاك القدس) ثم تقييد المفعول به في هذه الجملة (ملاك القدس) بجملة الحال الفعليَّة (ينحني)، ثم عطف جملة حاليّة فعليّة أخرى عليها (ويربت وجنتها)، وقد أدّى ذلك إلى طول الجملة النعتيّة الأخيرة وتراكبها، ومن ثمَّ إلى تراكب الجملة الأصليّة وتعقّد بنائها.
ويلاحظ على الصورة السابقة كثرة النعت بالجملة الفعليّة المضارعيّة، وهو ممّا يناسب التصوير والحركة في الشعر.
في قصيدة (لعبة النهاية) (دُنْقُل، الصفحات ٤٤٧-٤٤٨) صورة شعريّة تقوم على المجاز والاستعارة تسعى لإقامة تصوّر يحدّد للقارئ ما هيّة الموت في بُعْدٍ من أبعاده وشكل من أشكاله المختلفة من منظور رؤية الشاعر له (عطا، ٢٠٠٣م)، فهو يصوّر الموت بإنسانٍ لا يحبّ البساتين، لكنه يتسلّل من سورها المتآكل، فهو أشبه بلصّ يصنع من أوراق الثمار تاجًا له يلبسه في الخريف، وقد شكّلت هذه الصورةَ النعوتُ المتتابعة المتداخلة، يقول:
لا يحبّ البساتينَ. .
لكنّه يتسلّل من سورها المتآكل،
يصنع تاجًا:
جواهره. . الثمر المتعفّنُ،
إكليلهُ. . الورق المتغضّنُ،
يلبسه فوق طوق الزهور
الخريفيّة
الذابلة!
لقد بُنيت الصورة الشعريّة في القصيدة على جملة واحدة بسيطة امتدّت من خلال تقييد أحد عناصرها بالنعوت، والجملة هي: (يصنع تاجًا)، والعنصر الذي قُيّد بالنعوت هو كلمة (تاجًا) الواقع مفعولاً به، فقد نعت أوّلاً بالجملة الاسميّة (جواهره. . الثمر المتعفّن)، ثم توليد نعت داخليّ من هذه الجملة النعتيّة نفسها، وهو نعت (الثمر) بالنعت المفرد (المتعفّن) مع ملاحظة كسر قانون الاختيار في الإخبار عن الجواهر بالثمر المتعفّن ممّا شكل صورة استعاريّة داخليّة، وتستمر الجملة الأصليّة في الاتّساع من خلال نعت هذا التاج بجملة اسميّة جديدة هي (إكليله. . الورق المتغضّن) ثم توسيع هذه الجملة النعتيّة الأخيرة بتقييد أحدِ عناصرها (الورق) بالنعت المفرد (المتغضن)، وهذا التداخل في النعوت أدّى إلى تشابك بناء الجملة، ويلاحظ أيضًا كسر قانون الاختيار في الإخبار عن إكليل التاج بالورق المتغضن، ممّا ولّد صورة جزئية داخليّة، وزاد من تعقيد الصورة الشعريّة التي يرسمها الشاعر للموت، وتستمر الجملة الأصليّة في الطول والامتداد عن طريق نعت كلمة (تاجًا) بنعت جديد هو الجملة الفعليّة ذات الفعل المضارع (يلبسه فوق طوق الزهور الخريفيّة الذابلة)، ولاكتمال الصورة راح الشاعر يولّد من الجملة النعتيّة الأخيرة نعتين مفردين لأحد عناصرها (الزهور)، هما: (الخريفيّة)، و(الذابلة)، وهكذا تتعدد النعوت وتتنوع وتتداخل مشكّلة الصورة الشعريّة ومعقّدة لها، وهي صورة الموت الذي يتفنن في نصب شباكه للأحياء بجميع أنواعهم من نباتات وآدميين وحيوانات، فيتصيدهم، ولا يفلت أحدٌ من شباكه المحكمة المحبوكة، ويمكن إعادة كتابة الأبيات السابقة لنتبيّن أنها كلها جملة واحدة طالت من خلال تقييد عنصر من عناصرها بالنعوت المتنوعة المتداخلة.
(يصنع تاجًا جواهره الثمرُ المتعفّن، إكليله الورق المتغضّن، يلبسه فوق طوق الزهور الخريفيّة الذابلة).
وفي قصيدة (الخيول) (دُنْقُل، صفحة ٤٦٤) يرسم الشاعر صورة لحاضر لا تحارب فيه تلك الخيول، وإنما تركض كالسلاحف في زوايا المتاحف على حدّ قوله، وهي صورة ساخرة، رابطًا فيها بين الرمز (الخيل) والمرموز (الإنسان العربي)، وهي صورة تخالف ما كانت عليه في الماضي، حين كانت بريّة تتنفّس حريّة، وتملك الشمس والعشب والملكوت، ولم يكن زادها بالكاد، ولم يكن ظهرها موطنًا ولا فمها ملجمًا ولا ساقها مقيّدة، لقد تحوّلت الخيول الغازية الفاتحة على مستوى الرمز والمرموز إلى تماثيل ودمي

ورسوم (وادي، ١٩٨٣، صفحة ٦٦)، يقول الشاعر:

ماذا تبقى لك الآن؛
ماذا؟
سوى عرق يتصبّبُ من تعبٍ
يستحيل دنانير من ذهب
في جيوب هُوَاةِ سلالاتك العربيّةِ
في حلبات المراهنةِ الدائريّة
في نزهة المركبات السياحيّة المشتهاةِ
وفي المتعة المشتراةِ
وفي المرأة الأجنبيّة تعلوكِ تحت
ظلال أبي الهول. .
هذا الذي كسرت أنفَه
لعنةُ الانتظار الطويل

لقد بدأ الشاعر الصورة السابقة بأسلوب استفهام خرج عن معناه الحقيقيّ إلى معنى مجازيّ، هو السخرية والتعجّب، ثم أتت بعد ذلك النعوت المتنوعة تترى لتثرى الصورة الشعريّة التي أراد الشاعر رسمها، وهي صورة الهوان الذي لحق بهذه الخيول /الإنسان العربي، بعد أن كانت الفتوحات في الماضي مكتوبة بدمائها في الأرض، لقد طالت الجملة التي تضمّ الأبيات السابقة (ماذا تبقى لك الآن؛ ماذا؟ سوى عرقٍ) من خلال تقييد أحد عناصرها وهو كلمة (عرق) الواقع مضافًا إليه بالنعوت المتنوعة أولها النعت بالجملة الفعليّة (يتصبّب من تعبٍ)، ثم إرداف هذا النعت بنعت فعليّ آخر (يستحيل دنانير من ذهب)، وقد طالت هذه الجملة النعتيّة الأخيرة من خلال تقييد أحد عناصرها (دنانير) بالنعت بشبه الجملة الجار والمجرور (من ذهب)، ثم نعت عنصر آخر من عناصر تلك الجملة النعتيّة (سلالاتك) بالنعت المفرد (العربيّة)، وتستمر هذه الجملة النعتيّة الداخليّة في الاتساع والطول من خلال العطف على عنصر من عناصرها عنصرًا جديدًا مع ملاحظة حذف العاطف (الواو) ثم نعت هذا العنصر (نزهة المركبات) بنعتين مفردين هما: (السياحيّة) و(المشتهاة)، وتستمر هذه الجملة النعتيّة في الاتساع من خلال عطف عنصر جديد على العنصر السابق، ونعت هذا العنصر (المتعة) بالنعت المفرد (المشتراةِ)، وتستمر في الاتساع بعطف عنصر جديد على العنصر السابق، ونعت هذا المعطوف بـ (الأجنبيّة)، ثم نعت عنصر جديد (أبي الهول) باسم الإشارة (هذا) ثم بالاسم الموصول (الذي) وصلته (كسرت أنفه لعنة الانتظار الطويل)، ثم نعت عنصر من عناصر جملة الصلة السابقة (الانتظار) بالنعت المفرد (الطويل)، وتداخل النعوت في هذه الجملة وتكثيفها على هذا النحو ممّا عمِل على تشابك بناء الجملة الأصليّة وتركيبها، وتعقيد الصورة الشعريّة، وتكوين صور جزئية من خلال توليد النعوت الفرعيّة داخل الصورة الشعريّة الكبرى، ويمكن إعادة كتابة الأبيات السابقة لنتبيّن أنها جملة واحدة، ولكنها طالت من خلال النعوت، وما أتيح لها من التعدد والتنوّع والتداخل:

(ماذا تبقّى لك الآن سوى عرق يتصبّب من تعبٍ، يستحيل دنانيرَ من ذهب، في جيوب هُوَاةِ سلالاتك العربيّة، في حلبات المراهنة الدائريّة، في نزهة المركبات السياحيّة المشتهاةِ، وفي المتعة المشتراةِ، وفي المرأة الأجنبيّة تعلوك تحت ظلال أبي الهول هذا الذي كسرت أنفَه لعنةُ الانتظار الطويل).

ويلاحظ على الصورة السابقة ما يأتي:

إسراف الشاعر في بناء الصورة الشعريّة في استخدام النعوت، بحيث كانت النعوت وتوليد الصور الجزئيّة منها أساسَ التعبير في الأبيات السابقة.

أسهمت النعوت إلى جانب تشكيل بنية الصورة الشعريّة في تحقيق التقفية الداخليّة إسهاما واضحًا، بعد أن تخلّت القصيدة عن التقفية الخارجيّة، وكانت أبياتًا طويلة ينتهي كل بيت بقافية مماثلة لقافية البيت الذي يسبقه، فاستعاضت بالتقفية الداخلية عن ذلك، وقد شكّلت النعوت إيقاع هذه القوافي الداخليّة كما هو واضح في (العربيّة - الدائريّة)، و(المشتهاة، المشتراةِ). وقد عمل تداخل النعوت وتكثيفها على تعقّد الصورة الشعريّة وتركيبها.

خاتمة

كانت هذه الدراسة محاولة للاقتراب من النصّ الشعريّ وبيان دور النحو في تفسير هذا النصّ من خلال الوسائل اللغوية المختلفة وأهمها النعت، وهي تُعَدّ تطبيقًا لاتجاه آخذٍ في الانتشار والتقدّم وهو اتجاه نحو النصّ الذي يتجه إليه البحث النحويّ في الآونة الأخيرة، وأحسب أنه آخذٌ في التقدم والازدهار.

لقد حاولتُ من خلال الصفحات السابقة أن أتبيّن الدور الدلالي والتركيبي لبعض الوسائل اللغوية في نصّ شعريّ لأحد شعراء المفضليات وهو المرار بن منقذ، وشاعر حديث وهو أمل دنقل، فتبيّنت من خلال هذه الدراسة الدور التركيبي لبعض تلكم الوسائل اللغوية، وأهمها وأكثرها ورودا النعت في إطالة بناء الجملة من خلال ما أتاح له النظام اللغويّ من التعدّد والتنوّع والتداخل والمعاقبة فيه بين المفرد والجملة، وما يترتّب على هذا الطول - غالبًا - من تركيب صور شعريّة. وقد لاحظت أنَّ هذا الدور التركيبي والدلاليّ للنعت والوسائل اللغوية الأخرى كالعطف والخبر والحال في الشعر القديم قد توفّر في شعر أمل دنقل من خلال تحليل بعض نماذج شعريّة لديه، وهو ما يعني أنه لا فرق بين الشعر العموديّ والشعر الحرّ من حيث المسالكُ اللغويّة التي يسلكها كُلّ منهما. كما لاحظت أنَّ تداخلَ النعوت مع الوسائل اللغوية الأخرى كالحال والعطف إلى جانب دورها في إطالة الجملة الأصليّة يؤدي إلى بناء صور شعريّة متشابكة العناصر، وهذا دور دلالي يترتب على الدور التركيبي لتلكم الوسائل.

قائمة المصادر والمراجع

- عفيفي، أحمد مصطفى. (١٩٩٢). البناء اللغوي في شعر أمل دنقل. مجلة المنتدى العدد١٠٤.
- خضر، السيد علي. (٢٠٠٠). التركيب النعتي في العربية: دراسة في القرآن والشعر. المنصورة: مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة العدد٢٧.
- الضّبيّ، المفضّل بن محمد بن يعلى. (بلا تاريخ). المُفضَّليَّات (الإصدار السابعة). القاهرة: دار المعارف.
دُنْقُل، أمل. (بلا تاريخ). الأعمال الشعرية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- عطا، جمال محمد. (٢٠٠٣م). تشكيل صورة الموت في شعر أمل دنقل. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، اللغة العربية وآدابها.
- مصلوح، سعد عبد العزيز. (٢٠١٠م). في البلاغة العربيةوالأسلوبيات اللسانية-آفاق جديدة (الإصدار الثانية). القاهرة: عالم الكتب.
- فضل، صلاح. (بلا تاريخ). إنتاج الدلالة الأدبية. الأول. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.
- العتباني، طاهر. (١٩٩٩م). مراحل التعبير عن فلسفة الموت في شعر أمل دنقل. مجلة الشعر عدد ٩٠.
- وادي، طه. (١٩٨٣). الزمن الشعري في قصيدة الخيول. القاهرة: مجلة إبداع، العدد العاشر.
- الجُرْجَانيّ، عبد القاهر. (بلا تاريخ). دلائل الإعجاز. (محمود محمد شاكر، المحقق) القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب.
- زايد، علي عشري. (١٤١٤هـ). عن بناء القصيدة العربية الحديثة (الإصدار الثالثة). القاهرة: مكتبة النصر.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. (١٤١٠هـ). الجملة في الشعر العربي (الإصدار الأولى). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. (٢٠٠٣م). بناء الجملة العربية. القاهرة: دار غريب للطباعة.

دور لغة الخطاب الإعلامي العُماني في تمكين المرأة العُمانية

روان بنت سعيد الذهلية/ كلية التربية، طالبة بكالوريوس في تخصص اللغة العربية - جامعة السلطان قابوس
د. زاهر بن بدر الغسيني/ أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السلطان قابوس

Rawan bent Said Al Dhahli/ College of Education, Bachelor's degree student in Arabic Language Sultan Qaboos University
DR. Zahir bin Bader Al Gheseini/ Associate Professor - Department of Arabic Language and Literature, Sultan Qaboos University

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2023 – 06 – 10

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 – 04 – 08

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 – 04 – 10

الملخص

تتناول هذه الدراسة - تحليلًا ونقدًا - لغة الخطاب الإعلامي المُوجَّه لتمكين المرأة العُمانية؛ نظير الدور الفاعل الذي يؤديه الإعلام في التأثير في أفراد المجتمع بشكل عام؛ والمرأة بشكل خاص. وتكمن إشكالية الدراسة في تحديد الأُطر اللغوية التي يسعى من خلالها الإعلام العُماني إلى نشر رسالته الإعلامية التي تؤثر في المتلقي. واستخدم الباحثان منهج تحليل الخطاب؛ لكونه منهجًا مستقلًا له أدواته المنهجية الخاصة، مثل: أداة تحليل حقول دلالة المفاهيم، وأداة مسار البرهنة هدفًا للوصول إلى الآليات اللغوية التي انتهجها الإعلام العُماني في خطابه المُوجَّه لتمكين المرأة العُمانية وذلك من خلال عينة عشوائية من النصوص الإخبارية بلغت ثمانية عشر نصًّا إخباريًّا، حُددتْ بإطار زمني في الفترة من ٢٠١٣م-٢٠٢١م. وخَلَصَتْ الدراسة إلى أن للغة الخطاب الإعلامي دورًا فاعلًا في تمكين المرأة من خلال استخدام المؤثرات الإيجابية في المتلقي مثل: التركيز على المفاهيم المتعلقة بتمكين المرأة، والتأكيد على مضمون الخطاب بالحجج والبراهين، والإشادة بالقوى الفاعلة في عملية التمكين. وتُوصي الدراسة بأهمية تكريس لغة الخطاب الإعلامي العُماني بما يتوافق مع طبيعة المتلقي، وأن يكون الإعلام فاعلاً في إبراز أولويات المرأة في برامج التنمية العُمانية ودورها في رؤية عمان ٢٠٤٠.

الكلمات المفتاحية: المرأة العُمانية، التمكين، الإعلام، اللغة، الخطاب.

Role of Omani Media Discourse in Omani Womens Empowerment

Abstract

This study examines the media discourse addressed to the Omani women because of media's vital role and its impact on the societal awareness, in general, and women awareness in particular. The problem of the study lies in defining the linguistic frameworks used by media to disseminate its message to its audience.

The study adopts the discourse analysis approach, as it is an independent approach with methodological tools, such semantic analysis tool, the proving tool, in order to identify the linguistic mechanisms that the Omani media uses in its discourse directed to the Omani woman. The study uses a random sample of 18 media text during the period from 2013 to 2021.

The study concluded that the language of the media discourse plays a vital role in empowering women, through the use of various tools such as focusing on concepts related to women's empowerment, and praising the active actors in the empowerment process. The study recommends the importance of developing the media discourse in line with the nature of the recipient, and the media should be active in highlighting the priorities of women in the Omani development programs, and the active role of the Omani women in Oman Vision 2040.

Key words: Omani women, empowerment, media, language, discourse

مقدمة

ممَّا لا شكَّ فيه أن العالم يشهد في الوقت الراهن نقلةً نوعيةً في مسيرة التنمية الشاملة، أدَّت إلى إحداث العديد من التطورات على الصعيد العالمي والعربي؛ أبرز تبعاتها الاهتمام بقضايا المرأة، والسعي الجاد لإشراكها في عملية التنمية. وقد عَمَدَت المنظمات والهيئات التي تُعنى بحقوق المرأة إلى نشر الوعي من وسائل الإعلام المختلفة، إضافة إلى تخصيص حملات وندوات عالمية تهدفُ إلى تحقيق مبدأ العدالة والمساواة الذي نصَّت عليه القوانين والتشريعات المُناصِرة للمرأة. وعليه؛ فقد انطلقت الدول العربية تشقُّ طريقها لمواكبة التغيرات الإيجابية العالمية، داعمةً البوادر الفاعلة في هذا المجال؛ نهوضًا بالمرأة العربية، وسعيًا إلى تلبية متطلباتها؛ لتصبح المرأة قادرةً على منافسة شقيقاتها عالميًّا في شتى المجالات.

وبالنظر إلى المشهد الخليجي؛ فقد جاءت التجربة الخليجية في هذا السياق لتثبت نضجها فيما يتعلق بحقوق المرأة، إذ وُضِعت سياساتٌ تسهم في تفعيل دور المرأة في المجتمع، وتحقق تطلعاتها، وجاء ذلك تحت ما أُطْلِقَ عليه «تمكين المرأة»، ممَّا يجعل الحاجة إلى وجود إعلام يدعم نشر الوعي حول تمكين المرأة، ويوضح التشريعات المتعلقة به. وفي ضوء ذلك؛ تهدف هذه الدراسة - تحليلًا ونقدًا - إلى دراسة لغة الخطاب الإعلامي المُوجه لتمكين المرأة العُمانية؛ للوصول إلى الآليات والأدوات اللغوية التي انتهجها الإعلام العُماني في لغة خطاب المرأة العُمانية، التي أسهمت في تشكيل خطابٍ إعلامي يؤدي وظيفة أكثر فاعليةً وتأثيرًا في تشكيل الوعي فيما يتعلق بموضوع تمكين المرأة في المجتمع العُماني.

وتكمن إشكالية الدراسة في تحديد الأُطر اللغوية التي يسعى الإعلام من خلالها إلى نَشْر رسالته الإعلامية التي تؤثر بدورها في المتلقي، في محاولة الإجابة عن السؤالين: ما مدى فاعلية لغة الخطاب الإعلامي في تمكين المرأة العُمانية؟ وهل أدَّى دورًا إيجابيًّا في نشر ثقافة التمكين؟. وانتهج الباحثان منهج تحليل الخطاب؛ لكونه منهجًا مستقلًا بأدواته، مثل: أداة تحليل حقول دلالة المفاهيم، وأداة مسار البرهنة، وأداة تحليل المعنى الكامن، وأداة تحليل القوى الفاعلة، وأداة تحليل الأطر المرجعية.

ورغم تباين الآراء حول تحليل الخطاب - وليست الدراسة الحالية بصدد الحديث عنها- لكن وجَبتْ الإشارة إلى أن تحليل الخطاب الإعلامي في هذه الدراسة ينطلق من وجود فكرة يتمحور حولها التحليل تتمثل في أن الرسالة الإعلامية «إعادة تقديم الواقع أو العالم في بناء لغوي، يتضمن هيكلًا للقيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فكلُّ أشكال التعبير عن شيء ما لها مغزى ولها سبب» (الجمال، ٢٠٠٥، ص١٣٨)، وتباينت تعريفات الخطاب بتباين آراء النقاد، فهناك مَنْ عرَّف الخطاب بأنه «نص ذو سمات مركبة من الإيحاءات المعنوية لها أبعادها ولها مميزات تفرقها عن غيرها من الخُطب داخل اللغة الواحدة، وهو أيضًا كلام مُوجَّه يتكون من مجموعة متشابكة من الجُمل يتواصل بها طرفان، من أجل تحقيق مقصديهما من التواصل» (يقطين، ١٩٩٣، ص١٧-١٨)، ويذهب آخرون إلى أن الخطاب «بِنية مستقرة أو خطة تنظم التقارير الإخبارية، تبدأ بالعنصرين المعروفين المقدمة والعنوان، وهما يُمثلان معًا العنصر ذا المستوى الأعلى، وهو عنصر الموجز الذي نجده في كثير من أنواع الخطاب، مثل المقالات الأكاديمية، ويليها عناصر أخرى مثل آخر الأحداث، والأحداث السابقة، والسياق، والتاريخ..». (دايك، ٢٠١٠، ص٣٢).

ومن خلال ما ذُكر في أعلاه؛ ولكون تحليل الخطاب يرتكز على استقراء ضمنية النص؛ وهدفًا إلى تعرُّف الأدوات المؤثرة في المتلقي للخطاب، فقد بُنِيَ تحليل الخطاب الإعلامي في هذه الدراسة على أدوات منهجية وُضِعَت لتقديم بُعْدٍ أعمق للخطاب من خلال الاعتماد على الوصف والتفسير وهي: أداة تحليل حقول دلالة المفاهيم، وأداة مسار البرهنة، وأداة تحليل المعنى الكامن، أداة تحليل القوى الفاعلة. وعَمَد الباحثان أيضًا إلى الدمج بين هذه الأدوات؛ للوصول إلى تحليل النص بأبعاد مختلفة تقود إلى تحقيق غاية هذه الدراسة وهدفها. وجاء اختيار سلطنة عُمان لكونها بلد الباحثين من جهة، وما لامسه الباحثان من حضور لافت للمرأة في شتى مناحي الحياة من جهة أخرى، إضافة إلى مساهمتها المجتمعية الفاعلة جنبًا إلى جنب مع الرجل، وهو ما سارت عليه مسيرة التنمية العُمانية التي قادها السلطان الراحل قابوس بن سعيد طيب الله ثراه، ويسير على نهجها جلالة السلطان هيثم بن طارق حفظه الله في نهضة عُمان المتجددة.

أمَّا عينة الدراسة؛ فقد اختار الباحثان عددًا من التقارير الإخبارية المتعلقة بتمكين المرأة، والصادرة عن القناة الرسمية لتلفزيون سلطنة عُمان، وبَلغت عينة الدراسة ثمانية عشر تقريرًا في سنوات مختلفة بين عام ٢٠١٣م-٢٠٢١م، لكونها الفترة الأكثر ازدهارًا إعلاميًا في لغة خطاب المرأة العُمانية.

ويرتكز هدف الدراسة على الوصول إلى الآليات والأدوات اللغوية التي انتهجها الإعلام العُماني في لغة خطاب المرأة العُمانية، التي أسهمت في تشكيل خطابٍ إعلامي يؤدي وظيفة أكثر فاعليةً وتأثيرًا في تشكيل الوعي فيما يتعلق بموضوع «تمكين المرأة». وتكمن أهمية الدراسة في تحليل الخطاب الإعلامي المُتعلق بتمكين المرأة العُمانية، وتقييم حضورها بين طيَّاته؛ لكونه أنموذجًا مميزًا بين دول الخليج، وتنفرد هذه الدراسة بتحليل الخطابات الإعلامية بأدواتها المنهجية لإعطاء وصفٍ وتفسيرٍ أدق مُدعَّمًا بالأدلة عن دور لغة الخطاب الإعلامي في تمكين المرأة العُمانية.

وارتكزت الدراسة ثلاثة محاور: تمكين المرأة: المفهوم والأبعاد، دور الإعلام في تمكين المرأة، وتحليل الخطاب الإعلامي الموجه لتمكين المرأة العُمانية.

أولًا: تمكين المرأة: المفهوم والأبعاد

جاءت كلمة (تمكين) في معناها اللغوي العربي من (مَكَّنَ) له في الشيء أي: جعل له عليه سلطانًا (المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٨١)، والتمكين «على صيغة المصدر يحمل معنى التوكيد ليمتد لمعنى الاستقرار الراسخ» (مسعود، ٢٠٠٦، ص١٣). ويُعرَّف التمكين اصطلاحًا بأنه «إزالة كافة العمليات والاتجاهات والسلوكيات النمطية في المجتمع والمؤسسات التي تُنمط النساء والفئات المهمشة وتضعها في مراتب أدنى، وهو تعزيز قدرة الفرد والجماعة على اتخاذ خيارات هادفة وتحويل تلك الخيارات إلى إجراءات لتحقيق النتائج المرجوة، وظهر هذا المصطلح بشكل بارز ومهم أول مرة في تقرير التنمية الذي أعدَّه البنك الدولي سنة ٢٠٠٠-٢٠٠١»)بن علال، ٢٠١٨، ص٥٢-٥٣). وجاءت كلمة (تمكين) في المعجم الأجنبي بمعنى «مَنْح السلطة الرسمية أو القوة القانونية، أو إعطاء قوة شرعية لشخص ما، لذلك نجد أن تطبيق التمكين في أي منظمة يتطلب مشاركة طرفين هما مانح القوة القائد، والممنوحة له القوة وهو العامل (جرادات والمعاني وهاشم وآخرون، ٢٠١٣، ص ٦٨).

أما تمكين المرأة فيُعرَّف بأنه «دعم قدرة المرأة وإمكانيتها على التأثير في مؤسسات الدولة ودعم قدرتها على التحكم في حياتها والموارد المتاحة أمامها في المجتمع» (الشمري، ٢٠٢٣، ١٢٨٦)، أو بصورة أخرى، فإن تمكين المرأة هو العملية التي تُسهم في جعل المرأة قادرةً على صنع القرار في مختلف المجالات، وهو تمكينٌ تعددت أبعاده، فهناك مَنْ حصرها في مستويات بعينها، وهناك مَن يرى أن مفهوم التمكين يتحقق في أي جانب من جوانب الحياة مُطلقًا. وتنحصر أبعاد تمكين المرأة وفقًا لتصنيف الباحثة (زايد، أميرة عبد السلام،٢٠١٥، ص٣٣٣ ص٣٣٤) في مجالات تتمثل في:

- التمكين الاقتصادي مثل: حق العمل وممارسة النشاط الاقتصادي، وحق التملك وصون الملك، وحق المساواة في الأجر وظروف العمل الأخرى.
- التمكين السياسي مثل: حق الترشيح والانتخاب، وحق المشاركة في المنظمات والجمعيات الأهلية والأحزاب السياسية، وحق التمثيل النيابي.
- التمكين الصحي مثل: حق الرعاية الصحية، وحق الترفيه وقضاء وقت فراغ مثمر، وحق الغذاء الكافي.
- التمكين النفسي مثل: حق عيش حياة إنسانية تتسم بالكرامة وحرية الاختيار دون انكسار.
- التمكين الاجتماعي مثل: حق التمتع بمكانة اجتماعية لائقة، وتقدير جهود المرأة بما يعزز وضعها وقيمتها، وحقها في تكوين أسرة تتمتع بحياة كريمة.
- التمكين التعليمي والثقافي مثل: حق التعلم والتعليم، وحق المعرفة وتداول المعلومات، وحق التثقيف وحرية التعبير.
- التمكين المعرفي والتكنولوجي مثل: حق اكتساب المهارات وامتلاك الأدوات التي تمكنها من التعامل الإيجابي مع مستجدات العصر العلمية والتكنولوجية.

ومع التحولات والمتغيرات، أدركتْ الحكومات قيمة مشاركة المرأة في منظومة التنمية الوطنية، فسَعَتْ سلطنة عُمان إلى تمكين المرأة العُمانية والارتقاء والنهوض بها، بوصفها منشئة الأجيال وهي «طاقة بشرية تؤثر وتتأثر بإستراتيجية التنمية سواء في وضع الخطة أم تنفيذها» (عبد الله، ١٩٨٣، ص١٥٤)، ولتحقيق مفهوم تمكين المرأة بصورته الصحيحة؛ فإن ذلك يستوجب الشراكة المجتمعية مع الحكومات والمنظمات الداعية إلى تمكين المرأة، وهنا يأتي دور الإعلام في إيصال ثقافة التمكين إلى المجتمع عامة والمرأة خاصة؛ حتى تسهم بشكل فاعل في عملية التنمية؛ من خلال استخدام السُّلطة الإعلامية بمختلف وسائلها، لترسيخ مفهوم تمكين المرأة، وتوضيح الحاجة الماسة إليه، ومن بين تلك الوسائل استخدام لغة خطاب إعلامي تُثري الثقافة والوعي بأهمية تمكين المرأة، وتشجع المرأة على الإسهام في بناء المجتمع بوصفها فئة لا تقل شأنًا عن غيرها.

ثانيًا: دور الإعلام في تمكين المرأة

يُمثل تمكين المرأة مرتكزًا أساسًا في بناء المجتمعات انطلاقًا من أن «القوى العاملة النسوية الممكنة تكون محفزة للمساهمة في الإستراتيجيات المبتكرة في المؤسسة، وتكون قادرة على تحديد أدوار العمل، ويشعرن بالقدرة على إنجاز مهام مرتبطة بالعمل وقادرات على التأثير في عملية اتخاذ القرار في مكان العمل» (الكعبي، ٢٠٢٠، ص٥٧). ويُعدُّ الإعلام الطريق الأكثر أمانًا للوصول إلى تفاصيل الأحداث المحلية والعالمية، إذ يراه الأفراد وسيلة صادقة تنقل الأحداث التي تدور حولهم، وأداة تميل رأيهم وثقافتهم وتغيرها وفق مضمون الرسالة الإخبارية، وعليه؛ يكتسب الإعلام مهمة خطيرة وحساسة تنطلق من أهمية عرض التقارير الإخبارية بمصداقية مع مراعاة حال المتلقي والظروف المحيطة.

ولكون قضايا المرأة ذات قيمة واهتمام عالمي؛ فقد كان الإعلام شريكًا في إيصال صوت المرأة إلى المجتمع، مع تباين مضمون الرسائل الإعلامية وشدة تأثيرها، فهناك مَن قَيَّدَ المرأة بصورة سلبية نمطية تَحُدُّ من مشاركتها المجتمعية في شتى المجالات، وهو ما أكَّدت عليه العديد من الدراسات؛ منها دراسة صادرة من مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث «كوثر» بتونس التي أشارت إلى أن الإعلام العربي المرئي والمسموع، والإعلام الإلكتروني والورقي لا يعكس حقيقة المرأة وواقعها، إذ يتم تصويرها بنظرة ضيقة الأفق أو تظهرها كأم أو زوجة تابعة. (مزيوة، ٢٠١٨، ص٣٩٥). وعليه، فإن أهمية وجود إعلام فاعل تكمن في أنه يُكَرِّسُ قواه المؤثرة ليعكس الأدوار الحقيقية للمرأة، ويبرز قدراتها ومكانتها التي تستحقها، ويكسر القيود والعادات المجتمعية التي تُقلل من قيمة المرأة، وهو أمرٌ ليس بالعسير، في ظل هيمنة وسائل الإعلام المختلفة وقدرتها على إحداث التغيير الثقافي والاجتماعي.

ثالثًا: تحليل الخطاب الإعلامي الموجه لتمكين المرأة العُمانية

تنتهج هذه الدراسة منهج تحليل الخطاب الذي يتسم بمرونة تُمَكِّنُه من استخدام أدوات متعددة للتحليل؛ تختلف باختلاف الخطاب. واختار الباحثان أربع أدوات لتحليل عينات من الخطاب الإعلامي العُماني الموجه لتمكين المرأة العُمانية، تتمثل في: أداة تحليل حقول دلالة المفاهيم، وأداة مسار البرهنة، وأداة تحليل المعنى الكامن، وأداة تحليل القوى الفاعلة. ونعرضها وفق الآتي:

أداة تحليل حقول دلالة المفاهيم

تبحث هذه الأداة في شبكة المفاهيم المركزية داخل الخطاب، والمفاهيم المتفرعة عنها، إضافة إلى تحليل مستويات الحضور والغياب فيها، والدلالة المرتبطة بذلك. (أحمد، ٢٠٠٩، ص٣٤٨). واستخدم الباحثان هذه الأداة في معرفة الحقول الدلالية السائدة للتقرير الإخباري الواحد، ثم استنتاج أبرز الحقول الدلالية في العينة الإخبارية المختارة، مع استنباط دلالات تكرارها، وفق العرض في أدناه:

رقم التقرير الإخباري	التاريخ	الحقل الدلالي	مثال
١	٢٠١٣/٩/١١	القانون	المواد القانونية- التشريعات العُمانية- الحقوق والواجبات- النصوص القانونية- مذكرات توضيحية.
٢	٢٠١٥/٢/٢٢	التمكين الاقتصادي	المشاريع التجارية- برامج التمويل- المشروعات الخاصة- النشاط الاقتصادي- العمل الحر- الإنتاج- الإدارة- الحرف التقليدية.
		القانون	التشريعات الخاصة بالمشاريع التجارية.
		المرأة	رائدات الأعمال- الإسهام النسائي- العاملات- تجارب نسائية ناجحة.
٣	٢٠١٦ /١/٢٠	تمكين المرأة اقتصاديًا واجتماعيًّا	المجال المالي.
		التنمية	عملية التنمية- إستراتيجيات- الموارد البشرية- التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
		القانون	حق النساء والفتيات في العدالة- سياسات- المساواة بين الجنسين.
٤	٢٠١٦/٤/٢٧	القانون	حقوق المرأة- التشريع العُماني- التمكين القانوني- ثقافة القانون.
٥	٢٠١٧/١/٢٤	التمكين الاقتصادي	ريادة الأعمال- السوق المحلي- حرف محلية- محلات تجارية- تمكين المرأة اقتصاديًّا- التسويق- العمل الحر- التدريب والتأهيل- المهارة- حرفة- مشروع- وظيفة.
٦	٢٠١٧/٧/٢٧	التمكين الاقتصادي	مستوى الدخل- الفرص التمويلية- مشاريع- صندوق الرفد.
		المرأة	المرأة الريفية- المرأة الساحلية- المرأة البدوية.
٧	٢٠١٧/٩/١٢	التمكين الاقتصادي	القطاع المالي- منافسة اقتصاديًّا- استثمار مالي- مشاريع- السوق المحلية- الاقتصاد.
		المرأة	النساء العاملات- رائدات الأعمال.
٨	٢٠١٧/٩/١٤	التمكين السياسي	مشاركة سياسية- تمكين سياسي.

٩	٢٠١٧/٩/١٧	التمكين الصحي (النفسي)	التحولات النفسية- صحة المرأة.
		الإعلام	رصد الإعلام للتحولات النفسية- موقف الإعلام من التحولات النفسية- قصور إعلامي- اهتمام الإعلام الجديد بهموم حواء.
١٠	٢٠١٨/٨/٠٨	التنمية	البرامج- الأنشطة- المهارات- المواطنة- البرامج الثقافية.
		الاقتصاد	الخياطة- الاعتماد الذاتي- الحرف- إنتاج الفخار- سوق العمل.
١١	٢٠١٨/١٢/١٨	التمكين الاقتصادي	الطاقات البشرية- قطاعات الإنتاج- البناء والعطاء.
١٢	٢٠١٩/٢/١٧	التنمية	التنمية المستدامة- بناء المجتمع- التنمية.
		الإعلام	الرسالة الإعلامية- تدريب الصحفيين.
١٣	٢٠١٩/٤/١٩	التنمية	دفع عجلة التقدم في شتى المجالات- دور فاعل.
		التمكين الاقتصادي	تمكين المرأة اقتصاديا لسوق العمل- مشاريع- رفد الاقتصاد المحلي.
١٤	٢٠١٩/١٠/١٥	التمكين التكنولوجي	برمجة المواقع الإلكترونية- الإنترنت- مهارات البرمجة.
١٥	٢٠٢١/١/٢٦	الإعلام	دور الإعلام- جمعية الصحفيين- تمكين المرأة إعلاميًا.
١٦	٢٠٢١/١٠/١٦	التمكين العلمي	تمكين المرأة في مجال البحث العلمي والابتكار.
١٧	٢٠٢١/١٠/١٧	التمكين الرياضي	إشهار نادي المرأة العُمانية للرياضة والإبداع الثقافي.
١٨	٢٠٢١/١١/٢٧	التمكين الاقتصادي	الأعمال التجارية- الريادة- المؤسسات الصغيرة والمتوسطة- برامج الدعم- الاستثمار- إدارة الأعمال.

جدول (١): الحقول الدلالية للتقارير الإخبارية (العينة)

ويمكن تمثيل الجدول في أعلاه في المخطط البياني في أدناه:

يُوضح الجدول (١) والمخطط البياني أعلاه أن الحقول الدلالية المهيمنة على لغة الخطاب الإعلامي في العينة تتركز حول ثلاثة موضوعات رئيسة، هي: تمكين المرأة، القانون، والتنمية، وتندرج تحتها موضوعات فرعية تتمثل في أبعاد التمكين، هي: التمكين الاقتصادي، التمكين السياسي، التمكين الصحي، التمكين التكنولوجي، التمكين الإعلامي، التمكين الرياضي، التمكين العلمي، والتمكين الاجتماعي. ويمكن القول إن هناك علاقة وطيدة بين الموضوعات الرئيسة تتمثل في أن التنمية المستدامة لا يمكن أن تتحقق بصورتها المُثلى إلا بتحقيق تمكين المرأة، خاصة التمكين الاقتصادي، وتستوجب زيادة الوعي والالتزام فيما يتعلق بتمكين المرأة والقضايا المرتبطة به وضع قوانين وتشريعات تفرض نفسها على الجميع، وهنا تتضح الدقة في الخطاب الإعلامي العُماني، إذ نُلاحظ أن التقارير الإخبارية السابقة زمنيًّا - وفق الموضح في الجدول (١) - بدأت بالحديث عن الجانب القانوني لتمكين المرأة، وتوضيح تلك القوانين من خلال وضع مذكرات توضيحية للمواد القانونية، ممَّا يؤكد لنا أهمية نشر الوعي القانوني أولًا حتى يشعر الفرد بالمسؤولية، في حين نرى غياب حقل القانون في التقارير الإخبارية المتأخرة، إذ ركَّزت على أبعاد التمكين المختلفة، خاصة التمكين الاقتصادي؛ لأنه يمثل ركيزة أساسية للتنمية. وجديرًا بالذكر أن خطاب الإعلام العُماني لم يكن بعيدًا عن الواقع العُماني، إذ إن رفع جودة الاقتصاد العُماني من أهم الأهداف التنموية التي تسعى سلطنة عُمان إلى تحقيقها في جميع خططها، وقد جاء الخطاب مُركِّزًا على أهمية تمكين المرأة اقتصاديًّا، وعمل على تغطية جميع الأحداث المتعلقة بالتمكين الاقتصادي للمرأة مثل: الندوات، المؤتمرات، الورش التدريبية، وما يؤكد ذلك تقارب الفترات الزمنية بين التقارير الإخبارية المتعلقة بالتمكين الاقتصادي. وبالنظر إلى المخطط في أدناه:

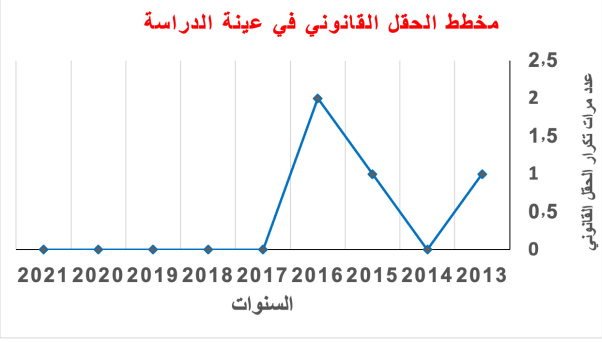

فإن أداة (تحليل حقول دلالة المفاهيم) كشفت عن مستوى الدقة في الخطاب الإعلامي العُماني، إذ بدأت التقارير الإخبارية خلال الفترة من (٢٠١٣-٢٠١٦) بالحديث عن الجانب القانوني لتمكين المرأة، ممَّا يؤكد أهمية نشر الوعي القانوني أولًا؛ ليشعر الفرد بالمسؤولية. في الوقت نفسه؛ كشفتْ عينة الدراسة عن غياب الحقل القانوني في التقارير الإخبارية خلال الفترة (٢٠١٧-٢٠٢١)، ويرى الباحثان في هذه الدراسة أن النظام الأساسي للدولة خصَّصَ مادته الثانية لحقوق المرأة، ثم (دليل تمكين المرأة العُمانية ٢٠١٦) الذي أصدره المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، فكان ذلك مؤشرًا على ترسخ ثقافة تمكين المرأة، من كافة جوانبها وأطرها القانونية، إذ تضمَّن الدليل رصدًا لوضع المرأة العُمانية، من خلال عدد من المؤشرات التعليمية والاقتصادية، وكشف الدليل عن تطور المؤشرات الخاصة بتمكين المرأة العُمانية مقارنة بالرجل ما بين عامي ٢٠١٠م و٢٠١٦م، باستخدام دليل المساواة حسب النوع، ووفقاً للمحافظات. وبالتالي؛ وبعد ترسخ الثقافة القانونية تجاه تمكين المرأة العُمانية؛ كان طبيعيًا أن يركز التلفزيون في خطابه الإعلامي على الجوانب الأخرى التي تشجع المرأة العُمانية على الانخراط في مسيرة التنمية، وإشعارها بأهميتها.

أداة مسار البرهنة

ترصد هذه الأداة الحجج والبراهين التي ساقها المتحدث أو الكاتب لإثبات المقولات والأفكار التي أوردها في الخطاب، ومن خلالها يمكن الحكم على الاتجاهات الفكرية للخطاب والمتحدث، «وتُطبَّق هذه الأداة من خلال تفكيك النص، وتحليل درجة السلبية والإيجابية في كل جزء، وعملية الاستدلال والبرهنة فيه» (أحمد، ٢٠٠٩، ص٣٤٩ ص٣٥٠). واستخدم الباحثان هذه الأداة على عينة الخطابات الإعلامية المُختارة؛ للنظر في الأدلة والبراهين التي ساقها الخطاب الموجه لتمكين المرأة العُمانية، وتوصَّل الباحثان إلى وجود مجموعة من الأساليب والسياقات المستخدمة في الخطاب، التي تُعدُّ شكلًا من أشكال البرهنة لدعم الأفكار المطروحة، وتتمثل في:

ربط تمكين المرأة بالجانب القانوني، والتأكيد على وجود مواد قانونية وتشريعات تدعم المرأة، مثل: «تفسير للمواد القانونية في التشريعات العُمانية التي تخص المرأة في شتى المجالات الحياتية لمعرفة الحقوق والواجبات جاءت حلقة عمل المرأة في التشريعات العُمانية أداة توضيحية لمواد قانونية»، وتهدف حلقة العمل إلى «نشر المذكرات التوضيحية للنصوص القانونية ذات الصلة بالمرأة، والتي تُمثل إحدى التوصيات التي خرجت بها ندوة المرأة العُمانية في أكتوبر عام ٢٠٠٩، وأعدَّتها وزارة التنمية الاجتماعية بالتعاون مع خبراء ومختصين في المجال القانوني». ونلاحظ في هذه النصوص التأكيد على صدور تلك القوانين والتشريعات، إضافة إلى ترغيب المتلقي لتطبيق تلك القوانين لكونها مُعدَّة من قبل مختصين في المجال القانوني. وأُشيرَ أيضًا إلى صدور المذكرة القانونية الأولى، وتحديد موعد صدور المذكرة في إصدارها الثاني، ممَّا يعطي شيئًا من المصداقية للخبر، وجاء ذلك في النص: «الجدير بالذكر أن الإصدار الأول من هذه المذكرات الخاصة بتوضيح النصوص القانونية ذات الصلة بالمرأة

تـم تدشـينها فـي أكتوبـر العـام الماضـي، وسـوف يتـم تدشـين الإصـدار الثانـي الشـهر القـادم».

الإشـارة إلـى وجـود نمـاذج لرائـدات الأعمـال العُمانيـات اللائـي عَرضْـنَ تجاربهـن فـي النـدوات المختلفـة، إضافـة إلـى نمـاذج للمـرأة العُمانيـة الناجحـة مثـل: «إسـهامات المـرأة العُمانيـة فـي المجـال الاقتصـادي عديـدة وواسـعة أثبتـت مـن خلالهـا قدرتهـا علـى الإنتـاج والإدارة، وهـذا مـا أثبتتـه هـذه النـدوة مـن خـلال اسـتعراض تجـارب نسـائية ناجحـة ترجمـت أفكارهـا إلـى واقـع، ولامَسـتْ الأيـادي منتجاتهـا، ولامَسَـتْ المؤسسـات حسـن إدارتهـا»، و»الملتقـى عـرض تجـارب محلية شـقت طريـق النجـاح فـي ريـادة الأعمـال فـي تسـويق سـعفيات ومشـغولات يدويـة وصـل بعضهـا إلـى خـارج السـلطنة»، و»بعـض مـن رائـدات الأعمـال العُمانيـات اسـتعرضن خـلال إطـلاق المبـادرة خبراتهـن فـي إدارة المشـاريع، وطَرحـنَ أفـكار النجـاح والصعوبـات التـي ينبغـي التغلـب عليهـا فـي بدايـات أي مشـروع».

أداة تحليل المعنى الكامن للخطاب

تسـتند هـذه الأداة إلـى تحليـل المعانـي الضمنيـة للخطـاب، وهـي المعانـي التـي تُشـكل المُـدركات التـي تؤثـر فـي المتلقـي أو الجمهـور، ولا تعمـل هـذه الأداة بمعـزل عـن الظـروف المحيطـة وطبيعـة المجتمـع، إنمـا يتـم الوصـول إلـى المعانـي الضمنيـة مـن خـلال تأويـل ظاهـر الخطـاب وفـق المتلقـي وظروفـه (أحمـد، ٢٠٠٩، ص٣٥٠ ص٣٥١). ثـمّ فقـد اسـتنتج الباحثـان المعنـى الكامـن للخطـاب وفقًـا للآتـي:

اسـتخدم الخطـاب الإعلامـي سـياقات وتراكيـب تركـز علـى الجانـب النفسـي للمـرأة العُمانيـة، مثـلًا: العدالـة والمسـاواة بيـن المـرأة والرجـل، «هـا هـي المـرأة تجدهـا حاضـرة فـي مختلـف المواقـع فهـي شـريك للرجـل فـي بنـاء المجتمـع»، وهـذا مـا يمكـن أن يؤثـر بشـكل كبيـر فـي الفئـة المسـتهدفة خاصـة النسـاء، نظـرًا لمـا يتضـح فـي المجتمـع العُمانـي مـن محـاولات المـرأة لإثبـات ذاتهـا، مواجهـةً بذلـك بعـض أفـكار المجتمـع الضيقـة حـول أدوارهـا. إضافـة إلـى ذلـك؛ فـإن التيـارات الفكريـة الدخيلـة يمكـن أن تزعـزع كيـان المـرأة وتوهمهـا بنقصـان حقوقهـا، ممَّـا يـؤدي إلـى نشـوء صراعـات فكريـة بيـن الأفـراد والحكومـة. ومـن بيـن تلـك السـياقات: «غـرس ثقافـة القانـون لـدى المـرأة سيعـزز مـن تمكينهـا لتقـوم بدورهـا الفاعـل جنبـا إلـى جنـب مـع أخيهـا الرجـل فـي مختلـف المجـالات»، و»هـا هـي المـرأة تجدهـا حاضـرة فـي مختلـف المواقـع فهـي شـريك للرجـل فـي بنـاء المجتمـع»، و»نصـف المجتمـع حظيـت منـذ بدايـة النهضـة وفـي عهدهـا السـعيد باهتمـام بالـغ مـا مكنهـا مـن تقديـم أدوار مهمـة فـي العمـل الوطنـي، حيـث جـاء المنتـدى (عارضًـا) لمهامهـا والعمـل علـى تطويرهـا»، و»تسـتمر المـرأة العُمانيـة فـي رسـالة العطـاء وفـي خدمـة هـذا الوطـن العزيـز ورفعـة شـأنه جنبـا إلـى جنـب مـع الرجـل»، و»تمكيـن شـقائق الرجـال مجتمعيًـا فـي مجـال البحـث العلمـي والابتـكار والإعـلام وريـادة الأعمـال كانـت أبـرز الموضوعـات التـي بحثهـا منتـدى المـرأة العُمانيـة».

طَـرْح الحقائـق والإشـكاليات التـي يعانـي منهـا المجتمـع العُمانـي خاصـة فيمـا يتعلـق بالاقتصـاد المحلـي، فالقضايـا الاقتصاديـة تمثـل جانبًـا حساسًـا للأفـراد فـي ظـل الحاجـة لرفـع مسـتوى الدخـل نظيـر مـا فرضتـه متطلبـات الحيـاة، فقـد جـاء اعتـراف صريـح بالحاجـة الماسـة لتمكيـن المـرأة اقتصاديًّـا فـي ظـل الأوضـاع الاقتصاديـة المحليـة، ويتمثـل ذلـك بشـكل واضـح فـي النـص: «توجـه المـرأة للعمـل الحـر يتطلـب التدريـب والتأهيـل إلـى جانـب الدعـم المـادي والمعنـوي، فالقطـاع الحكومـي لا يسـتوعب الأعـداد الكبيـرة مـن الباحثيـن عـن عمـل إذ يتطلـب مـن يمتلـك المهـارة والحرفـة أن يبـدأ مشـروعه الخـاص ويكـون مديـرا لحرفتـه، فطلـب الـرزق لا يقتصـر علـى الوظيفـة فقـط»، و»تحسـين مسـتوى الدخـل وخلـق فـرص للمـرأة مـن خـلال إقامـة مشـاريع صغيـرة ومتوسـطة كانـت أبـرز أهـداف النـدوة التـي أقيمـت لتطويـر أعمـال المـرأة الريفيـة».

يتَّضـح أن إعطـاء الحقائـق الصريحـة تحمـل معنـى كامنًـا يوحـي بالوضـع الاقتصـادي، إضافـة إلـى أنـه يُحـرك فـي نفـس المـرأة الرغبـة فـي المشـاركة الاقتصاديـة بشـتى الطـرق، لكونـه الخيـار الوحيـد أمامهـا لتحسـين الوضـع المعيشـي. ولـم يكـن الاقتصـاد الجانـب الوحيـد الـذي طـرح؛ بـل أُعتـرف بقصـور دور الإعـلام فيمـا يتعلـق بتمكيـن المـرأة فـي محاولـة الإشـارة إلـى محاولـة تحسـين جـودة الإعـلام مـن خـلال النـدوات وحلقـات العمـل المختلفـة، ويتضـح ذلـك فـي النـص: «موقـف الإعـلام مـن التحـولات النفسـية التـي تمـر بهـا المـرأة يأخـذ حيـزًا واسـعًا مـن النقـاش، ففـي الوقـت الـذي يـرى فيـه البعـض أن الإعـلام نجـح فـي تسـليط الضـوء علـى هـذه التحـولات؛ يتحـدث البعـض الآخـر عـن قصـور إعلامـي يجـب الوقـوف عنـده».

اسـتخدام الأعـداد الكبيـرة نسـبيًّا للإيحـاء بالجهـود الجبـارة التـي تقدمهـا سـلطنة عُمـان بكافـة مؤسسـاتها لدعـم المـرأة، مثـل: «المبـادرة سـتكون محتضنـة مـن قبـل مبـادرة ياسـمين التـي أُطلقـت مـن دولـة الكويـت، وسـاهمت فـي تدريـب وتأهيـل نحـو أحـد عشـر ألـف امـرأة بمجـال الاسـتثمار المالـي وأولويـات للمشـاريع ماديًـا، فـي حيـن تسـتهدف المبـادرة فـي السـلطنة النسـاء العامـلات فـي المشـاريع المتوسـطة والصغيـرة ورائـدات الأعمـال».

يمكـن للتغطيـة الإعلاميـة للموضوعـات أن تُشـعر المـرأة بأهميـة دورهـا، وتعـزز رؤيتهـا الإيجابيـة حـول ذاتهـا، والجهـود التـي تعمـل علـى تحقيـق الراحـة والاسـتقرار لهـا، ومـن ذلـك التقريـر الإخبـاري حـول أحـد النـدوات فـي النـص: «المـرأة وتحولاتهـا النفسـية فـي ظـل التغيـرات العالميـة شـغلت بـال الكثيريـن، ممـا حـدا بأكثـر مـن عشـرين مُتحدثًـا مـن مختلـف الـدول العربيـة للالتقـاء بالمنتـدى الدولـي الأول الـذي يناقـش رصـد الإعـلام للتحـولات النفسـية التـي تواجـه المـرأة»، و»علـى هامـش المنتـدى تقـام حلقـات عمـل تسـتعرض جوانـب متعـددة منهـا مـا يسـلط الضـوء علـى القضايـا المختلفـة للمـرأة ومـن الحلقـات مـا يـدرس مسـتوى اهتمـام الإعـلام الجديـد بهمـوم حـواء» و»منتـدى المـرأة والتحـولات النفسـية باختـلاف محـاور جلسـاته يحمـل رسـالة للمـرأة مفادهـا أن وعـي المـرأة بصحتهـا يجـب أن يكـون مـن أولويـات اهتمامهـا».

وَرَدتْ في بعض السياقات دلالة على رغبة الحكومة والمؤسسات في مشاركة المرأة في الحوارات، منها: «شهدت الندوة مداخلات شفافة من قبل الفئة المستهدفة خِدمةً لهذه الشريحة الاجتماعية الناجحة «، ويمكن فهم السياق بأنه تشجيع للمرأة لطرح أفكارها بثقة أمام الملأ. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأخبار مُدعمة بالمقاطع المرئية، وتغطية كاملة للندوات ممَّا يعزز ثقة المرأة بمصداقية الرغبة في مشاركتها الفاعلة.

أداة تحليل القوى الفاعلة

تكشف هذه الأداة عن الفاعلين المحركين للأحداث في الخطاب، والصفات التي وصفهم بها الخطاب. ويتم تحديد الموقف الذي يقفه الخطاب اتجاه هؤلاء الفاعلين؛ سواء أكان موقفًا سلبيًّا أم إيجابيًّا، ثم تُصنَّف إلى مجموعات، فقد تكون قوى معارضة ومؤيدة، أو قوى رسمية وقوى شعبية، أو قوى داخلية وقوى خارجية (أحمد، ٢٠١٩، ص٣٥١ ص٣٥٢). ووجَدَ الباحثان أن تصنيف القوى الفاعلة إلى قوى رسمية وقوى شعبية هو الأجدى لدراسة الخطاب المُوجه لتمكين المرأة العُمانية، إذ ظهرتْ قوى رسمية حكومية تتمثل في الوزارات والمراسيم السلطانية، إضافة إلى القوانين والتشريعات، أما القوى الشعبية؛ فتتمثل في المبادرات التي تقدمها الجمعيات أو المؤسسات الخاصة أو المستقلة، سواء أكانت محلية أم دولية، ونعرضها وفق الآتي:

القوى الرسمية: مثالها ذِكر الوزارات في النص الإعلامي، مثل: وزارة التنمية الاجتماعية: «تهدف حلقة العمل إلى نشر المذكرات التوضيحية للنصوص القانونية ذات الصلة بالمرأة، والتي تمثل إحدى التوصيات التي خرجت بها ندوة المرأة العُمانية في أكتوبر عام ٢٠٠٩، وقد أعدَّتها وزارة التنمية الاجتماعية بالتعاون مع خبراء ومختصين في المجال القانوني»، وأُشير إلى المشاركين المؤثرين والداعمين للندوة في التقرير الإخباري نفسه، مثل: جامعة السلطان قابوس، ووزارة الشؤون القانونية: «تُعرِّف الحلقة التي يشارك فيها مختصون من جهات عدة كجامعة السلطان قابوس ووزارة الشؤون القانونية بتفاصيل المواد القانونية التي تعرف المرأة بحقوقها في المنزل والمدرسة والعمل، وكافة المناحي الحياتية التي تخصها»، وأُشير أيضًا إلى القرارات الوزارية مثل: «سمو السيد ذي يزن بن هيثم آل سعيد وزير الثقافة والرياضة والشباب يصدر قرارًا وزاريًا بإشهار نادي المرأة العُمانية للرياضة والإبداع الثقافي».

القوى الشعبية: تتمثل في ذِكر منظمات ومؤسسات محلية ودولية مثل: لجنة المرأة التابعة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الإسكوا: «تمكين المرأة اقتصاديًا واجتماعيًا، وتذليل العقبات التي تعترض طريقها في المجال المالي؛ تُعد من القضايا التي يهدف إليه اجتماع الدورة السابعة للجنة المرأة التابعة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الإسكوا»، و»المؤتمر السابع لمنظمة المرأة العربية يناقش تجربة السلطنة في مجال تمكين المرأة في مختلف المجالات»، وذُكِرتْ جمعيات المرأة العُمانية في ولايات عُمان المختلفة مثل: «جمعية المرأة العُمانية بولاية الرستاق تنظم الندوة العلمية للمرأة والقانون في المجتمع العماني»، و»ملتقى تمكين المرأة العُمانية في ولاية صور بمحافظة جنوب الشرقية»، و»جمعية المرأة العُمانية بالخابورة تنظم ندوة حول تمكين المرأة اقتصاديًا» وغيرها.

وممَّا ذُكر في أعلاه؛ يُلحظ بروز القوى الفاعلة في موضوع تمكين المرأة العُمانية، ويتكرر ذكرها في جميع التقارير الإخبارية ممَّا يدل على الجهود الواضحة المبذولة في سبيل تحقيق تمكين المرأة في سلطنة عُمان. أضف إلى ذلك؛ فإن ذِكر القوى الفاعلة والإشادة بجهودها المختلفة يُعزز تلقي الرسالة الإعلامية بصورة إيجابية، ممَّا يسهم بشكل فاعل في نشر الوعي حول تمكين المرأة في المجتمع العُماني.

الخاتمة والنتائج

بعد تحليل لغة الخطاب الإعلامي المُوجه لتمكين المرأة العُمانية من منهج تحليل الخطاب؛ واستقراء عينة عشوائية من النصوص الإخبارية بلغت ثمانية عشر نصًّا إخباريًّا حُددتْ بإطار زمني خلال الفترة من ٢٠١٣م-٢٠٢١م؛ يمكن الإجابة عن أسئلة الدراسة المُتمثلة في:

ما مدى فاعلية لغة الخطاب الإعلامي في تمكين المرأة العُمانية؟ وهل أدَّى دورًا إيجابيًّا في نشر ثقافة التمكين؟

من خلال الاستقراء والتحليل فإن لغة الخطاب الإعلامي العُماني أسهمتْ بشكل فاعل في تمكين المرأة العُمانية من خلال استخدام المؤثرات الإيجابية في المتلقي، مثل: التركيز على المفاهيم المتعلقة بتمكين المرأة وتكرارها، والتأكيد على مضمون الخطاب بالحجج والبراهين، واُستخدِمتْ التراكيب اللغوية التي توحي بمعانٍ ضمنية تؤكد تمكين المرأة العُمانية وتُشجع عليه، إضافة إلى التنويه بالقوى الفاعلة في عملية تمكين المرأة. وخلصتْ هذه الدراسة إلى الآتي:

١. نجح الإعلام العُماني في تكريس البناء اللغوي للخطاب الإعلامي لخدمة هدفه الأساس في نشر الوعي بأهمية تمكين المرأة العُمانية، وتطبيق التمكين واقعيًّا.

٢. أسهمتْ لغة الخطاب الإعلامي العُماني بشكل فاعل في تعزيز تمكين المرأة العُمانية من خلال استخدام المؤثرات الإيجابية في الخطاب المُوجَّه إلى المرأة، وتأكيد ذلك بأداة مسار البرهنة القائمة على الأمثلة الواقعية من التجارب المُحفزة للمرأة العُمانية.

٣. استخدم الخطاب الإعلامي العُماني - من خلال أداة تحليل المعنى الكامن للخطاب - سياقات تُركز على الجانب النفسي للمرأة العُمانية، مثلًا: العدالة والمساواة بين المرأة والرجل، وشراكة المرأة مجتمعيًا مع الرجل في بناء عُمان، وهذا يؤثر بشكل إيجابي فاعل في الفئة المستهدفة المُمثلة في المرأة العُمانية.

٤. أشعرتْ لغة الخطاب الإعلامي المرأة العُمانية بشراكتها الوطنية في علاج الإشكاليات التي يعاني منها المجتمع العُماني.

٥. عزَّز مسار البرهنة والدليل، واستمرار ذِكر القوى الفاعلة والإشادة بجهودها المختلفة؛ شعور المرأة العُمانية بشراكتها الوطنية، وإشعار الجهات المختلفة بدورها الأساس تجاه المرأة العُمانية.

توصيات الدراسة ومقترحاتها

استمرار الإعلام العُماني في دعم تمكين المرأة العُمانية ومشاركاتها داخل عُمان وخارجها.

ضرورة توافق لغة الخطاب الإعلامي مع طبيعة المتلقي ورغباته، فتمكين المرأة لن يتحقق بصورته المُثلى إلا بشعور المرأة العُمانية بأهمية الخطاب الإعلامي المُوجَّه إليها.

يجب أن يسعى الإعلام بشتى وسائله إلى استغلال لغة الخطاب الإعلامي لتحقيق نتائج أكثر فاعلية وتأثيرًا في نفس المتلقي، وفي خِضم التطور التكنولوجي والمعرفي فإن هيمنة الكلمة اللغوية تُحتم على الإعلام العُماني أن يسعى إلى تنويع لغة الخطاب الإعلامي بهدف تحقيق نتائج أكثر فاعلية وتأثيرًا في تمكين المرأة العُمانية في المجتمع.

تشجيع الباحثين للوقوف على قضايا واتجاهات أخرى تتعلق بأدوار المرأة العُمانية في بناء نهضة عُمان المتجددة.

قائمة المصادر والمراجع

أحمد، أميرة، تحليل الخطاب الإعلامي: مدخل نظري، الجزائر: مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة، مج (٨)، ع (٣)، ٢٠١٩م.

أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط٤، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

بن علال، سهام، التمكين السياسي للمرأة الجزائرية: دراسة في الأطر النظرية والميدانية، ط١، ألمانيا: المركز الديموقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ٢٠١٨م.

جرادات والمعاني وهاشم وآخرون، أثر التمكين الهيكلي في تحقيق التمكين النفسي للعاملين في المنظمات الأردنية العامة، فلسطين: مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج (٨)، ع (١)، ٦٣-٨٩، ٢٠٠٣م.

الجمال، راسم، عياد، خيرت، التسويق السياسي والإعلام، ط١، مصر: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥م.

دايك، تيون إيه، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، ترجمة. أحمد الواحد، مصر: مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع (٧٧)، ٢٠١٠.

زايد، أميرة عبد السلام، الاتجاهات الحديثة في تمكين المرأة لتنمية المجتمع، السعودية: دراسات عربية في التربية وعلم النفس، رابطة التربويين العرب، (٦٧)، ٢٠١٥م.

الشمري، سلمى وآخرون، سُبل تمكين المرأة على العطاء العِلمي والمعرفي، العراق: جامعة دهوك، مجلة جامعة دهوك، مج (٢٦)، ع (١)، (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، ١٢٨٤-١٢٩٥، ٢٠٢٣م.

عبد الله، إسماعيل، في التنمية العربية، ط٢، القاهرة: دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

الكعبي، سهام، تمكين المرأة: الفرص والتحديات، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، الإمارات العربية المتحدة: كلية الامارات للعلوم التربوية والنفسية، ٢٠٢٠م.

مزيوة، بلقاسم، تمكين المرأة العربية والإعلام الواقع والآفاق، الجزائر: مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج (٢)، ع (٥)، ٢٠١٨م.

مسعود، أماني، التمكين، مصر: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، ع (٣٢)، السنة (٢)، ٢٠٠٦م.

يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.

توثيق التقارير الإخبارية المُدرجة في عينة الدراسة:

البادي، علي. (٢٠٢١/١١/٢٧). ندوة تمكين المرأة بمحافظة شمال الباطنة تبحث تمكين المرأة في ميدان التجارة والاستثمار.]ملف فيديو[.]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=_IZΛDdCgarw، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/٢٣م.

البلوشي، عبد الله. (٢٠١٧/٩/١٢). إطلاق مبادرة «التمكين المالي للمرأة العُمانية» الساعية لتدريب وتأهيل المرأة على إدارة مشاريعها المالية.]ملف فيديو[.]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=Oq٦oPahMrmQ، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/١٠م.

البلوشي، يعقوب. (٢٠٢١/١٠/١٦). منتدى المرأة العُمانية تحت شعار «تمكين المرأة مجتمعيًّا».]ملف فيديو[.]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=hgn٩OGCQBPk، تاريخ الاسترجاع: ١/مايو/٢٠٢٣م.

الحجرية، فاطمة. (٢٠١٦/١/٢٠). الدورة السابعة للجنة المرأة التابعة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا.]ملف فيديو[،]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=w٥gp٥GZ٤YwA، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/٧م.

الخليلي، محمد. (٢٠١٩/٢/١٧). دورة «دور المرأة والمجتمع المدني في تحقيق أهداف التنمية ٢٠٣٠ « تناقش جهود السلطنة في مجال تمكين المرأة. ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=CbB٩٢wEhRdE، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/١٣م.
الخليلي، محمد. (٢٠١٧/١/٢٤). ملتقى تمكين المرأة العُمانية في ولاية صور بمحافظة جنوب الشرقية.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني: https://
www.youtube.com/watch?v=S١F٦AJfauVg، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/٦م.
زعبنوت، سالم. (٢٠١٧/٧/٢٧). ندوة توعوية حول تمكين المرأة الريفية بمحافظة ظفار.]ملف فيديو]،]مركز الأخبار العُمانية]، الرابط الإلكتروني: https://www.
youtube.com/watch?v=rlMGuBrqohA، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/١١م.
السعدي، منصور. (٢٠١٣/٩/١١). جمعية المرأة العُمانية بولاية خصب تناقش المرأة في التشريعات العُمانية خلال حلقة عمل.]ملف فيديو[.]مركز الأخبار العُمانية[. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=Gj٦٣cJivKug، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/١٠م.
الشبلية، انتصار. (٢٠١٧/٩/١٧). منتدى دولي بمسقط يناقش دور الإعلام في رصد التحولات النفسية للمرأة في ظل المتغيرات العالمية.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=PQUGAJxr--w، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/٨م.
الشبلية، انتصار. (٢٠١٥/٢/٢٢). غرفة تجارة وصناعة عمان تستضيف ندوة التمكين الاقتصادي للمرأة العُمانية.]ملف فيديو [.]مركز الأخبار العُمانية[. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=pvmIxImSfZM، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/٦م.
صبري، سحر. (٢٠١٧/٩/١٤). السلطنة تشارك في دورة التمكين السياسي للمرأة التابعة لمنظمة المرأة العربية بالقاهرة.] ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=uADa١SBzu٤c، تاريخ الاسترجاع: ٦/أبريل/٢٠٢٣م.
العجمي، عبد العزيز. (٢٠١٩/٤/١٩). جمعية المرأة العُمانية بالخابورة تنظم ندوة حول تمكين المرأة اقتصاديا.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=QeDRcc٢hnbg، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٥/٥م.
اللويهي، عبد الله. (٢٠١٨/١٢/١٨). المؤتمر السابع لمنظمة المرأة العربية يناقش تجربة السلطنة في مجال تمكين المرأة في مختلف المجالات.] ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=DCuzuUHcHWs، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/٩م.
اللويهي، عبد الله. (٢٠١٦/٤/٢٧). جمعية المرأة العُمانية بولاية الرستاق تنظم الندوة العلمية للمرأة والقانون في المجتمع العُماني.]ملف فيديو]،]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=GFsiDcsavlY، تم الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/١١٠م.
اللويهي، عبد الله. (٢٠١٨/٨/٨). اختتام برامج التدريب على مهنة الخياطة والتطريز في المصنعة.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني: https://
www.youtube.com/watch?v=i٠gO٩AQ_JM-، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٣/٨م.
مركز الأخبار العُمانية. (٢٠١٩/١٠/١٥). انطلاق فعاليات ملتقى «تمكين المرأة في مجال برمجة المواقع الإلكترونية» بمشاركة دولية واسعة.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني: https://www.youtube.com/watch?v=UfnsnHkcJIY، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/١٢م.
مركز الأخبار العُمانية. (٢٠٢١/١٠/١٧). احتفاء بيوم المرأة العُمانية في الـ١٧ من أكتوبر من كل عام. سمو السيد ذي يزن بن هيثم آل سعيد وزير الثقافة والرياضة والشباب يصدر قرارًا وزاريًا بإشهار نادي المرأة العُمانية للرياضة والإبداع الثقافي، ترجمة للأسس التي تتبناها سلطنة عمان في مجال تمكين المرأة.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=PqDLfVm٠cB٨، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٥/١م.
مركز الأخبار العُمانية. (٢٠٢١/١/٢٦). جلسة لدور الإعلام في تمكين المرأة وملامح من الخطة الخمسية العاشرة في ولاية صور.]ملف فيديو].]مركز الأخبار العُمانية]. الرابط الإلكتروني:
https://www.youtube.com/watch?v=i٩٦٤VWo١A٣Q، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٣/٤/١٢م.

الشخصية في رواية «درب المسحورة» للروائي: محمود الرحبي

د. حمود بن عامر الصوافي/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قسم البحوث - جامعة نزوى زائرا

D. Hammoud bin Amer Al Sawafi/Ministry of Endowments and Religious Affairs, Research Department - University of Nizwa as a visitor

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2024 - 02 – 09

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 - 02 – 25

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 - 02 – 28

الملخص

حاول هذا البحث أن ينظر في شخصيات رواية: «درب المسحورة» ويتعرف على سماتها، ويكشف أبعادها الجسدية والنفسية والاجتماعية والفكرية، ومدى ملاءمتها لسير أحداث الرواية، وكيف وظّف الكاتب كل شخصية ووضعها في موضعها المناسب لها، وأظهر البحث أيضا المرجعيات التي اتكأ عليها الكاتب في بناء شخصيات الرواية؛ سوا كانت مرجعيات اجتماعية أو مناطقية أو تاريخية أو دينية أو أسطورية أو مجازية، وقد اعتمد الباحث في كشف كل تلك الأبعاد على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: درب المسحورة- الفتاة- الراعية- محمود الرحبي.

The character in the novel "The Enchanted Path" by the novelist: Mahmoud Al-Rahbi

Abstract

This research attempted to look at the characters of the novel: "The Enchanted Path," identifing their characteristics, revealing their physical, psychological, social, and intellectual dimensions, and their suitability to the course of the events of the novel, and how the writer employed each character and placed it in their appropriate position. The research also showed the references that the writer relied on in constructing the characters of the novel, whether they are social, regional, historical, religious, mythical, or metaphorical references. The researcher relied on the descriptive and analytical approach to reveal all .of these dimensions .

Keywords: The Enchanted Path - The Girl - The Shepherdess - Mahmoud Al-Rahbi

مقدمة

ظل الأدب العربي موردا يأخذ منه العلماء مادتهم، والأدباء نصيبهم، كل حسب حاجته ورغباته، فمنهم من وجد ضالته في الشعر فسرح فيه وهام، ومنهم من ألفى طريقه في النثر فبسط فيه واسترسل، ولعل الأدباء في عصرنا الحاضر قد وجهوا أكفهم نحو النثر، فبسطوه على شكل قصص أو مسرحيات أو روايات فطرب به العامة والخاصة وأعجبوا به؛ فكانت له المكانة الرائدة، والشهرة السامقة؛ لأنه دغدغ مشاعرهم، وغاص في مكنونات صدورهم، وخبايا أنفسهم من خلال تقديم صور مكتنزة ومتراصة، ذات قوالب حيوية نابضة بالحركة والنشاط.

ولا ريب أن الأدب العماني يعيش تحت مظلة الأدب العربي، وإن وجدت فيه بعض الخصوصية البيئية شأنه شأن غيره من الأقطار العربية الأخرى؛ فكان تسليط الضوء عليه من باب تعريف الآخرين ببعض هذه الجوانب، ولفت الانتباه إلى أهمية دراسته بصفته أدبا عربيا لا يجوز إهماله أو تركه.

ولم يكن اختياري للشخصية في رواية: «درب المسحورة» لمحمود الرحبي خبط عشواء؛ وإنما أكثر ما شدني في شخصيات الرواية هو الغموض الطاغي عليها، والأحداث الخفية في ثناياها؛ فكانت الدراسة مغامرة في استنطاق النص، ومحاولة لسبر أغواره، والإجابة عن خباياه وخفاياه.

مشكلة البحث: عرض الأبعاد التي رسمها الكاتب لكل شخصية في الرواية، ومدى ملاءمتها لأحداث الرواية.

أسئلة البحث: ما الأبعاد النفسية والاجتماعية والفكرية التي أفصحت عنها شخصيات الرواية؟ وما مدى ملاءمة هذه الأبعاد لسير الأحداث في الرواية؟ وما المرجعيات الاجتماعية أو المناطقية أو التاريخية أو الدينية أو المجازية التي اتكأ عليها الكاتب في صنع الشخصيات في الرواية؟

المنهج: اتبع الباحث المنهج الوصفي في التعرف على الشخصيات مع الاستعانة بطرائق التحليل المختلفة التي تفصح عما تخبئه هذه الشخصيات من مضمرات تفهم من خلال السياق وأحداث الرواية.

تعريف الشخصية لغة:

أتت الشخصية من الجذر (شَخَصَ) بمعنى: برز وارتفع، جاء في كتاب العين: الشخص: سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه؛ فقد رأيت شخصه، وجمعه: الشُّخوص والأشخَاص...وشَخَص ببصره إلى السماء: ارتفع (الخليل،١٩٨٩، شخص)، فيمكن القول: إن الشخص هو الذي يميز هذا عن ذاك، فتبرز فيه بعض الصفات التي تجعله مختلفا عن غيره.

تعريف الشخصية اصطلاحا:

«تعد الشخصية عنصرا أساسيا في الرواية بل إن بعض النقاد يرى أن الرواية هي «فن الشخصية»(زغاد، ٢٠١٩، ٣٨)؛ لذا اهتم بها العلماء، وعرفوها، وكتبوا عنها، فكانت هناك تعريفات عديدة للشخصية، سنورد بعضها، بدءا من هامون فيليب الذي عرّفها بأنها: «دال منفصل يحيل إلى مدلول منفصل، وعلى هذا الأساس ستتحدد الشخصية من خلال شبكة علائقية من التشابهات والتراتبية والانتظام»(فيليب، د.ت، ٣٨). فيفهم من ذلك أن الشخصية هي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد»(القزويني، ٢٠١٩م، ٣) أما فلاديمر بروب فقد نحا منحى أرسطو في وصف الشخصية وحصرها في وظائفها(فلاديمر، ١٩٩٦م، ٣٨)، فعدها عنصرا ثانويا في تشكيل البنية النصية(القزويني، ١٢)، وأشار حميد لحميداني إلى الشخصية الحكائية بأنها: « الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات(لحميداني، ١٩٩١م، ٧٦).

إذن؛ يمكن القول بأن الشخصية: هي كل ما يتعلق بالشخص من جهة جسده وسحنته، أو صفاته وسماته أو وظائفه ورغباته واهتماماته؛ لأن الراوي أراد أن يشخص الشخصية، ويجعلها ظاهرة للقارئ ومتصورة؛ لذا ينبغي أن تكون ملامحها واضحة.

أصل الرواية «درب المسحورة»:

عبارة عن قصة أسطورية قديمة ذكرها الإمام السالمي في تحفة الأعيان لشاعر مجهول، وقد حاول الكاتب أن يكمل اللقطات والنواقص في القصة، ويتخيل الأحداث والشخصيات والزمان والمكان وبقية العناصر؛ لتكون على هيئة رواية مكتملة الأركان والتفصيلات، وقد كان مطلع المنظومة:

لقد ظهرت أعجوبة في زماننا * بقرية نزوى وهي أم العجائب

ألا فكروا في أمرها فهي عبرة * لمن كان يرجو ربه في العواقب

فتاة أناس بنت ست توفيت * وقد قبروها في قبور الأصاحبِ

وقال حليم منهم قبل دفنها * حياة بها ما صدقوا قول كاتب

ولو صدقوا هذا فكيف احتيالهم * وما قولهم في حادثات النوائب

(السالمي، ١٣٣٣هـ، ج٢، ١٠٥).

الأحداث العامة للرواية:

تدور الرواية- كما ذكرها الكاتب- حول فتاة سُحرت؛ فظن أهلها أنها ميتة، فكفنوها، وأخذوها إلى المقبرة، فإذا برجل غريب يوقف الجنازة، ويطلب رؤية الفتاة فلم يرضخ له الأهالي إلا أن إصراره ووقوفَ أم الفتاة معه في هذا القرار جعلهم يلبون طلبه، ويسمحون له برؤية الفتاة، فلما رآها، قال لهم: إنها مسحورة، فارجعوا بها إلى المنزل، وادهنوها بالزئبق، ثم خذوها إلى المقبرة، وارجعوا إلى بيوتكم، فلن يقربها الساحر في ليلتها هذه، ثم تعالوا لإعادتها إلى منزلها في الصباح الباكر.

فلما ذهبت الأم إليها في الصباح لم تجدها؛ فقد سبقتها إليها

راعية، فظلت الأم وأقرباؤها يبحثون عنها فلم يجدوها، وكان لدى الفتاة أخ، دله على مكانها العطشُ الشديد الذي انتابه أثناء رعيه الغنم، فأعجب بها، وأراد خطبتها، فلما توجه إليها مع أمه تفاجأت الأم بها، وحاولت أن تأخذها معها إلا أن الراعية وقفت لها بالمرصاد، فاشتكت الأم إلى القاضي، وتحاكما، فخيّر القاضي الفتاة بين الأم الحقيقية والأم المربية (الراعية).

أولا: أبعاد الشخصية في رواية درب المسحورة:

تعد الشخصية في الرواية من أهم النقاط التي يجب أن يركز عليها الباحث؛ لأن تنزيلها إلى العالم الروائي جاء نتيجة تفاعلات معرفية أو نفسية أو اجتماعية جعلت الكاتب يؤكد عليها، ويجعلها حجر الأساس في روايته؛ لذلك ما يكتبه عن هذه الشخصية، أو يصفه له مدلولات يمكن أن تكتشف من خلال الرواية؛ فلا ضير أن ركز النقاد عليها؛ فيعمد الراوي عادة إلى توظيف الشخصيات من أجل إيصال فكرته، وبلوغ غايته في الرواية التي يروم تصويرها وتقديمها للقراء؛ لذلك كان من الضرورة تتبع الشخصيات، ومعرفة الملامح التي تحويها سواء كانت ملامح حسية تتعلق بالجسم، أو معنوية تتعلق بالأبعاد النفسية أو الاجتماعية أو الفكرية أو غيرها من الأبعاد الأخرى، ولا ريب أن الأبعاد التي اختارها الكاتب في روايته لم تكن دون معنى، أو مجردة من أي قصدية، بل كمن ذلك من خلال الأوصاف التي أسقطها على شخصياته، وظهر بجلاء من ذكره الملامح التي جعلها في روايته؛ لأن هذه الأوصاف يفترض أن توضع بدقة، وتوظف بمهارة؛ فلا يتكلم عن الكتابة في بيئة أمية لا تعرف شيئا عن أبجديات العلم، ولا عن الحضارة في بيئة بدائية صحراوية لا تفهم شيئا من ذلك، بل يجب أن تكون الملامح الشكلية متجانسة مع الأوصاف المعنوية ومكملة لها، وهما بدورهما يمهدان للأحداث، ويعطيان صورة ناصعة لما ستكون عليه الرواية في نهايتها، «فغالبا ما يكشف المتلقي المكانة الاجتماعية للشخصية من خلال ملابسها، وكذلك حركات رجل بدين تختلف تماما عن حركات رجل نحيف، وسلوك شخص دميم المنظر ربما اختلف عن سلوك إنسان وسيم»(فتاح، العدد: ١٠٢، ٥٠)، وقد حاولنا من خلال النظر في رواية درب المسحورة في الأبعاد المختلفة (الجسدية والنفسية والاجتماعية والفكرية) أن نرى الصورة التي جسدها الكاتب على شخصيات الرواية من جهة توافقها أو تخالفها، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

-الساحر: أضفى على الساحر أوصافا مفزعة مقرفة مخوفة؛ فلا يراه الشخص إلا وينفر منه، ولا ينظر إليه إلا ويسبق الخوف إلى نفسه، فيقول عنه:» كان شيطانا بدون قرنين، بلحية مسننة وعينين ماكرتين»(الرحبي، ٢٠١٠، ١١)، وكأنه يشير إلى خيالات الإنسان اتجاه الشياطين، والحيوانات المفترسة إلا أن شخصية الساحر بدت إنسية متلبسة بثوب الشياطين، ولحيته المسننة توحي بالغرابة والإهمال والشك، إضافة إلى عينيه الماكرتين اللذين شبههما بالثعلب الماكر. قائلا في موضع آخر: «مصوبا عينين تنبضان بالمكر»(الرحبي، ١٢)، وقد أراد الكاتب من شخصية الساحر أن يبين خطر التهميش، ويركز عليه، ويبرهن أنه يؤدي إلى تحول المرء إلى شرير حقود على كل البشر سواء كانوا صغارا أو كبارا، رجالا أو نساءً؛ لأن الساحر في الرواية شعر أن المجتمع قد شارك بأسره في وحدته وتهميشه ومضايقته.

وقد كان سبب وقوع الساحر في التهميش هو إشاعات وخرافات اجتماعية زرعها الجهل، وغذّاها انعدام الوعي، وقلة المعرفة والعلم بدءا من خروج الساحر من قدمية من بطن أمه قبل رأسه، فقد جاء في الرواية: «قدماه الصغيرتان ترتفعان وتتكمشان تتدلقان من الرحم ترفسان، ثم ما تلبثان أن ترتفعا إلى الداخل...التي خرجت فيها القدمان قبل الرأس»(الرحبي، ١٥)، وقال عن إشاعة سحر والده: «لم ير أباه الذي مات قبل مولده بأيام، فحامت فكرة ثابتة لدى الناس بأنه بدأ به بأبيه سحره، وهو في طريقه إلى الدنيا»(الرحبي، ١٦)، ولم يتقبله كذلك معلم القرية قائلا في ذلك: «لم يقبله المعلم في عريشه»(الرحبي، ١٦)، وكذلك الفتيات كن يحذرن منه ويبتعدن عنه، قائلا: «والفتيات اللائي يصادفنه في طريقهن ترتسم صور الذعر في وجوههن»(الرحبي، ١٦). فتحول بعد كل هذه المعاناة إلى ساحر انتقاما من الناس والمجتمع الذي عاش فيه، قائلا: «سأتحول إلى ساحر، وسيتحول الكثير من البشر إلى معدتي، ثم ألفظهم بعد ذلك من عجيزتي كما يلفظ الحيوان الروث»(الرحبي، ١٧).

وقد وصف الساحر نفسه بأنه شره طماع، لديه شبق في طعام الأدميين، قائلا في ذلك «ها هي الآن تتقدم إليّ مرفوعة في صحن شهي»(الرحبي، ٣٥)، وبدا هذا الشبق أيضا جنسيا من خلال قوله للفتاة:» ما الذي يوجد تحت ثوبك يا صغيرتي؟(الرحبي، ١٢)، وقد وقع الكاتب في تناقض في وصف الساحر والسحرة؛ فمرة قال: إن هؤلاء السحرة لا يهمهم إلا القتل وتغييب حواس البشر، ومرة يشير إلى الشبق الجنسي من خلال عبارات الساحر، ومقولاته المريبة مع الفتاة.

-الفتاة: هي فتاة لم تصل إلى مرحلة البلوغ، تنطبق عليها صفات الأطفال؛ فقد ذكر أنها رشيقة، فيقول في موضع: «تركض باتجاه حقل ذهبي تعلوه تيجان سنابل، تخزها الريح، وتحضنها فراشات، يلعقن بغنج رذاذ طلعها المتناثر»(الرحبي، ١١)، ويتردد الكاتب في استعمال مصطلحي الصبية والفتاة، إلا أن الوصف الجسدي يرجح أنها كانت صبية صغيرة، وبعض المحاورات التي ذكرها الكاتب في الرواية تشير بأنها امرأة كبيرة يافعة، تستطيع أن تدافع عن نفسها، وترد على مراوغات الساحر، وتفهم إيماءاته وحركاته وعباراته من أول وهلة؛ فقد جاء في الرواية: «ما الذي يوجد تحت ثوبك يا صغيرتي؟ جهنم الحمراء، قالت الفتاة»، إذن اقتربي مني لنعذب هذا الكافر... قالها ذو العينين الماكرتين وهو يمسح بطنه نزولا....أنت

شيطان قالت الفتاة»(الرحبي، ١٢)، وقد ذكر أنها تلبس تنورة وهي لفظة حديثة غير عربية، ولم تكن مستعملة في تلك الأزمان الغابرة في البلاد العربية، قائلا في ذلك: «وفجأة ارتفعت تنورة الفتاة بفعل القفز الفرح»(الرحبي، ١١)، وقد بدت الفتاة سعيدة فرحة إبان سنيها الأولى قائلا عنها:»بفعل القفز الفرح والهواء»(الرحبي، ١١، ١٢)، ثم ذكر أن حالتها تبدلت وتغيرت فأخذ الخوف يسيطر عليها لما رأت الساحر، وقد نفث عليها سحره بكلماته وحركاته، يقول الكاتب:» ولكنها جفلت فجأة ... وبدت كمن يقطع حبالا ثخينة تطوق جسده»(الرحبي، ١٢)، ثم قال: «رجعت أدراجها راكضة إلى بيتها، ورعشات الخوف تعصر جسدها كزوبعة عنيدة تتشبث بملابسها، وتغوص في صدرها وظهرها وقدميها»(الرحبي، ١٢)، ولم يكن لها بد إلا المقاومة والتشبث بالحياة قائلا في حقها: «وتشبثت بالصحو والحياة»(الرحبي، ١٢)، وذكر أن القلق والاضطراب، والحيرة ظلت تلاحقها في مسيرة حياتها حتى أثناء مجيئ أمها، وموقفها منها، ومحاولة استذكار ما جرى لها، وكيف وفقّت بين أمها الحقيقية والمربية(الراعية).

وأما حياة عائلتها الأولى فقد بدت متوسطة الغنى، مستورة الحال، ذكر الكاتب أن في يدها قصعة خبز(الرحبي، ١١)، ووُضعت على أذنيها أقراط فضة واسعة كبيرة، قائلا: «وقرطا فضةٍ واسعا الهوة يلتصقان بأذنيها، يتأرجحان ويتقاربان في رنين خافت»(الرحبي، ١١).

-الأم: مثلت الحزن والفرح والشفقة والبكاء والحنين والذكريات تمثيلا جميلا، جعل من يقرأ الرواية ينفطر لحال الأم، ويتألم لمصابها، وهي تبحث عن فلذة كبدها بين المقابر والصحاري القفار، وتلوم نفسها على تركها وحيدة في القبر، وعدم استعجالها الأمر، وتتألم أيضا لصبيها الذي وقع في حب أخته، ثم تبين له الحقيقة، فأصابه إحباط شديد من إثر ذلك، ولكن الحزن على الفتاة كان المسيطر على مجريات الأحداث طوال الرواية؛ فقد كانت الأم تغذي الأحداث، وتصنع المشاهد في رحلة البحث عن المفقودة قائلة: «ما الذي حل بك يا ابنتي؟ لم تجب زاغت عيناها، وتداعت فوق حضن الأم التي ضمتها قلقة..» (الرحبي، ١٢)، تتذكر زوجها، وتتمنى أن يكون بجانبها يخفف عنها مصابها وأساها على ابنتها، فكأنها خانت عهدها معه بفقدان ابنتها، وعدم قدرتها على فعل شيء اتجاه ما حل بها، قائلة في نفسها، ومؤنبة ضميرها: «ليتك لم تمت أحتاج إلى شيء منك، إلى حضنك ولو لمرة واحدة أظهرِ الآن»(الرحبي، ٥١)، إنها تعيد التساؤلات، وتفتح الأوجاع بين الفينة والأخرى متسائلة عما اعترى ابنتها، وماذا يمكن أن يحصل لها؛ فقد دأبت الأمهات على توقع السيئ، والخوف من مجيئ الأردأ؛ لذلك كن يهيئن أنفسهن للأسوأ، قائلة في ذلك :»ماذا لو كان قد اقترب منك؟ ماذا لو لم تنفره تلك الروائح عن جسدك؟ هل ستكونين لقمة سائغة في أفواه السحرة؟(الرحبي، ٥١). لقد كانت شخصية الأم رئيسة؛ لكون الأحداث متعلقة بها طوال الرواية فهي شخصية بؤرية إذ جلّ الأحداث انصبت عليها وانطلقت منها(بوكبس، ٢٠١٧م، ١٤).

-**الراعية:** تعيش في الصحراء مع زوجها، تميزت بقوة شخصيتها، ونشاطها، وجرأتها، وعدم خوفها من العواقب، وقد تجلى ذلك من خلال تربيتها لابنة انتشلتها من قبو القبر، ورعايتها لها، ولأغنامها وبيعها وشرائها وقيامها بأعمال المنزل، ودفاعها عن الفتاة، وعدم تفريطها فيها أثناء مجيء أمها، وقد عبر الكاتب عن قوة الراعية، بقوله: «أخذتها المرأة معها، وخلعت شالها، وغطت به الصبية»(الرحبي، ٦٠)، وقوله: «دلفت الراعية يسبقها صوتها»(الرحبي، ٦٠)، وقوله:» جعلتها كالابنة تساعدها في شؤون بيتها»(الرحبي، ٦٢)، وقوله: «قوة الراعية ومنعتها حسمتا الموقف»(الرحبي، ٨٩)، وكذلك كانت لينة مع خطيبها، متحببة، ومتغنجة له، فقد وصفها الكاتب قائلا: «ورغم ذلك كانت الفتاة تتمانع بغنج متدثرة بقطيع غنمها، وبالتلال الهاربة في غلالة الأفق، وقف مرة أمامها، هو وحصانه حائل بينها وبين شياهها، أريد أن أمتلكك؟ ردت عليه بغنج، وهي تهش ذيل إحدى النعاج، تعرف خيمة أبي؟! بنى لها أبعد خيمة؛ لأن لديه الهامشة»(الرحبي، ٦٩).

-**الراعي:** بدوي، يعيش في الصحراء، يدخن الغليون كعادة أهل البادية، عرف بالقوة والصلابة، وكان لديه في شبابه حصان يسمى: الهامشة، يعني: الحية؛ لأنه كان كثيرا ما يلمح قبل الأصيل»(الرحبي، ٦٨)، وقد جاء عنه في موضع آخر: «سمي صاحب الحصان؛ لأنه كان لا يفارق ظهره، وسمي الحصان بالهامشة كان لا يظهران لأحد إلا معا»(الرحبي، ٦٨)، ووُصف بأنه طماع قفزت فكرة الطمع إليه عند سماعه عن الفتاة ومجيئها إلى الخيمة؛ إذ فكّر بأموالها التي سيأخذها عند مجيء فارس أحلامها، قائلا: «ولن أتردد حينها سأمنحها إياه مقابل قطيع لا بأس به»(الرحبي، ٦٧)، فكان تفكيره لا يتعدى الحيوانات التي ترعاها زوجه، وما يجنيه من مال زائل، وصفه الكاتب بالشره الجنسي، قائلا: «وَأَلْقَت عين زائغة «(الرحبي، ٦١)، وقوله:» رغم ملاحقات عيني المعاق إلا أن الفتاة لا تعرف خريطة لحركتها أبعد من تلك التي رسمتها لها فطرتها الواهنة»(الرحبي، ٦١)، وقال في موضع آخر: «ناظرا إلى ظهور ومؤخرات النساء»(الرحبي، ١٠٥).

-**العراف:** (عرَاف القرية ومطببها): يعيش منعزلا في طرف الوادي، لديه حمار، يقضي به مشاويره(الرحبي، ٢٨)، يلجأ إليه الأهالي طلبا للفائدة والتشبث بخيط الأمل البعيد، ولو على يد مخادع، وهذا المطبب يعد دليلا على انتشار الخرافة والجهل، وقد اتضح بأنه كذاب لا يعرف شيئا مما يجري حوله، وقد أدركت أم الفتاة هذا الأمر، قائلة له: «باصر لا يبصر شيئا»(الرحبي، ٥٧)، وعلى الرغم من ذلك جرت وفق قواعد أهل القرية فما زالت تجدّ الخطى نحوه، وتستمع إلى كلماته؛ لأن العادة محكمة واللجوء إلى مطبب القرية طريقة من طرق دفع تأنيب الضمير، وبذل الوسع في البحث عن ابنتها المفقودة.

-**الصبي:** جريء، عمل في رعي الأغنام، انتابته مشاعر العشق والوله والحيرة والاضطراب والصدمة، فقد أحب

الفتاة ورغب في الزواج منها، ثم تبين له أنها أخته، فيصف الكاتب مشاعره قائلا: «فاضطرمت في جوفه كما تضطرم الحمى، حزمة من المشاعر المتقاطعة»(الرحبي، ٨٧).

-القاضي: عبّر عن سوء الحكم، وانتفاء العدالة بفساد القاضي، واستغلال منصبه في الزواج والتطليق، وجمعه بين خمس نساء أحيانا؛ فقد أدخل صبية «صغيرة السن لم تفارق اللعب واللهو»(الرحبي، ١٠١)، «و كان إذا وصل إلى بيته في الليل نوى تطليق إحدى زوجاته في الصباح»(الرحبي، ١٠١)، ووصفه الكاتب بأنه لا يرد لمنصبه ومكانته في المجتمع قائلا: «فإن أمر عقد الزواج يتم في حينه، والشهود دائما بين يديه، كما أنه لا يوجد أب لفتاة يمكنه رفضه»(الرحبي، ١٠١)، وتجويزه شرب الخمر بسبب عدم قدرته على النوم ليلا، قائلا: «وذلك بأن يرسل له شيء من خمر التمر المحلى في قطرات خفيفة تحت طائلة الضرورة؛ حتى ينام باكرا، ثم يفيق، ويكون الأول من الناس في الصلاة، والحكم بينهم»(الرحبي، ١٠٣)، ومنها تعاونه مع الجن؛ فقد بدا واضحا من خلال إشارات ذكرها الكاتب كقوله:» حين ستموت أصغر زوجاته بعد أن يخطفها موت مفاجئ»(الرحبي، ١٠٤)، وكذلك فعله بعض الطرائق التي لا يفعلها إلا الجان أو المتأثرون ، يقول الكاتب:»أشعل بداية جذوات ركينة البخور، وأطلق روائح الزئبق في زوايا قاعة الحكم»(الرحبي، ١١٠)، وما كان من القاضي في أمر الزواج قد يتناقض مع واقع الناس؛ إذ إن القاضي سلطة قضائية ليست منفذة عادة، فلو أشار إلى الوالي في قضية السلطة؛ لكان أولى من القاضي، وأكثر واقعية إلا أنه أراد أن يركز على المنحى الديني في القضية، ويجمع بين عدة اعتبارات في أمر القاضي وهي: السلطة التي يتمتع بها، ويستند إليها عن طريق شخصيات رفيعة في المجتمع، أو من خلال مظهره الديني، ولا سيما أن القصة حدثت في زمن الأئمة، وكذلك استغل جهل الناس، وانعدام معرفتهم في أحكام الدين؛ فكان يتزوج الخامسة- وهو لا يجوز شرعا- على نية تطليق الرابعة حينما يصل إلى بيته، وكذلك فعله بعض المحرمات وتجويزه لها أخذا من قولهم: «الضرورات تبيح المحظورات»(القرافي، د:ت، ج٤، ١٤٦)، فعد السهاد في النوم ضرورة تجيز له شرب الخمر، وما درى أن «الضرورة تقدر بقدرها»(محمد الزرقا، ١٩٨٩م، ج، ١٦٣)؛ فلا يمكن أن يقول إنسان إنه مضطر، وضرورته ليست ضرورة تبيح له ارتكاب ذلك الجرم، فيلحظ من ذلك أن كل هذه الأمور التي ذكرت تدل على شيوع الجهل في المجتمع وعمومه؛ لذلك من ملك شيئا من المعرفة استطاع أن ينجو، أو أن يستغل سذاجة الآخرين، وقد بدا هذا الأمر في مشهد القاضي الذي وصلته القضية فاستطاع بقراءاته السابقة عن الفتاة المسحورة أن يحكم فيها، وإن تملكه العجب والدهشة في أول الأمر.

-الرجل الغريب: أسمر «تعلو محياه سمرة اللهاث والتعب»(الرحبي، ٢٩)، حكيم، عارف فاهم للحياة، وواثق من نفسه وجريء، استطاع أن يلحظ أثر السحر على الفتاة، ويلزم أهل الجنازة بالنظر إلى الجثة. «وقف أمام الجنازة مباشرة مانعا إياها من السير»(الرحبي، ٢٩)، جاء لمهمة واحدة، ثم ذهب ولم يعد.

-التيس: كان هائجا نشطا يختلف عن بقية القطيع، أوصل الراعية إلى مكمن الفتاة، وخلصها من ظلمة القبر والوحدة والفزع(الرحبي، ٧٤). يشبه الرجل الغريب في ظهوره المفاجئ واختفائه، فكأنه أراد أن يؤدي مهمة إنقاذ الفتاة، ويرحل عن دنيانا.

-السحرة: أشكالهم موحشة، ومفزعة، تلاءمت مع صفاتهم القذرة، فقد وصفهم الكاتب:» وقد نذروا حياتهم بأن يأكلوا أي لحمة تلمسها أياديهم الخشنة المسننة كالحوافر المنقوعة طويلا في ماء الحديد، لا يعرفون من غرائزهم الجائعة سوى شهوة الطعام، وذاب ما سوى ذلك من غرائز، وغابت بالتالي غريزة الجنس «(الرحبي، ٢٤). يسكنون في الجبال(الرحبي، ٢٥)، تجري في عروقهم غريزة الانتقام، وتسيطر عليهم؛ فلا يعرفون إلا أكل لحوم البشر، وليس لهم لذة إلا لحوم الإنسان، وإذا لم يجدوا بحثوا عن لحوم الحيوانات البرية، وقد أشار إلى أنهم يملكون بعض الصفات والقدرات إلا أنها ليست خارقة، وقد يتعرضون للأذى كالذي حصل مع الراعي؛ فقد قضي عليه مع الهامشة التي تهشمت فكانت سببا لإعاقة صاحبها الراعي.

-أقارب الأم: هبوا لمساعدة الأم، ومعاونتها في محنتها؛ فقد بقيت هذه الخصلة في المجتمع فيقول في ذلك: «خرج ثلة من أقارب الأم بحثا عن الفتاة، أطلقوا حواسهم، وأشعلوها كما تشعل القناديل»(الرحبي، ٥٥).

-أم الساحر: وصفها الكاتب بالجهل والسذاجة؛ إذ تأثرت بأقوال مجتمعها، فلفظت ابنها وفلذة كبدها، قائلا في ذلك: «كان ألم أمه لا يقاس، وهي تنفر من رضيعها؛ فقد أشعل الناس الخوف في رأسها وقلبها»(الرحبي، ١٥).

-القابلة: وصفها الكاتب بالعنف والجهل معا؛ فقد حاولت إخراج الرضيع بهدوء، فلما صعب عليها الأمر لم تجد إلا ضلفة(أي: مصراعة) الباب لإخراجه، قائلا في ذلك: «استعانت بضلفة الباب وهي تسحبه»(الرحبي، ١٥).

ثانيا: الشخصيات في رواية درب المسحورة وفق نظرية (فيليب هامون).

١-فئة الشخصيات المرجعية(الاجتماعية-المناطقية-الدينية-التأريخية-الأسطورية-المجازية):

تعرف بأنها: «شخصيات تاريخية أو أسطورية أو مجازية (الحب والكراهية)، أو اجتماعية تحيل على معنى ممتلئ وثابت، حددته ثقافة ما، كما تحيل على أدوار واستعمالات ثابتة»(فليب، ٣٥، ٣٦)، فيمكن أن يقال بأن هذه الشخصيات ذات وجود حقيقي في مسيرة التاريخ(جبالي، ٢٠١٨، ٣٠)، وهي وظيفة يحيل بها الدليل اللساني على موضوع العالم غير اللساني؛ سواء كان خياليا أو واقعيا أي تكون الإحالة إلى مرجعية ثقافية متعارف عليها في بلد- أو مكان أو زمن

ما(بوداب، ٧٣)؛ لذا ينبغي للقارئ أو الناظر في الرواية أن يكون لديه اطلاع ومعرفة بالشخصيات التاريخية حتى يستطيع تحديد ما يقرأه في الرواية، ويعرف ما يتطلب مقارنته؛ إذ إن «مرجعيات هذه الشخصيات مختلفة، تحدد من خلال ثقافة قبلية مكتسبة»(حياة فرادي، ٢٠١٦، ٢٦)، ويمكن أن نتلمس هذه الشخصيات في رواية درب المسحورة فيما يأتي:

- شخصيات ذات مرجعيات اجتماعية:

هذه الشخصيات يمكن تلمسها ورؤيتها داخل النص الأدبي، من خلال صفاتها وسماتها وحركتها في النص؛ لذا يمكن تقسيمات على عدة تصنيفات:

١-فئة المهمشين: الذين رفضهم المجتمع، بسبب إشاعة عارضة صدقوها وعملوا بها، فجاءت هذه الرواية من أجل لفت الانتباه إلى ضرر هذه التهميش على المجتمع، وسبب لنشوء الخلافات والقتل والاعتداءات. (كالساحر).

٢-فئة المغفلين والحمقى: يمكن أن يتلمس في الساحر أيضا الذي لفظه المجتمع، فلم يحاول أن يظهر نوايا صادقة، ويقاوم ذاك التهميش، وإنما استجار بالوحوش والسحرة؛ ليصب جام غضبه على أولئك المهمشين له، ولكنه لم يستمر في نواياه العفنة، بل لقي حتف أنفه بين يدي أولئك الذين حاول قدر طاقته أن ينضم إليهم، وقد تعاطف الكاتب معه في البداية؛ لكونه ضحية لإشاعات معرضة وكاذبة إلا أن تماديه في الباطل والانتقام جعل ينظر إليه نظرةَ معتدٍ، ويمكن كذلك أن نرى الحمق من خلال الأم التي ضحّت بولدها ولفظته كما لفظه أهل القرية بسبب معتقدات غير صحيحة.

٣-فئة المقهورين: وهذا يتمثل في الأم التي ظلت تركض وراء ابنتها التي غيبها الساحر، ثم تأخرها عنها، وفقدانها إياها، ثم ما حدث لوليدها الذي ظن أنه وجد أميرته وإذا هو يجد أخته، ثم ذهابها إلى القاضي وتردد البنت في معرفة أمها الحقيقية فظل القلق والقهر والأسى يسيطر على الأم طوال مراحل الرواية.

- شخصيات ذات مرجعيات مناطقية:

تمثل ذلك في الفتاة وأم الفتاة والراعية، فالأولى: تنتمي إلى عالم الحضر، والثانية: تعيش في البادية، ويفهم من كلام الثانية أنها بدوية سريعة الكلام والحركة، شديدة المراس دربتها الصحراء، وعودتها على مواجهة الصعاب؛ لذلك لم تستطع الفتاة معرفة ما ترطن به الراعية في بداية لقائها به، وانتشالها من قبو القبر، وكذلك المرأة الحضرية لم تقدر أن تنتزع من الراعية البدوية ابنتها إبان معرفتها بالحقيقة، وربما أخطأ الكاتب في بعض التقديرات لشخصيتي أم الفتاة والراعية؛ إذ يفترض للحضرية أن يكون معها حمار للتنقل، أما البدوية فقد ذكر أن معه جملا فهذا واقع، والأول ليس واقعا؛ فالحضر عادة يستعملون في التنقل الحمير.

- شخصيات ذات مرجعيات دينية:

حاول الكاتب أن يركز على بعض الشخصيات الدينية التي قد يكون لها نفوذ سياسي واتفاق مع السلطة في قضايا كثيرة، وقد استغلوا هذا المنصب في تدوير قضايا عدة، وأخلاقيات لا تتناسب مع مقامهم الشريف كالشبق الجنسي المتمثل في الزواج والتطليق، وتجويز شرب الخمر، والتعامل مع السحرة والمشعوذين لإبقاء صورتهم ناصعة البياض وهم من وراء اختبائهم بعباءة الدين يفعلون الأفاعيل، ويستغلون المجتمع بأسره.

-شخصية الرجل الغريب بدا وكأنه مؤمن آل فرعون؛ فقد جاء لمهمة واحدة وهي إنقاذ الفتاة، ثم إكمال طريقه في الحياة دون أن يثير ضجيجا، أو أن يتمدح بما قدمه لأم الفتاة وأهلها.

-مرجعيات تأريخية:

بدا ذلك من خلال شخصية الساحر الذي رفض ما جرى في المجتمع؛ فأراد أن ينتقم من العالم كله إنسه وجنه، صغيره وكبيره شأنه شأن إبليس لما رفض السجود لأبينا آدم، فطُرد من رحمة الله؛ فأراد أن ينتقم من العالم؛ ليصيروا مثله في الفساد والإفساد، والكاتب أخذ الفكرة من هناك، وطبقها على الساحر الذي لم يجعل من رفض المجتمع له بابا لصقل ذاته، وإثبات نفسه، بل هجر الجميع، وحاول أن يتغلب عليهم، فوقع في المحظور.

- شخصيات ذات مرجعيات أسطورية:

يتمثل هذا في الراعي صاحب الهامشة وقد درج أهل عمان على جعل هامشة لكل ساحر، تسير معه، وتشبهه في بعض صفاته العجائبية، والهامشة تعرف في المجتمع العماني بأنها حية أو حيوان شرس مفترس (ضبع عادة) يركبه جني، أو يقوده ساحر، وهو مختلف عن الحيوانات الأخرى، وله قدرات خارقة لا توجد في غيره؛ دلالة على أنه ليس من عالم الإنس الذي نعيشه، فقد ذكروا بأن بوله محرق، وبرازه كالجمر وغيرها من الأوصاف. كذلك تمثل البعد الأسطوري في التيس الذي استطاع أن يجد الفتاة، ونظرته المريبة حول تلك الفتاة وكأنه يفهم ما يدور في أذهان البشر، أو يعرف ما قد يكون من أمرهم.

شخصيات مجازية:

وهي شخصيات يمكن تلمسها من خلال علاقة الشخصية الرئيسة بالشخصيات الثانوية، أو علاقة الشخصيات مع بعضها بعضا فنرى بوضوح هذا الشخصيات المجازية التي أطلق عليها بعضهم: الشخصيات المعنوية ويمكن حصر هذه الشخصيات المجازية في الصور الآتية:

-الألم: شعر به الساحر بسبب حجم التهميش الذي لحقه من المجتمع (كما أسلفنا سابقا) فأحس به وأغاظه، ولم يملك حينها إلا أن يتعامل مع السحرة في إظهار نفسه، والانتقام ممن أساؤوا إليه. وتمثل كذلك في أم الفتاة التي أحست بضيق شديد من اختفاء ابنتها، ومحاولة الساحر القضاء عليها، ثم بحثها عنها في كل مكان حتى وصولها إلى القاضي. وتمثل كذلك في الصبي الذي اكتوى بنار الحب فلما اكتشف أنها أخته انتابه ألم شديد وحزن عميق.

-العنف: تمثل في عنف الساحر، ومحاولته الانتقام ممن أساؤوا إليه بكل الطرق بدءا من سحر الفتاة وعدم رحمته

بها، ومحاولته أخذها إلى السحرة؛ لأكلها والتخلص منها، وكذلك العنف الذي قاده السحرة؛ إذ كانوا ينتظرون دائما لحوم الإنس لأكلها وجعل بطونهم مأوى لها، وإذا لم يجدوا ذلك في الإنسان حولوا وجهتهم إلى الحيوان، كذلك لم يكتفوا بذلك فقد قتلوا رفيقهم الساحر الذي رغب أن يكون معهم؛ فإذ بهم يقتلونه؛ لأنه لم يحقق لهم ما كانوا يطمحون أن يصلوا إليه عن طريقه.

-**الاستغلال:** تحقق ذلك من خلال موقف القاضي من المجتمع سواء في استغلاله لهم في أمر الزواج والتطليق أو في شربه الخمر تسويغا لنفسه، أو تعامله مع الجان، وكان يتخفّى في كل أفعاله تحت عباءة التدين، وظهر أيضا في الراعية التي حاولت أن تنسب الفتاة إليها وهي تعلم يقينا أنها ليست ابنتها ولكن تربيتها لها، وعدم وجود أولاد لها حملها أن تستغل فرصة حصولها على الفتاة، وحرصت كذلك على خدمتها، واستغلال قدرتها على العمل.

-**الحب:** ظهر في علاقة الأم مع ابنتها، وطريقة بحثها عنها، وفرحها عند وجودها، واتضح أيضا في علاقة الصبي مع أخته ورغبته بها، وبدا كذلك في موقف الراعي مع الراعية والعلاقة الزوجية التي نشأت بينهما بعد ذلك، وتمثل أيضا في حنين أم الفتاة لزوجها السابق ووفائه وحبها له.

-**المروءة:** تمثلت في الرجل الغريب الذي حاول أن يخاطر بنفسه من أجل إنقاذ الفتاة، وظهر أيضا في التيس الذي عارض تعاليم الراعية، وراح يهش حتى وجد الفتاة.

-**القلق:** ظل يراود أم الفتاة طوال رحلتها بدءا من اختفاء ابنتها إلى مثولها بين يدي القاضي، وبدا القلق أيضا عند الفتاة أثناء قيام الساحر بسحرها، وفي قبو القبر وأثناء وقوفها بين يدي القاضي، وتخييرها بين الأم الحقيقية والأم المربية (الراعية).

-**الأمل:** ظل الأمل يسير جنب القلق عند أم الفتاة بحثا عنها؛ فمرة يبدو خيط الأمل أثناء وقوف الرجل الغريب في وجه الجنازة، وإخبارهم أنها ليست ميتة، أو أثناء ذهابها إلى بيت الراعية ورؤية ابنتها.

ثانيا: الشخصيات الإشارية (الواصلة):

الشخصية الإشارية هي: «دليل على حضور المؤلف أو القارئ، أو من ينوب عنهما في النص، شخصيات ناطقة باسمه»(فيليب، ٣٥، ٣٦)، ولا ريب أن في الإشارة المباشرة علاقة ذاتية بين الضمير (أنا) الذي يحيل على المتكلم (الراوي) أو السارد، والضمير (أنت) الذي يحيل على المتلقي (القارئ)(بوداب،٩١). وأما في الإشارات غير المباشرة «قد استعان الكاتب ببعض الأمثال والحكم»(بوداب، ٢٠١٦م، ٩٢) وقد وردت مثل هذه الحكم في قول السارد مخاطبا القارئ، قائلا: «من ينج من أكل السحرة يعش رغم ذلك مغيب الحواس»(الرحبي، ٥٩).

ويبدو أن الكاتب قد استحوذ على الرواية بسرده وحده، وتوجيه انطباعاته في الرواية على حسب رغبته؛ فقد بدأها بضمير الغائب قائلا: «ذات يوم بعيد...بعيد كسحابة تائهة برقت في حلم طفل كنبتة ضعيفة...كان شيطانا بدون قرنين...» (الرحبي، ٧)، وقوله: «عرف في شبابه بصاحب الحصان الذي كان يسمى الهامشة..» (الرحبي، ٦٨) وكذلك في قوله: «وذات يوم جلبت معها تيسا غير مخصي لتخصب...» (الرحبي، ٧٤)، وهكذا استمر في العملية السردية لم يشرك غيره في الحوار إلا نادرا، كقوله: «ما الذي يوجد تحت ثوبك يا صغيرتي؟ جهنم الحمراء قالت الفتاة...» (الرحبي، ١٢). وأحيانا يجعل الحوار أو الكلام على لسان الشخصيات كالحوار الشخصي الذي دار في نفس المهمش(الساحر)، قائلا: «لن ألتفت حتى، وإن قذفني أحدهم في ظهري بحجر في حجم رأسي...سأخوض الإغماءات الأربع... ثم الإغماءة الرابعة سأستيقظ إما إلى الموت، وإما إلى حضرة الرفاق»(الرحبي، ١٧)، وحتى هذا الحديث النفسي، وبعض الاستنتاجات كان الكاتب يتدخل لتفسير ذلك كقوله: «كان لا بد له؛ لكي يتحول إلى ساحر أن يعيش أربع إغماءات متتالية في الصحراء...» (الرحبي، ١٧)، وكذلك جعل أم الفتاة تسرد قصتها ومقدار معاناتها قائلة: «هؤلاء كلهم اجتمعوا هذه الليلة من كل مكان جاؤوا قافزين بعد أن سمعوا الخبر...» (الرحبي، ٤٩).

٣-الشخصيات المتكررة:

سماها فيليب: «الشخصية الاستذكارية»، ما يحدد هوية هذه الفئة من الشخصيات هو مرجعية النسق الخاص بالعمل وحده، فهذه الشخصيات تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكة من التداعيات والتذكير بأجزاء ملفوظة ذات أحجام متفاوتة (جزء من الجملة، كلمة فقرة)، وتكون وظيفتها من طبيعة تنظيمية وترابطية بالأساس»(فيليب، ٣٦)، « فالسارد يوقف عجلة السرد المتنامي إلى الأمام؛ ليعود إلى الوراء في حركة ارتدادية لسير الأحداث لاستذكار ماض بعيد أو قريب»(زهيرة، ٢٠٨، ١٧).

نلحظ أن شخصية الفتاة قامت باسترجاع ما حصل لها أثناء تغييب الساحر لها، ووضعها في قبو القبر، وكيف انتشلتها الراعية، وما الذي حصل لها، فمن ذلك قولها: «في المرة الأولى حين حملوني على سرير خشبي وساروا بي كنت...» (الرحبي، ٦٣). وكذا في قولها: «أمام هذه الخيمة جالسة أنتظر وابتسامة ثابتة لا تني تغزو شفتي...» (الرحبي، ٩٥).

وكذلك شخصية الأم حين تذكرت وليدتها قبل تلك الليلة المشؤومة، وهي تبحث في أشيائها لعل خيطا ما يوصلها إليها، أو تشتم رائحتها على أمل أن تجدها قريبا في مكان ما، وشخصية القاضي وقد قرأ عن قصة المسحورة؛ فيتذكر تفاصيلها والنظم الذي قيل فيها؛ لعله يوفق في الحكم.

فهذه الاسترجاعات جعلت النص واضحا يفصح عن نفسه؛ إذ عرفنا عن طريقه ما دار في خلد الفتاة، وهي تحمل على النعش إلى مثواها الأخير، وكذلك الأم التي بدت علاقتها مع ابنتها مشحونة بالعاطفة والحب وألم الفقد، وكذلك القاضي الذي حاول قدر الإمكان أن يسترجع معلوماته؛ ليحكم حكما صحيحا في القضية.

-شخصيات استشرافية:

وهي شخصية الرجل الغريب الذي جاء لينقذ الفتاة من محنتها؛ فقد أدرك من خلال رؤيته الساحرَ في المقبرة، وما دار هناك من حديث عابر عن اقتراب مغنم؛ فسارع للبحث عن أي جنازة قادمة فخاله أنها جنازة الفتاة، فقاوم حامليها حتى يسمحوا له بالنظر إليها، وقد استجابوا لطلبه بعد ما أرغموا على ذلك؛ إذ شاركت أمُّ الفتاة الغريبَ في فتح الجنازة، فاستطاع بنظره الثاقب أن يخبرهم أنها غير ميتة، وأنها مغيبة الحواس، وأن دهنها بالزئبق يمنع من مسها من قبل السحرة.

النتائج والخاتمة

-كشفت الأبعاد الجسدية والنفسية والاجتماعية والفكرية للشخصية عن سماتها، وصفاتها التي تحدد وظيفتها، وطريقة تفكيرها، ومدى تلاؤمها مع سير الأحداث في الرواية.

-اعتمد الكاتب على شخصيات اجتماعية ودينية ومجازية وتاريخية ومناطقية؛ لتقريب الرواية إلى الواقع، وإعطاء صورة واضحة عن الشخصيات.

-استحوذ الكاتب على النصيب الأوفر من المعلومات التي قدمها عن الشخصيات والأحداث؛ وكأنه مطلع على كل صغير وكبيرة في الرواية، ولم يستنطق الشخصيات الأخرى إلا في حالات نادرة.

-وظف الكاتب الاسترجاع في الرواية؛ إذ يقوم الشخص باستدعاء معلومات سابقة، أو استشراف أحداث قادمة، وهذا الأمر يعطي الرواية بعدا إضافيا في ربط الأحداث بعضها مع بعض.

-أفادت الدراسة أن الجهل سبب كل رذيلة، وأصل كل كبيرة، وأن المجتمع الجاهل قد ينسج خيوطا لجهله يتبعها، ويقتفي أثرها عند كل ملمة أو مصيبة.

-اتضح من خلال البحث في الشخصية أن التهميش شر محض، وظلم كبير لا يستطيع المرء تحمله أو الاستمرار في أحضانه؛ مما يجعل المهمش يبحث عن مخرج أو موطئ قدم خارج المنظومة التي ناله الظلم منها.

-أكدت الدراسة وجوب الحذر ممن يستغل الناس من خلال عباءة التدين الكاذب، أو عن طريق ادعاء معرفة الغيب، أو الطب.

-قد يبعث الشعور بالنقص والحرمان من الولد أو من بعض مباهج الحياة إلى الكذب والادعاء والسرقة والأيمان الكاذبة.

التوصيات

-يجب التعمق في دراسة شخصيات الرواية، ومحاولة فهم ما وراء السطور؛ لأن كاتبها لا بد أن يكون في مخيلته أمور يتقصد وضعها في أحداث الرواية وصيرورتها من خلال هذه الشخصيات.

-دراسة الشخصيات في الروايات العمانية مجملة، ومحاولة إيجاد رابط يربطها.

-دراسة الروايات العجائبية، ومحاولة البحث أسباب شيوعها، ورغبة القراء في قراءاتها.

قائمة المصادر والمراجع

-أسماء، ضيف الله، (٢٠١٨)، «بنية الشخصية في رواية نساء في الجحيم لعائشة بنور»، مذكرة لنيل الماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجمهورية الجزائرية.
-الرحبي، محمود، (٢٠١٠)، درب المسحورة، دار الانتشار العربي، بيروت.
-الزرقا، أحمد، (١٩٨٩)، شرح القواعد الفقهية، ط٢، دار القلم – دمشق، سوريا.
-السالمي، عبدالله، (١٣٣٣هـ)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، مسقط.
-الفراهيدي، الخليل، (١٩٨٨)، العين، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.
-القرافي، أحمد، (د.ت)، أنوار البروق في أنواء الفروق،، (د.ط)، عالم الكتب.
-بميني، زهيرة. (٢٠٠٨)، «بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان مقاربة بنيوية» رسالة دكتوراة، جامعة العقيد الحاج خضر، باتنة، الجمهورية الجزائرية.
-زغاد، آمال، (٢٠١٩)، «بنية الشخصية في روية ضباب آخر النهار لمصطفى ولد يوسف»، شهادة ليسانس، كلية الأدب واللغات، جامعة آكلي محند أو لحاج، البويرة، الجمهورية الجزائرية.
-سعيدة، بوداب، (٢٠١٦)، «سيميائية الشخصية في رواية إصرار لبوشعيب الساوري:» شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي مهيدي أم البواقي.
-سمية، بوكباس، (٢٠١٨)، «بنية الشخصية في رواية «سيد الخراب» لكمال قرور»، شهادة الليسانس، كلية العلوم والآداب، جامعة العقيد آكلي محمد أو لحاج، الجمهورية الجزائرية.
-سناء، طلبة، (٢٠٢٠)، «بنية الشخصية في رواية البيت الدافئ لخولة القزويني»، شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، الجمهورية الجزائرية.
-فتاح، (٢٠١٢)، تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)، مجلة الآداب، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، العدد: ١٠٢.
-فرادي، حياة، (٢٠١٦)، «الشخصية في رواية ميمونة لمحمد بابا عمي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجمهورية الجزائرية.
-فلاديمير، بروب، (١٩٩٦)، مور فو لوجيا القصة، ط١، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.
-لحميداني، (١٩٩١)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط١، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع.
-هامون، فيليب، (د.ت)، سميولوجية الشخصيات الروائية، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع.

كتاب الجمل التي لا محل لها من الإعراب لسامي الكندي (دراسة نقدية)

أ. إبراهيم آل ثاني/وزارة الداخلية
Ibrahim Aal Thani/Ministry of Foreign Affairs

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2024 – 02 – 21

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 – 05 – 27

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 – 05 – 30

الملخص

ناقش هذا البحث كتاب الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وقد ذهب مؤلفه إلى أن تلك الجمل لها محل من الإعراب ما عدا الابتدائية خلافا للرأي المستقر عند النحاة، وسعى البحث إلى دراسة منهجية الوصول إلى هذا الرأي عند مؤلف الكتاب، ومناقشة مسألة المحل الإعرابي لتلك الجمل، مستعملا المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى أن بالكتاب -مع ما فيه من فوائد- جملة من الإشكالات المنهجية والعلمية، منها الخطأ في استعمال بعض المصطلحات، والخطأ في نسبة أقوال إلى جماعة من النحاة لا تصح نسبتها إليهم، وإيراد نصوص لا تدل على الموضوع لخطأ في الفهم أو لسبب آخر، وضعف واضطراب في مناقشة المسألة لا يقوى على معارضة القول المستقر عند النحاة بأن الجمل السبع: (الابتدائية، والاستئنافية، والاعتراضية، والتفسيرية، وجملة جواب القسم، وجملة جواب الشرط، وصلة الموصول) لا محل لها من الإعراب.

الكلمات المفتاحية: الجملة، إعراب الجمل، المحل الإعرابي، نحو، سامي الكندي.

The booK of sentences that have no grammatical role assigned

Abstract

This research discussed the book of "Sentences That Have No Grammatical Role Assigned", whose author argued that these sentences in fact have a grammatical role assigned, contrary to the established opinion among most grammarians. The research sought to study the methodology of reaching this opinion by the author of the book, and to discuss the issue of the grammatical role for these sentences following descriptive-analytical approach. The study concluded that the book, despite its various benefits, has a number of methodological and scientific flaws; including attributing statements to a group of grammarians that are not validly theirs, citing irrelevant texts due to a misinterpretation or other reasons, and lacking clarity and strength in debating the topic that cannot challenge the established opinion among grammarians that the seven sentences: (initial, interim, appositive, explanatory, oath consequence sentence, apodosis, and relative clause) are sentences with no grammatical role assigned .

Keywords: sentence, inflection, grammatical role, Arabic grammar, Sami Al Kindi

مقدمة

هذا البحث يناقش كتاب الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وقضية الكتاب الأساسية إعادة النظر في المحل الإعرابي للجمل التي لا محل لها من الإعراب عند النحاة، وقد ذهب مؤلفه إلى أن تلك الجمل لها محل من الإعراب ما عدا الجملة الابتدائية خلافا للرأي المستقر عند النحاة، وهذا البحث يسعى إلى دراسة منهجية الوصول إلى هذا الرأي عند مؤلف الكتاب، ومناقشة مسألة المحل الإعرابي لتلك الجمل، متبعا منهج الوصف التحليلي، واضعا هذه الأسئلة البحثية التي أثارها الاطلاع الأولي على الكتاب: هل اتبع مؤلف الكتاب منهجا علميا سليما في كتابه؟ وما الإشكالات العلمية والمنهجية التي وقع فيها المؤلف؟ وما مدى صحة نسبة الأقوال المذكورة في الكتاب؟ وهل يمكن مناقشة الاستدلالات التي ذكرها في كتابه؟

ومن الدراسات السابقة التي ناقشت موضوع إعراب الجملة كتاب (إعراب النص) لحسني عبد الجليل، وعليه اعتمد صاحب الكتاب في كثير من الآراء، وكتب ودراسات تذكر ما عليه النحاة من انقسام الجمل إلى قسمين من حيث المحل الإعرابي، وهي أكثر من أن تحصر، ومن الدراسات ما ذهب إلى إهمال إعراب الجمل أو ترك هذا التقسيم أصلا، كما في كتاب شوقي ضيف (تيسير النحو التعليمي)، وكتاب (نظرات معاصرة في النحو العربي) لكريم حسين الخالدي، وبعض كتب إبراهيم السامرائي، وكتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) لمهدي المخزومي.

التعريف بالكتاب (مدونة البحث)

بيانات الكتاب: عنوان الكتاب (الجمل التي لا محل لها من الإعراب نقد وتوجيه)، لكاتبه: سامي بن علي الكندي، عدد صفحاته ٣٢٠ صفحة، نشرته الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، مسقط-سلطنة عمان، الطبعة الأولى: ٢٠٢١م.

مضمون الكتاب: دراسة نحوية نقدية لمذهب النحاة من الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وهو مكون من فصول ثلاثة؛ الأول بعنوان (الجمل وإعرابها) عرض فيه موضوع الجملة عند النحويين القدماء والمحدثين، عرض فيها كلامهم عن حد الجملة وتعريفها وأقسامها وخلافهم في إعرابها.

والفصل الثاني بعنوان (آراء النحاة في الجمل التي لا محل لها من الإعراب) تتبع فيه آراء النحاة في الجمل التي لا محل لها من الإعراب بدءا بالمصطلح وتطوره ثم ذكر آراء النحاة فيها وانتهاء بالأغراض اللغوية لكل جملة.

والفصل الثالث بعنوان (نظرة تقويمية إلى الجمل التي لا محل لها من الإعراب)، ناقش فيه أقوال النحاة وشواهدهم وأتبعها بـ»آراء تقويمية لهذه الجمل اعتمادا على مراجع النحو الأصلية من غير عجلة للوصول إلى النتائج، ومن غير تعسف في الأحكام، لأن الهدف من هذا ليس الوصول إلى نتائج مفروضة على البحث بل نتائج تابعة له من خلال فهم عميق للبناء النحوي» (سامي الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠)، بحسب تعبيره.

وذكر أنَّ «ما يميز هذه الدراسة عن هذه الكتب -لكتب حديثة ذكرها- هو أنها تقوم على مناقشة نوع من أنواع الجمل وهي التي لا محل لها من الإعراب، يرى الباحث أن موضوعها لم يطرق من قبل من حيث تتبع آراء النحويين في هذه الجمل قديما وحديثا والوقوف على خصوصية تراكيبها، وتحديد كيفية تأليفها والخصائص التي تميزها، ونقد وتقويم آراء القدماء والمحدثين في هذه الجمل من خلال الإجابة عن السؤال المهم هل من الممكن نقل هذه الجمل إلى جمل لها محل من الإعراب؟».(سامي الكندي، ٢٠٢١م، ص١٢).

المبحث الأول: نقد المصطلحات

تعرض الباحث في مباحث كتابه إلى تتبع المصطلحات ودراستها تتبعا تاريخيا مفيدا في أول كل مبحث من مباحث كتابه في الفصلين الأوَّلين، إلا أنه لم يخل من إشكالات في عرض بعض المصطلحات، وبعضها مؤثر في جوهر البحث، وذلك في المواضع الآتية:

١.(العمدة، المسند والمسند إليه)

قال المؤلف: «والذي يراه الباحث ويعتمده ما استخدمه علماء العربية من إطلاق مصطلح المسند والمسند إليه بدلا من إطلاق مصطلح العمدة، -ثم يقول- وأهل اللغة مجمعون على ضرورة وجود هذين العنصرين وأن أحدهما لا يقوم إلا بالآخر، وعليه فالمسند لا يقوم إلا بالمسند إليه، والعكس صحيح، فلا معنى لتسمية أحدهما عمدة والآخر تابع (كذا، والصواب تابعا) له» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٣٦)، فلا أدري ما معنى تسمية أحدهما عمدة والآخر تابعا له؟ أيقصد تسمية غير العمدة تابعا؟ أم يقصد تسمية أحد ركني الإسناد تابعا؟ وهذا ظاهر كلامه، فمن الذي قال بهذا؟ ثم إن ظاهر كلامه يفترض وجود تعارض بين المصطلحين، ولا تعارض بينهما ولا إشكال هنا -فقد قدم بنصٍّ يذكر فيه أن دراسة المصطلحات تمثل إشكالا وهي من أهم الصعاب-، إذ إنّ العمدة تصلح للمسند والمسند إليه، فمصطلح العمدة يطلق على الشيأين، فالعمدة قسمان هما المسند والمسند إليه، وليست رديفا لهما حال التعريف، ولا معنى لافتراض تعارض بين هذه المصطلحات حتى يرجّح بينها.

٢.(الجملة الاستئنافية، الجملة التفسيرية)

مما يلحظ على مؤلف الكتاب عدم تفريقه بين مدلول المصطلح النحوي والمدلول اللغوي لبعض الكلمات، كما وقع له عند كلامه عن الجملة الاستئنافية، فذكر أن «الجمل المستأنفة إما أن تأتي تفسيرا لما قبلها أو بيانا أو توكيدا أو حالا أو وصفا أو تعليلا، فكيف لا يقال بعد ذلك أنه لا محل لها من الإعراب» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٠٧) والحقيقة أن الجملة المستأنفة لها مدلولها النحوي الخاص وإن احتملت الوصف بأحد تلك الأحوال من جهة اللغة، فلا يصح الخلط بين المصطلح النحوي والمعنى اللغوي، فقولنا مثلا: (زيد مجتهد، أبوه علمه الاجتهاد)، فالجملة الثانية مستأنفة من حيث الإعراب لكنها من حيث المعنى وصف لزيد، وفيها تفسير لسر اجتهاده، وفيها توكيد لمعنى الاجتهاد الذي فيه،

فهل يصح أن نقول إن هذه الجملة نعت أو تفسيرية أو تأكيد أو نحو ذلك؟!

ووقع منه ذلك أيضا عند كلامه عن الجملة التفسيرية، فخلط بين المصطلح النحوي وبين المعنى اللغوي الذي تؤديه الجملة، فالمصطلح النحوي محدد ومضبوط، وهو لا شك أخص من الدلالة اللغوية، إذ عادة الاصطلاح تخصيص الدلالات اللغوية، وقد نقل تعريف النحاة لهذه الجملة وبيانهم لقيودها، ومما قاله: «تبين لنا أن جمهور النحاة العرب قد ضيقوا دلالة مصطلح الجملة التفسيرية حين قصروه على قسم خاص من الجمل التي لا محل لها من الإعراب .. في حين أن الواقع اللغوي يشير إلى أن الجملة التفسيرية هي المرادف المعنوي لما تفسره ... ولا علاقة لها بالموقعية الإعرابية التي تخضع لاعتبارات شكلية» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٤٤)، وبهذا المنهج الذي يجعل كل ما تصدق عليه الدلالة اللغوية من المصطلحات خطأ يجب توسيعه؛ تضيع المصطلحات، فيضيع العلم، ولو نظرنا إلى ما يؤدي وظيفة التفسير من الجمل لكان منها كثير من الجمل التي هي خبر أو وصف أو استئناف، وكذلك لو نظرنا مثلا إلى الجمل التي تؤدي وظيفة الوصف كالجملة الحالية والجملة الخبرية فهل نوسع مفهوم جملة النعت، وننتقد هذا المصطلح؟! إذن لضاع العلم والتبست الأمور! وقس هذا على كل العلوم، فهل ننتقد مصطلح الزكاة لأنها تعني الطهارة والنماء في اللغة، ونقول ضيقه الفقهاء لصورة معينة أرادوا الحكم عليها بالوجوب؟!

ومما قاله أيضا: «وفريق آخر نظر إلى الموقع الإعرابي للجملة التفسيرية؛ فاشترط كون الجملة المفسرة لا محل لها من الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٣٢)، وهذا لا يصح إذ يلزم منه الدور، بل ضبطوا حدّ الجملة المفسرة بالتعريف الجامع المانع، ثم حكموا عليها بأنها لا محل لها من الإعراب، وإلا لساغ هذا القول في كل الجمل أنهم نظروا إلى إعرابها ثم حكموا عليها، فالحكم على الشيء بالإعراب لا يصح إلا بعد معرفة حقيقته.

وبناء على خلطه بين المصطلح النحوي للجملة المفسرة والمعنى اللغوي والدلالة الوظيفية ذكر بعض الجمل التي تؤدي هذا الغرض وإعرابها (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٣٨-١٤١)، وهي الجملة المفسرة لضمير الشأن، وهي في الحقيقة خبر للمبتدأ، وهنا الإشكال، أما الجملة في الاشتغال ومثلها الواقعة بعد الاسم الواقع بعد أداة الشرط فهي جملة تفسيرية عند بعض النحاة كالعكبري والشلوبين خلافا لابن هشام، وكونها تفسيرية بناء على مذهب البصريين في تقدير فعل للمعمول الأول، وهو مذهب مشهور وتوجه إليه نقد كثير لا سيما من المتأخرين. (السامرائي، معاني النحو، ٢٠١١م، ٢/١٠٩-١١٤، الخليلي، صيحة إنذار، ٢٠١٧م، ص١٤٢-١٤٧).

وقد نبه على قريب من هذا التنبيه ابن هشام فقال في المغني: «تنبيه، للبيانيين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النحويين، والزمخشري يستعمل بعضها، كقوله في قوله تعالى: {ونحن له مسلمون} يجوز أن يكون حالا من فاعل نعبد أو من مفعوله لاشتمالها على ضميريهما وأن تكون معطوفة على نعبد وأن تكون اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا مخلصون له التوحيد، ويرد عليه مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كأبي حيان توهما منه أنه لا اعتراض إلا ما يقوله النحوي، وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين». (ابن هشام، مغني اللبيب، ص٥٢١)

٣.(الاعتراض، الحشو)

عند تعرض الباحث للجملة الاعتراضية عرج على مصطلح الاعتراض والحشو عند النحاة والبلاغيين، ومما يلفت النظر التناقض الذي جمعه الباحث في قوله: «وليست الجملة المعترضة من حشو الكلام في شيء» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١١١)، بعد نقله معنى الحشو عن أحد الباحثين وتوضيحه له بأنه «لا يراد منه ظاهر لفظه في كثير من الأحيان، ... بل يراد من الحشو -كما أثبته العلماء في مؤلفاتهم- ما كان دخوله في الكلام وخروجه سواء دون أن يغير أصل المعنى الثابت» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١١١، نقلا عن مصطلح الحشو في الدرس اللغوي، خالد بسندي، ص٤)، فتسمية من سمى الاعتراض حشوا هو بهذا المعنى، لا بمعنى أنه جيء به لإقامة الوزن أو لغير غرض، كما قد يستعمل لهذا المعنى أيضا، فلذلك يكون تعقيب الباحث ليس في محله.

٤.(الأغراض البلاغية، الأغراض اللغوية)

اعترض المؤلف على النحاة بأنهم «نظروا إليه -أي الاعتراض- من زاوية بلاغية فقط، ولم ينظروا إليه نظرة شمولية تقف عند اللفظ ثم عند المعنى الذي يعبر عن حال المعترض»(الكندي، ٢٠٢١م، ١٢٠)، وقال «ولم يتحدثوا كثيرا عن الأغراض اللغوية للجملة الاعتراضية»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٢٢)، ثم ذكر من الأغراض اللغوية التوكيد وتماسك أجزاء النص وتآخذها! وإطالة بناء الجملة الأصلية وسمى الأخير وظيفة تركيبية! وينبغي الوقوف هنا على هذا المصطلح، فهل أحدث اللغويون مصطلحا هو «الأغراض اللغوية» وهو غير «الأغراض البلاغية»؟ مع أن ما ذكره من التوكيد والتماسك النصّي مما يدخل في مباحث البلاغة، وإن كان باصطلاح حديث.

٥.(جواب الجزاء، خبر الجزاء)

ذكر المؤلف أنّ سيبويه اختار مصطلح (خبر الجزاء) لجواب الشرط، ناقلا من قوله هذا النص: «الذى يأتينى فله درهمٌ، والذي يأتيني فمكرم محموم، كان حسناً. ولو قلت: زيدٌ فله درهمٌ لم يجز. وإنَّما جاز ذلك لأنّ قوله: الذى يأتينى فله درهمٌ، في معنى الجزاءِ، فدخلت الفاءُ فى خبره كما تدخل فى خبر الجزاءِ. ومن ذلك قوله عز وجل: الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «. ومن ذلك قولهم: كلُّ رجل يأْتيك فهو صالحٌ، وكلُّ رجل جاءَ فله درهمانِ؛ لأنّ معنى الحديث الجزاءُ» (سيبويه، ١٩٨٨م، ١/١٣٩-١٤٠). ثم قال: «والذي يتضح هنا أن اختيار سيبويه لمصطلح خبر الجزاء أصدق في الدلالة من جواب الشرط، لأنه يجمع بين الوظيفة في الجملة والموقع الأصلي بوصفه خبرا أو

في موضع خبر»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٧٨).
وفي هذا الكلام نظر، فدعوى استعمال سيبويه مصطلح (خبر الجزاء) مكان جواب الشرط غير صحيح، فسيبويه هنا يقصد خبر المبتدأ المتضمن معنى الشرط الذي يسميه الجزاء، وهو واضح من بيانه بالأمثلة لهذا المعنى بعد قوله «كما تدخل في خبر الجزاء»، فمثّل له بأمثلة كلها مبتدأ وخبر مقترن بالفاء لهذا المعنى، وهو في معرض ذكر المواضع التي يحسن اقتران الخبر فيها بالفاء. بل إن سيبويه يعبر عن الشرط بـ(الجزاء) (سيبويه، ١٩٨٨م، انظر مثلا: ٩٩/١، ١٠٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥)، ويعبر عن جوابه بـ(الجواب) (سيبويه، ١٩٨٨م، انظر مثلا: ١٣٤/١، ١٣٦، ٢٦٧، ٦٢/٣) أو بـ(جواب الجزاء) كما في قوله: «واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء» (سيبويه، ١٩٨٨م،٣/ ٦٣، وانظر أيضا: ٢٥٨/١).
وبناء على نسبته هذا المصطلح إلى سيبويه ذكر أنه يرى جماعة من النحاة -منهم سيبويه- عدم التفريق بين جمل جواب الشرط من حيث الإعراب، وسيأتي الكلام عنه (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٧٨).

٦.(المبهم)

ذكر في مناقشته لجملة صلة الموصول أن ابن السراج (٣١٦هـ) استعمل مصطلح المبهم للدلالة على الصلة (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٨٩)، وليس كذلك، بل استعمله ابن السراج للدلالة على الاسم الموصول، إلا أن يكون سبق قلم من الباحث، فقد قال السراج «فلما كان الأمر كذلك جاؤوا باسم مبهم معرفة لا يصح معناه إلا بصلته» (ابن السراج، د ت، ٢٦٢/٢).

المبحث الثاني: نقد نسبة الأقوال

اعتنى الباحث بذكر آراء النحاة فيما يعرضه من مسائل، لكن يؤخذ عليه كثرة الخطأ في نسبته إلى جماعة من النحاة آراء لا يقولون بها، بل قد يكون رأيهم معاكسا لما نسبه إليهم، فمن ذلك بعض ما مر في المبحث السابق، ومن ذلك أيضا:

١.(نسبته إلى كثير من النحاة الاعتراض على تقسيم جملة الشرط إلى ما لها محل وما ليس لها محل، منهم سيبويه ومكّي).

إذ قال: «لذلك اعترض كثير من النحاة تقسيم جملة الشرط إلى ما لها محل وما ليس لها محل، وذهبوا إلى أنه لا فرق بينهما في الإعراب، ولا في المحل»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٧٨)، ثم ذكر منهم سيبويه ومكيا، فأما سيبويه فقد بنى في نسبته إليه هذا القول على اختياره مصطلح جزاء الشرط بدل خبر الجزاء، وقد سبق أن الأمر ليس كذلك، وبنى كلامه أيضا على مثال عند سيبويه، قال المؤلف: «ومما أشار فيه سيبويه إلى مجيء الخبر جملة شرطية قوله: «أعبد الله إن تره اضربه» ونلاحظ هنا أن المثال الذي أورده سيبويه لجملة شرط لم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية مما يشير إلى أنه لا فرق لديه بين جملة الشرط سواء اقترنت أم لم تقترن فكلاهما يقع في موضع الخبر»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٧٩)، والناظر في مثال سيبويه لا يجد شيئا مما يدل على صحة استنتاج المؤلف ولا صحة نسبته ما نسبه إلى سيبويه، فالخبر في المثال أسلوب شرط مكون من جملتين هما فعل الشرط وجوابه، وليس جملة جواب الشرط، ففرقٌ بين المسألتين!
أما نسبته هذا القول إلى مكيّ (ت٤٣٧هـ) فلا تصح أيضا، ذلك أنه استدل بإعرابه جواب الشرط خبرا في أكثر من موضع، وذكر منها ثلاثة مواضع، وهي إعراب الآيات (وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩) [آل عمران: ١٩]، (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ٩) [القارعة: ٦-٩]، (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧) [الليل: ٥-٧] (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٧٩-١٨٠)، وكلها جمل اسمية مربوطة بفاء الجزاء مبتدأها من الشرطية، فهي في مسألة خاصة، وللنحاة فيها أي في خبر اسم الشرط ثلاثة مذاهب (الصبان، ١٩٩٧م، ٦٨/١): الأول: أن الخبر هو فعل الشرط. الثاني: أن الخبر هو جواب الشرط. وهذا ما أعرب به ابن مكي الأمثلة الثلاثة. الثالث: أن الخبر هو فعل الشرط وجوابه. واختلافهم هذا -وإعراب ابن مكي أيضا- ليس فيه دلالة على اعتراضهم على تقسيم جملة الجزاء إلى ما له محل وما ليس له، ولا دلالة فيه على أنه لا يوجد فرق بينهما في الإعراب أو المحل!
وقد كرر هذه الأمثلة في الفصل الثالث من الكتاب (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٨٢-٢٨٤)، ثم إنه اعترض على من قال إن جملتي الشرط وجواب الشرط هما الخبر، وعلى من قال إن جملة الشرط هي الخبر، ليبقى قول من قال إن جملة الجواب هي الخبر (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٨٣-٢٨٦)، وهو قول وجيه، إلا أنه خاص بما إذا كانت أداة الشرط مبتدأ، فلا يعني ذلك أن جملة الجواب في كل موضع هي كذلك، وهذا أوضح من أن يبين.
ثم ذكر نصوص المحدثين فذكر اعتراض مهدي المخزومي على أصل تقسيم الجملة إلى ما له محل وما ليس له، ومما ذكره اعتراضه على إعراب جملة الجزاء في محل جزم، واعتراضه على قسمة أسلوب الشرط إلى جملتين ويرى أنها جملة واحدة بالنظر اللغوي، يقول: «فالمخزومي يرى أن جملة الشرط ينبغي النظر إليها على أنها جملة واحدة»، وهذا صحيح من حيث النسبة لا الرأي، ثم قال: «فإن كانت لها محل فكل جملة لها محل وإن لم يكن لها محل فكذلك كل الجملة لا محل لها» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٨٠)، وهذا استنتاج منه، ومقتضى كلام المخزومي ترك النظر في إعراب الجمل أصلا. فمذهب المخزومي لا يوافق ما نسبه إليه الباحث، وكذلك لا يخدم فكرة الباحث التي يحاول التشبث بكل ما قد يدل عليها وهي إعراب الجمل جميعا، بل هو إلى نقضها أقرب.
ثم نقل كلام شوقي ضيف (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٨١) في نقده تفريق النحاة بين جمل جواب الشرط فيما له محل من الإعراب وما ليس له، ومنها قوله: «وهي تفرقة لا تتضح ولا مبرر لها» (شوقي ضيف، تيسير النحو، د.ت، ص١٩٤)،

وهنا تصح نسبة الباحث إلى شوقي ضيف الاعتراض على فكرة تقسيم جملة الشرط إلى ما له محل وما ليس له، إلا أن كلامه لا يؤيد فكرة الباحث في كون الجمل التي لا محل لها من الإعراب لها محل من الإعراب، بل كلامه يقضي خلاف رأي الباحث، فهو يرى -أي شوقي ضيف- أنه لا مكان في النحو التعليمي للإعراب المحلي والتقديري (شوقي ضيف، تيسير النحو، د.ت، ص١٩٤)، لكنه مع ذلك يقسم الجمل تقسيما آخر يقتضي ذكر الموقع الإعرابي في جملة منها. ثم نقل كلاما عن حسني جليل في إعراب جملة جواب الشرط مطلقا، (حسني، ٢٠١٠م، ص٦). فخلاصة الكلام في هذه المسألة أنه نسب إلى كثير من النحاة بحسب تعبيره الاعتراض على تقسيم جملة جواب الشرط، وعد منهم سيبويه ومكيًّا ومهدي المخزومي، ولم يصح ذلك عنهم، وإنما صحت نسبة هذا الكلام إلى شوقي ضيف وحسني عبد الجليل ممن ذكرهم فقط.

٢.(نسبته إلى جماعة من النحاة القول بأن جملة جواب القسم لها محل من الإعراب، منهم ابن جني والصبان وفاضل السامرائي)

فقد ذكر أن للنحاة قولين في المسألة، قول جمهور النحاة أنه لا محل لها من الإعراب، وقولا بأن لها محلا من الإعراب، (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٥٣، ص١٦٠)، ومما قاله: «والنظر إلى المعنى هو الذي حمل الصبان (١٢٠٦هـ) في حاشيته، وفاضل السامرائي، وحسني عبد الجليل على القول: أن جملة القسم لا محل لها من الإعراب»، (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٦٩)، ونسبته إلى الصبان والسامرائي ليست صحيحة، أما الصبان فهو يشير إلى تعليقه على إعراب قولهم «علمت والله إن زيدا قائم»، حيث قال:» ولقائل أن يقول العلم إنما تعلق بمضمون جملة الجواب فقط فهي التي في محل نصب سدت مسد المفعولين ولا يرد أن جملة الجواب لا محل لها لجواز أن يكون لها محل باعتبار التعليق ولا يكون لها باعتبار الجواب» (الصبان، ١٩٩٧م، ٤١/٢). فقد جوز إعراب جملة جواب القسم هنا باعتبارها سدت مسد المفعولين لا باعتبارها جواب قسم، وهذا يدل على أنه يرى أن جملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، على خلاف ما نسبه إليه الباحث.

أما فاضل السامرائي فقد نقل عنه قوله: «فالذي يترجح عندي أن جملة ما يسمى بجواب القسم من نحو هذا قد يكون لها محل من الإعراب وقد لا يكون بحسب ورودها في الكلام» (السامرائي، الجملة العربية، ٢٠٠٧م، ص١٩٣)، وواضح من كلامه أنه لا يعني جملة جواب القسم مطلقا، بل كلامه هنا عن الجملة التي تأتي بعد لام القسم المعلقة لأفعال القلوب مثل (علمت لأذهبن)، فهو لا يرى أنها قسم ويراها في محل نصب على التعليق، والنحاة يرون محل النصب للقسم وجوابه، هذا ما بينه السامرائي قبل نص كلامه المنقول، فكيف غفل الباحث عن سياق كلامه؟ فيتضح مما سبق عدم صحة نسبة هذا القول إلى الصبان ولا إلى فاضل السامرائي.

وكذلك لا يصح ما ذكره من أنه يفهم من كلام ابن جني(٣٩٢هـ) أنه يرى أن جملة القسم لا محل لها من الإعراب، لقوله: «وقولك لأقومنّ جواب القسم وليس بخبر المبتدأ، ولكن صار طول الكلام بجواب القسم عوضا عن خبر المبتدأ»(ابن الخباز، ٢٠٠٧م، ص٤٨٤)، فإنه في مثال خاص لا في عموم المسألة، وكذلك نقله عن ابن يعيش (٦٤٣هـ) قوله: «ولو قلت: «أقسم بالله» وسكت، لم يجز؛ لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط، وإنما أردت أن تخبر بأمر آخر، وهو قولك: «لأفعلن»، وأكدته بقولك: «أحلف بالله»» (ابن يعيش، ٢٠١٠م، ٢٤٥/٥)، الكندي، ٢٠٢١م، ص١٦٠)، فهذا النص ليس فيه دلالة على أن جواب القسم معرب، فهو لا يعني بالإخبار هنا المصطلح النحوي الذي يقصد ما أتم فائدة المبتدأ، وإنما يقصد به المعنى اللغوي أي إعلام المخاطب بمعنى الكلام، وهو واضح في النص لا يخفى.

٣.(نسبته إلى جماعة من النحاة القول بإعراب جملة صلة الموصول، منهم سيبويه والفراء والمبرد والسراج وابن الخباز وابن مالك وابن هشام)

ذكر الباحث أن جمهور النحاة يرون أن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب، وذكر أن هناك «قولا آخر يقول بإعراب هذه الجمل انطلاقا من جعل الموصول مع صلته ككلمة واحدة، فيجعلون الموصول مع صلته في موضع كذا، وقد صرح بهذا سيبويه في أكثر من موضع»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠١)، ولم يصرح سيبويه بشيء من ذلك فيما نقله عنه ولا فيما نقله بعد ذلك من نصوص غيره من النحاة المتقدمين وهم الفراء والمبرد والسراج وابن الخباز وابن مالك وابن هشام (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠٢-٢٠٤)، وإنما توهم من جعلهم الصلة والموصول كالاسم الواحد أو كالاسم المفرد ونحو ذلك من تعبيراتهم أنهم يقولون بإعراب هذه الجمل، وستأتي مناقشة بعض هذه النصوص في المبحث القادم.

وكذلك لا تصح نسبته ذلك إلى العكبري في قوله: «يرى الباحث ما ذهب إليه أبو البقاء العكبري فيما نسبه إليه الأزهري هو الصواب، إذ ذهب إلى أن المحل للموصول وصلته جميعا، ... «(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٩). فهذا القول ليس فيه أن جملة الصلة لها محل من الإعراب بل يدل على أنها لا محل لها من الإعراب، وكون الموصول وصلته في محل إعرابي لا يجعل جملة الصلة التي هي جزء من ذلك لها محل من الإعراب، وهذا القول هو ما نقله ابن هشام عن بعضهم، ورد عليه، كما سيأتي.

٤.(نسبته إلى الزمخشري والشلوبين توسيع مفهوم الجملة المفسرة لتشمل كل جملة أدت وظيفة التفسير)

جعل الباحث النحاة فريقين في تعريفهم للجملة التفسيرية، فمنهم من «وسع مفهوم الجملة التفسيرية ليشمل جميع الجمل التي تؤدي هذه الوظيفة بغض النظر عن موقعها الإعرابي، وفريق آخر نظر إلى الموقع الإعرابي للجملة التفسيرية؛ فاشترط كون الجملة المفسرة لا محل لها من الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٣٢)، فنسبته إلى فريق من النحاة جعلهم الجملة التفسيرية كل جملة تؤدي وظيفة

التفسير غير مسلَّم، إذ لم يأت بكلام صريح يدل عليه ولا بدلالة صحيحة، وإنما ذكر ثلاثة أمثلة أولها: قوله تعالى: (سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا) [النور: ١]، فقد وجه الزمخشري قراءة النصب على النصب بالاشتغال وجعل الجملة بعدها مفسرة، وقال: «ولا محل لأنزلناها لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه» (الزمخشري، ١٩٨٧ م، ٣/٢٠٨)، والثاني ما ذكره الشلوبين في قوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩] بمثل ما قاله الزمخشري في جملة خلقناه (ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٨٥م، ص٥٢٦)، والمثال الثالث قول الشلوبين أيضا في البيت [من الطويل]:

فَمَنْ نحنُ نُؤمِنُهُ يَبِتْ وهوَ آمِنٌ ومَن لا نُجِرْهُ يُمْسِ فينا مُفزَّعًا

إذ جعل الجزم في الجملة المفسرة (نؤمنه) بسبب كونها تابعة لحكم المفسر المحذوف (ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٨٥م، ص٥٢٦)، وهذا التوجيه اعترض عليه ابن هشام لأنها لا تعد مفسرة في الاصطلاح وإن حصل فيها تفسير (ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٨٥م، ص٥٢٧). ثم إن المجزوم هنا الفعل لا الجملة، فهذه الأمثلة الثلاثة ليست كافية للقول إن هؤلاء النحاة وهم الزمخشري والشلوبين يرون أن كل جملة حصل بها تفسير هي جملة مفسرة، وهذه الأمثلة في مسألتين وهما الاشتغال والاسم بعد الشرط، فجعلهم لهما من قسم الجملة التفسيرية لا يعني أنهم وسعوا المفهوم وجعلوا كل جملة تؤدي هذا الغرض من هذا القسم. فانظر كيف أخذ من رأي في مسألة حكما عاما فقال: «فبعد النظر إلى ما أقره جمهور النحاة وما ذهب إليه الشلوبين تكشف لنا أن الأخير قد وسع مفهوم الجملة التفسيرية ليشمل جميع الجمل التي تؤدي هذه الوظيفة بغض النظر عن موقعها الإعرابي»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٣٦).

المبحث الثالث: نقد طريقة الاستشهاد والنقل

يظهر من المبحث السابق أن وقوع الباحث في الخطأ في نسبة الأقوال مردّه في الغالب إلى الخطأ في فهم النصوص التي ينقلها، فقد أكثر الباحث من الاستناد إلى نصوص النحاة المتقدمين والمتأخرين بيانا لمواقفهم ومناقشة لها واستئناسا بما قالوه ولغير ذلك من الأغراض، غير أنَّ كثيرا من نقولاته تظهر فيها بعض المشكلات، منها اقتطاعه للنقل وإيهامه أو توهمه المعنى على غير مراد النص المنقول، ومنها نقوله نصوصا كثيرة ليستدل بها على معنى وهي لا تدل عليه البته، ومن ذلك ما سبق في المبحث الماضي وغيره مما يأتي، أجملها في خمس مجموعات.

١.النصوص التي استشهد بها على نسبته إلى كثير من النحاة الاعتراض على تقسيم جملة الشرط إلى ما لها محل وما ليس لها محل، منهم سيبويه ومكّي، وقد اتضح أن تلك النصوص لا تدل على ذلك.

٢.النصوص التي استشهد بها على نسبته إلى جماعة من النحاة القول بأن جملة جواب القسم لها محل من الإعراب، منهم ابن جني والصبان وفاضل السامرائي.

وقد تبيَّن أنّ نصوصهم تلك لا تدل على ذلك. فعند ذِكرِ الباحث جملة جواب القسم ذَكرَ أن النحاة درجوا على جعلها ضمن الجمل التي لا محل لها من الإعراب (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٤٥-١٥٢)، إلا أنه قال «هناك إشارات متفرقة في كتب النحاة ألمحت إلى إمكانية درج هذه الجملة ضمن الجمل التي لا محل لها من الإعراب» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٥٣)، ثم ذكر خمسة مواضع ذكر فيها بعض النحاة إمكان إعراب بعض جمل جواب القسم (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٥٣-١٦٠)، ثلاثة منها ذكرها ابن هشام في المغني رادًّا عليها، والرابع ذكر فيه نصين الأول وقع فيها أسلوب القسم خبرا لإن، والثاني لم أجد فيه ما يدل على مراده منه، والخامس ما ذكره الصبان من أن نحو قولك: علمت والله إن زيدا قائم، يجوز فيه أن تكون جملة جواب القسم في محل نصب سدت مسد مفعولي علم، وقد سبق الحديث عنه. وهذه المواضع كلها -مع ما فيها من نظر- إن سُلِّمَ بصحة إعراب جملة جواب القسم فيها؛ ليست دالة على أن جملة جواب القسم جملة معربة مطلقا عند أولئك النحاة، بل منتهى ما تدل عليه إعرابها في بعض المواضع لتعلقها بأمر آخر.

ولينظر في هذا النص مثالا من تلك النصوص التي نقلها: «وَقَوله: وَقد أرى قد للتحقيق وأرى بِمَعْنى أعلم معلّق عَن الْعَمَل بِمَا النافية وَالْجُمْلَة بعْدهَا سادّة مسدّ المفعولين. وَقَوله: وأبيّ الْوَاو للقسم وَجُمْلَة الْقسم مُعْتَرضَة بَين أرى ومعموله،أتى بهَا للتأكيد، وجواب القسم محذوف يدل عليه مفعول أرى، وحرّفه بَعضهم فَرَوَاهُ: وَلَا أرى بِلَا النافية مَوضِع قد وَزعم أنّ الْجُمْلَة المنفيّة جَوَاب الْقسم وأنّ مفعولي أرى محذوفان تَقْدِيره: لَا أَرَاك أَهلا لِذِي الْمجَاز. وَقيل: لَا دعائيّة. هَذَا كَلَامه» (البغدادي، ١٩٩٧م، ٤/٤٧٠)، وهو كلام عن هذين البيتين اللذين أنشدهما الكسائي: [من الكامل]

قَدَرٌ أَحَلَّكَ ذَا النّجيل وَقد أرى ... وأبيّ مَالك ذُو النّجيل بدار

إلاّ كداركم بِذِي بقر الْحمى ... هَيْهَات ذُو بقرٍ من المزدار

ففيه قولان في جملة جواب القسم، الأول أنها محذوفة، والثاني بناء على الرواية الأخرى أن الجملة المنفية هي جواب القسم ومفعولي أرى محذوفان، وليس في كلا التوجيهين إعراب لجملة جواب القسم، فلا أدري ما متعلقه من هذا النص!

٣.النصوص التي استشهد بها على نسبته إلى جماعة من النحاة القول بإعراب جملة صلة الموصول، منهم سيبويه والفراء والمبرد والسراج وابن الخباز وابن مالك وابن هشام.

وقد سبق أن نصوصهم لا تدل على ذلك، وهي نصوص كثيرة.

ففي مناقشته لجملة صلة الموصول بيّن أن جمهور النحاة يرون أن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب، وذكر أن هناك قولا بإعرابها انطلاقا من جعل الموصول مع صلته ككلمة واحدة» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠١)، ونقل نصوصا عن سيبويه والفراء والمبرد والسراج وابن الخباز وابن

مالك وابن هشام، يستدل بها على ذلك، وقد سبق أنه توهم من جعلهم الصلة والموصول كالاسم الواحد أو كالاسم المفرد ونحو ذلك من تعبيراتهم أنهم يقولون بإعراب هذه الجمل.

فمما ذكره قول سيبويه: (وأن بمنزلة الذي تكون مع الصلة بمنزلة الذي مع صلتها اسمها، فيصير يريد أن يفعل، بمنزلة يريد الفعل، كما أن الذي ضرب بمنزلة الضارب) (سيبويه، ١٩٨٨م، ٢٢٢٨/٤)، وقول المبرد: «فإنما الموصول كاسم واحد لا يتقدم بعضه بعضا» (المبرد، ١٩٩٤، ١٩١/٣)، وقول ابن السراج: (إن الذي لا يتم إلا بصلة، وإنه وصلته بمنزلة اسم مفرد) (ابن السراج، ١٩٩٦، ٢٦٢/٢)، فهذه الأمثلة وغيرها مما ساقه ليس فيه دلالة على أن الصلة معربة إطلاقا.

ومما تجدر الإشارة إليه مما ذكره من النصوص نصان فيهما ما قد يفهم خروجه عن قاعدة النحاة في أن صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وهو ما ذكره ابن مالك في قوله: «حاصل كلام أبي على أن الذي على ثلاثة أقسام: موصولة، وموصوفة مستغنية بالصفة عن الصلة، ومصدرية محكوم بحرفيتها». وصححه وذكر أنه هو مذهب الفراء (ابن مالك، شرح التسهيل، ١٩٩٠م، ٢١٩/١)، فكون الذي تأتي موصوفة يعني أنها ليست باسم موصول، لذلك جعلها قسيمة للموصولة لا قسما منها، وهو كما قال رأي الفراء كذلك، وحاصل كلام أبي علي في الشيرازيات. ويدل على ذلك مجيء صفتها مفردا، بل صرح بذلك أبو علي وذكر شاهدا على ذلك في قوله:

قال أبو علي: ويقوي هذا أنها جاءت موصوفة غير موصولة، وأنشد الأصمعي:

حتى إذا كانا هما اللذَيْن ... مثلَ الجَدِيلَيْن المُحَمْلَجَيْن

فنصب مثل الجديلين وجعله صفة للذين» (ابن مالك، شرح التسهيل، ١٩٩٠م، ٢١٨/١).

أما مجيئها حرفا مصدريا وتأويلها وصلتها بمصدر فليس بدليل على إعراب الصلة عندهم بل الإعراب للمصدر المؤول وهو مجموع حرف الصلة والصلة، وبهذا ينتفي استدلال الباحث بما توهمه من النصوص الدالة على هذا المعنى. نعم، ذكر الباحث نصًّا فيه قولٌ أن الموصول الاسمي مع صلته في موضع إعراب، ذكره رادا عليه ابن هشام في قوله في المغني: «وبلغني عن بعضهم أنه كان يلقن أصحابه أن يقولوا إن الموصول وصلته في موضع كذا محتجا بأنهما ككلمة واحدة والحق ما قدمت لك» (ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٨٥م، ص٥٣٥). ردَّه مستدلا بظهور الإعراب في الموصول في بعض الأمثلة، إلا أن هذا القول ليس فيه أن الصلة لها محلٌّ من الإعراب بل يدل على خلافه.

٤. النصوص التي استشهد بها على نسبته إلى الزمخشري والشلوبين توسيع مفهوم الجملة المفسرة لتشمل كل جملة أدت وظيفة التفسير، وقد مضى أن نصوصهم لا تدلّ على ذلك بإطلاق.

٥. نصوص في ذكر أنواع الخبر؛ فقد ذكر الباحث من أنَّ بعض النحاة عدّ الجملة ثلاثة أقسام.

ومنهم ابن السراج لأنه ذهب إلى أن الإخبار بالظرف والجار والمجرور قسم برأسه، وذكر بعض كلامه وكلام أبي علي الفارسي (الكندي، ٢٠٢١م، ص٣٦، الفارسي: المسائل العسكريات، ٢٠٠٢م. ص٦٣)، لكن كلامهم كان عن أنواع خبر المبتدأ لا عن أقسام الجملة، وقد أكد الباحث هذا بقوله عن ابن السراج: «فابن السراج ذهب إلى أن الإخبار بالظرف والجار والمجرور قسم برأسه، وليسا من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٣٦)، وإنما ما ذكره ابن هشام هو الصريح في تقسيم الجملة إلى ثلاثة أقسام، كما نقله الباحث بعد ذلك (الكندي، ٢٠٢١م، ص٣٧). وكذلك ما ذكره في تقسيم الجملة الرباعي والخماسي، أنها خمسة عن أبي علي الفارسي، وأنها أربعة عن الزمخشري هو في ذكر أقسام الخبر، وإن صرحوا بأنها جمل (الكندي، ٢٠٢١م، ص٣٨)، فهل يقولون إن الجملة تنقسم إلى هذه الأقسام مطلقا؟ فكان يمكن للباحث أن ينسب إليهم أنهم يقولون بذلك استنباطا من عدّهم أنواع الخبر، وأنه كلام غير صريح، أو ألا يذكر ذلك عنهم إن كان لم يجد نصوصا صريحة منهم في تقسيم الخبر إلى هذه الأنواع، هذا وقد علق ابن يعيش في شرحه للمفصل على كلام الزمخشري بقوله: «واعلم أنه قسم الجملة إلى أربعة أقسام: فعلية، واسمية، وشرطية، وظرفية، وهذه قسمة أبي علي، وهي قسمة لفظية، وهي في الحقيقة ضربان: فعلية واسمية» (ابن يعيش، ٢٠٠١م، ٢٢٩/١).

المبحث الرابع: نقد الاستدلال والتحليل

سلامة الاستدلال هي مربط الفرس وبيت القصيد في مناقشة أي مسألة من المسائل، وقد تناول الباحث في كتابه مسألة الجمل التي لا محل لها من الإعراب بمناقشات واستدلالات، ويناقش هذا المبحث طريقة الاستدلال وأسلوب تناول الباحث للمسائل فيها من حيث قوة الاستدلال أو ضعفه، وما يتعلق به من انسجام أو اضطراب في المناقشة، وفيما مضى من المباحث الثلاثة ما يكشف جانبا مهما في تناول هذه القضية، فقد سبق بيان:

١. وقوع الباحث في الخطأ في استعمال بعض المصطلحات وفهمها.

٢. ثم وجود الخطأ في نسبة كثير من الآراء إلى أصحابها، بسبب الخطأ في فهم كلامهم.

٣. ثم فشو ظاهرة الاستشهاد بنصوص على غير ما تدل عليه.

وهذه القضايا الثلاث قواعد مهمة ينبني عليها معرفة حقيقة الاستدلال ومرتبته قوة وضعفا، وأضف إلى ذلك ما يأتي:

٤. ضعف الاستدلال في المسألة التي هي أساس الكتاب

استطرد الباحث في الكلام عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب من حيث المصطلح والأمثلة والشواهد المنقولة والمناقشة، إلا أنه مع ذلك لم يولِ عناية تامة -من حيث الاستدلال- بجوهر القضية الذي ينبني عليه جميع ما يمكن أن يقال فيها من حيث المحل الإعرابي للجمل، وهو الأساس الذي نحكم به على هذه الجمل أن لها محلا من الإعراب أو أنه ليس لها محل من الإعراب، وقد تناول

هذا الموضوع لِماما في المقدمة، ثم تطرق إليه بقليل من التفصيل في الفصل الأول، ثم أشار إليه مرات في حديثه عن أفراد الجمل بما لا يقوى على إسقاط القول المشهور ولا على الإتيان بمعيار بديل، وسأناقش هنا استدلالاته المجموعة في الفصل الأول والمتفرقة في بقية الكتاب فيما يتعلق بهذه المسألة.

فقد ذكر في مقدمته للكتاب أنه: «عندما تناول النحاة الجملة ووظائفها لم يتناولوها إلا بمقتضى تأويلها بالمفرد،... فكأن النحاة لم يتحرروا بعد من فكرة المفرد فقاسوا إعراب الجمل على إعراب المفردات» (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٥). فهنا بدء تعرضه لقضية اعتراضه على جعلهم دراسة الجملة قائمة على قياسها بالمفرد، وهي مسألة جوهرية في الموضوع، ذكرها في المقدمة ثم في مواضع أخرى من الكتاب، ولكي تَتبيَّن صحة هذا الاعتراض من عدم صحته لا بد من دراسة فكرة اعتمادهم على المفرد في إعراب الجمل؛ أتصح أم لا؟

وكلام الباحث يتضمن مقدمة تقتضي تخطئة الفكرة، وقد صرح بذلك كما سيأتي، وإذا نظرنا إلى اعتماد النحاة على فكرة تأويل الجملة بالمفرد وجدناها فكرة صحيحة قائمة على دقة فهمهم للقضية، فموضوع النحاة الذي يشتغلون به هو الإعراب وأثره الظاهر بسبب التركيب، وهذا يظهر في المفردات أصالة، ثم تكون الجمل تابعة له، لأن الإعراب فيها مقدر لا ظاهر، وذلك فيما صح منها أن يعرب، وما لا يصح أن يعرب فلا أثر لتركيب الكلام في إعرابه، وهذه خلاصة منطقية متسقة مع دائرة اهتمامهم وموضوع بحثهم، قال السيرافي: «ومعنى قولنا: جملة لها موضع هو: أنّا متى نحينا الجملة جاز أن يقع موقعها اسم واحد، فيلحقه الإعراب. والجملة التي ليس لها موضع: هي التي إذا نحيناها لم يقع موقعها اسم، فأما الجملة التي لها موضع فقولك: « مررت برجل أبوه قائم «، و « رأيت رجلا قام عمرو إليه « لأنك لو نحّيت « أبوه قائم « أو « قام عمرو إليه « لقلت: « مررت برجل قائم « و « رأيت رجلا قائما « فيقع موقع الجملة اسم واحد، وقولك: « مررت برجل أبوه قائم « هو جملة ليس لها موضع من الإعراب؛ لأنك لو نحيتها كما هي لم يقع موقعها اسم». (السيرافي، شرح الكتاب، ٢٠٠٨م، ٣٩٠/١)، وقال أبو حيان: «ونحن نتكلم في الجمل فنقول أصل الجملة ألا يكون لها موضع من الإعراب، لأن ما له منها موضع من الإعراب، إنما هو لوقوعه موقع المفرد، والأصل في الجملة أن تكون مستقلة لا تقدر بمفرد، فتكون جزاءً لما قبلها». (أبو حيان، ارتشاف الضرب، ١٩٩٨م، ١٦١٧/٣)، ثم ذكر الجمل التي لها موضع والجمل التي لا موضع لها من الإعراب. وللنحاة في هذا نصوص كثيرة، (انظر مثلا: ابن السراج، الأصول في النحو، د.ت، ٦٢/٢، ابن الأثير، البديع، ١٤٢٠هـ، ص٣٨٠)، ولم يسهب النحاة في تفصيل هذا المعنى لوضوحه؛ فهو غير محتاج إلى بيان، لكنهم أسهبوا في تعداد الجمل وتصنيفها.

ثم مهّد الباحث لنقاش هذه المسألة بذكر مواقف المحدثين المتباينة من الإعراب المحلي والتقديري، و أيّد مذهب القدماء القائلين بإثبات ذلك (الكندي، ٢٠٢١م، ص٥٤-٥٨)، ومنه الإعراب المحلي للجمل، ممهدا لمبحث بعنوان (نقد لا محل لها من الإعراب)، ولعله يقصد تقديرا لمضاف فالمعنى نقد هذه المقولة أو العبارة، ثم ذكر في هذا المبحث ما يستدل به على إلغاء مجيء بعض الجمل لا محل لها من الإعراب، وأنها قابلة للمحلية جميعا (الكندي، ٢٠٢١م، ص٥٩-٧٣)، وقد كرر ما يشبه كلامه هذا لاحقا في كتابه مرات كثيرة، وسأكتفي بما يغني عن التكرار مناقشا ما قاله هنا تفصيلا:

أولا: مهّد لنقده باتفاق النحاة على انعدام محليّة الحرف من الإعراب، مقارنا ذلك بالجملة بأنها مخالفة حال الحرف من حيث إنها ليست معنى في غيرها فقط، وذلك بتعبير مضطرب إذ قال: «قرر النحاة بإجماع أن (لا محل له من الإعراب) هي الحروف من منطلق أنها تسند ولا يسند إليها، (كذا في الأصل: والصواب أن الحرف لا يقبل إسنادا فلا يكون مسندا ولا مسندا إليه) ولا تستقل في التركيب بنفسها، ولا تدل على معنى في نفسها وإنما في غيرها، ولا شك أن أي جملة سواء كان لها محل أو لم يكن لها محل لا يمكن النظر إليها على أنها معنى في غيرها فقط لفظا أو معنى كالحرف، وخاصة أننا نجد هذه العبارة مصدرة بـ(لا) النافية فهو يعني نفي تأثر العنصر المعني بغيره من العناصر»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٠). ولا نجد في هذا التمهيد أي دليل على وجوب محلية الجمل كلها في الإعراب، بل مناط كون الجملة غير ذات محل هو عدم وجود العامل المؤثر فيها، وذلك بعدم وقوعها موقع المفرد، وهو ما تشترك فيه مع الحرف حالة كونها لا محل لها، وهو ما ذكره بعد هذا الكلام مؤكدا عليه بكلام النحاة، كما أكده من قبل عند ذكره ارتباطه بنظرية العامل وانتصاره لقول النحاة القدماء فيها.

ثانيا: قال: «سأتطرق هنا إلى محاولة نقد الأساس والمبدأ الذي استند إليها (كذا، والصواب إليه) النحاة لإخراج الجملة من الإعراب: وهو أن الجملة إذا لم تقدر بمفرد أو لم تقع في موقعه لم يكن لها محل من الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٧١)، وهذا الأساس صحيح في كون بعض الجمل لا محل لها من الإعراب لا جميعها، ولعله يقصد هذا المعنى، ثم ذكر «أن النحاة لم يبينوا حقيقة المفرد الذي يقصدونه في باب إعراب الجمل»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٢) ، وهو كلام غير مسلم به، إذ إن المفرد المقصود هنا واضح لا يحتاج إلى بيان، وهو ما بينه بنفسه بعد هذه الجملة ناقلا عن ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) بأن المفرد هو ما لا يدل جزؤه على شيء من معناه، ولا على غيره مما هو جزء منه (ابن يعيش، ٢٠٠١م، ٧١/١)، وعن ابن هشام (ت٧٦١هـ) بأنه ما لا يدل جزؤه على جزء معناه (ابن هشام، شرح قطر الندى، ١٣٨٣هـ، ص١١)، فقال بعد نقله كلامهما، «فلم يشر ابن هشام ولا غيره من النحاة للمفرد الذي يقصدونه في حدهم للجملة التي لا محل لها من الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٢)، ثم قال: «ومن خلال الشواهد التي ساقوها في هذا الباب يتبين لنا أن المفرد

المقصود هو الكلمة التي تؤول باسم نكرة» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٢)، ثم ذكر كلام النحاة من أن الجملة تقع موقع النكرة لا موقع المعرفة (الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٢)، وجميع ما سبق نقد لغير منقود، فالنحاة بينوا حقيقة المفرد ثم بيّنوا حقيقة الجملة التي لها محل من الإعراب بأنها تقع موقع المفرد، وبينوا حقيقة هذا المفرد ببيانهم أن الجمل تقع موقع النكرة لا المعرفة، بعبارات واضحة غير ملتبسة وغير محتاجة إلى استنتاج أو نظر. وليس في كل ذلك دليل على استحقاق الجمل جميعها للإعراب.

ثم قال: «ومعنى ذلك أن الجملة تؤول باسم مفرد نكرة، فتكون نعتا أو حالا أو خبرا، ولا فرق في ذلك بين أي جملة ما دام أن الجملة تقبل أن تؤول بنكرة، فتصلح للإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٢)، فإن كان يقصد بهذا الكلام الاستدلال على اطراد استحقاق الجمل للإعراب جميعها فهذا مقيد بشرط قبولها أن تؤول بنكرة، وهذا لا يكون إلا في الجمل التي ذكر النحاة أن لها محلا من الإعراب لا فيما لا محل له من الإعراب منها.

ثالثا: ذكر «أن مقولة النحاة التي مفادها أن الجمل التي تقدر بالمفرد لها محل من الإعراب، وما لم يصح تقديره لا محل له من الإعراب؛ لا تصمد أمام النقد، فهناك جمل لها محل من الإعراب ومع ذلك لا يصح تأويلها بالمفرد» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٢-٧٣) كجملة ضمير الشأن، وجمل أخبار أفعال المقاربة والرجاء والشروع. وهو كلام إن سُلِّم لا يلزم منه انتقاض القاعدة إذ إن هذه الجمل وإن لم تقبل التأويل بالمفرد فهي قابلة لأن يحلّ محلها، مما يدل على أنها واقعة موقعه، ومع ذلك فإن وجود شواذّ في قاعدة ما لا يقدح فيها بل قالوا إن الاستثناء يؤكد القاعدة، لا سيما في العلوم الإنسانية، وتلك المواضع المذكورة قابلة للنقاش، فخبر ضمير الشأن نظير مقول القول، وهو مفعول به لأنه ينظر إليه باعتباره لفظا، فهو أقرب إلى المفرد منه إلى الجملة عند إعرابه، وكذلك الجملة المفسرة لضمير الشأن، وأما أخبار أخوات كاد فقد قيل بأن (أن) فيها مصدرية فلا إشكال، ويبقى الإشكال فيما يخلو منها وفي القول بأنها ليست مصدرية، وعلى كل حال لا يلزم من عدم جواز تأويلها بمفرد عدم إعرابها؛ لظهور تسلط العامل عليها، وقد ورد في بعض الشواهد مجيئه مفردا منصوبا.

وأيضا لا يلزم من قاعدتهم استواء المعنى من كل وجه، فللمفرد معناه الخاص وللجملة معناها الخاص بدلالتها ودلالة ما تحتوي عليه من مفردات وتركيب، على أن تعبير بعض النحاة في الجمل التي ليس لها محل أنها التي «لم تحل محل المفرد» (ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٨٥م، ص٥٠٠)، وهذا التعبير لا يلزم منه لزوم قبولها للتأويل بالمفرد بل يكفي أنها وقعت موقعه، ومثله أيضا ما مرّ في عبارة السيرافي.

رابعا: ذكر «أن هذه القاعدة لا تتفق وطبيعة الجملة، فقد تقع الجملة موقعا مشابها لموقع المفرد أو مناظرا له، وليس من الضروري أن تكون مطابقة تماما للمفرد، فإن للجملة طبيعتها التي تختلف عن طبيعة المفردات مثلما تختلف المفردات فيها» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٣)، وهذا الكلام صحيح لا يُنكَر من حيث إن معنى الجملة مخالف لمعنى المفرد تفصيلا، وهذا لا ينكره النحاة، وليس مقصودا من قاعدتهم في تمييز الجمل من حيث المحل الإعرابي أنه لا فرق مطلقا بين الجملة والمفرد كما سبق، بل سعة العربية في التعبير بالمفرد والجملة وجواز تعاورهما في الموضع الواحد شاهد على دقة المعنى وتنوعه، وهذا ما تقتضيه البلاغة. وممن تمسك بهذا المعنى للقول بنقيض ما يقول به الباحث كريم الخالدي في كتابه نظرات في الجملة العربية (الخالدي، ٢٠٠٥م، ص٢٠-٢٢).

خامسا: ذكر «أن قاعدة التأويل هذه قاعدة تعليمية، لا يمكن التسليم لها بالكلية، لأن وظيفة المفرد في الجملة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحدث في تركيب الجملة، ولا يمكن قياس إعراب الجملة على المفرد، فالذي يبين محل الجملة من الإعراب ليس التأويل من عدمه، وإنما هو في حقيقة الإعراب الذي يفسر النظام اللغوي الذي قامت الجملة على أساسه»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٧٣)، ومثله ما ذكره في موضع آخر أن الذي يبين محل الجملة هو حقيقة الإعراب الذي يفسر النظام اللغوي (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٦٦).

وهو كلام إنشائي، لا دليل فيه على استحقاق الجمل جميعا لمحل من الإعراب، وهو يعترض فيه على قياس الجملة على المفرد، ولم يأت بما ينقض هذا القياس، بل أتى بكلام مجمل مبهم فيما يبين محل الجملة من الإعراب من النظام اللغوي، وقد بينه النحاة فأوضحوا أن محل الجملة ما صح أن يحل محل المفرد، لأنه هو الذي يتسلط عليه العامل فيكون له أثر في الإعراب ظاهرا أو مقدرا. فهذه خلاصة لما استدل به على نقض مجيء الجملة لا محل لها من الإعراب حين لا تقع موقع المفرد، ويتضح منها عدم وجود مستند صحيح قادر على نقضها، ولم يأت ببديل عنها يمكن الاعتماد عليه في المسألة.

ثم إن الباحث في مقدمة الفصل الثالث ذكر أنه سينظر نظرة تقويمية للجمل التي لا محل لها من الإعراب، بمناقشة أقوال النحاة وشواهدهم مناقشة عميقة، مؤكدا على أن باب الاجتهاد في النحو مفتوح، ناقدا مرة أخرى المعيار الذي وضعه النحاة في تمييز الجمل من حيث الإعراب (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٢-٢١٣)، ولكنه يأت ببديل عنها إلا أنه وصف نظرته التقويمية إلى الجمل بأن هدفها الفهم العميق للبناء النحوي؛ «بالنظر إلى الجملة بوصفها جزءا من السياق أو النص وأن استقلال الجملة إنما هو استقلال نسبي، فعليه كان لا بد من النظر إلى التركيب والمعنى معا لكي نحكم على تركيب ما في سياق ما بالإعراب من عدمه»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٣)، لكن يبقى التساؤل قائما عن ضابط هذا النظر في التركيب والمعنى الذي يجعلنا نحكم على الجمل بالإعراب من عدمه، ما هو؟ وكيف يكون؟

وفي حديثه عن الجملة الاستئنافية أكد مرة أخرى أن النحاة اهتموا بإعراب المفرد وأهملوا إعراب الجملة إلا من حيث تأويلها بالمفرد، فجعل هذا «حديثهم عن الجملة

الاستئنافية حديثا مختصرا يشوبه شيء من الغموض والتعارض»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٠٦)، وقد سبق الكلام عن أن هذا المعيار في الحكم على الجمل من حيث الإعراب هو المعيار الصحيح المقبول الذي اتفق عليه النحاة، وقد اعتمد عليه الباحث في ثنايا حديثه أكثر من مرة، كما في كلامه عن الجملة الابتدائية وجملة جواب القسم (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٣، ص٢٧٢)، لكنه ينقضه حينما يريد الاتساق مع فكرته التي توجب استحقاق الجمل جميعها للإعراب، وأما وصفه كلام النحاة عن إعراب الجملة الاستئنافية بأنه مختصر، فهو كذلك؛ لأنه أمر واضح لا يحتاج إلى بيان، ولو أطالوا فيما حقه التقصير لاستحقوا الإنكار، وأما الغموض والتعارض فغير مسلَّم، وقد بينه بقوله: «فالنحاة يقرون أن الاتصال بين الجمل المستأنفة والجمل التي قبلها هو اتصال في المعنى، والانقطاع المتحقق إنما هو في اللفظ»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٠٦)، وهذا ناتج عن الخلط بين وظيفة النحو ووظيفة البلاغة، ثم إن الاتصال في المعنى غير لازم فقد لا يكون أصلا، وحينما يكون فهو اتصال عامٌّ في موضوع الكلام لا يؤثر في الإعراب.

ثم إنه اقترح معيارا آخر لضبط الجمل من حيث الإعراب فقال: «وأفلا (كذا، ومن خصائص همزة الاستفهام أن تقدم على الواو والفاء، وجمعهما خطأ) يكون هذا الاتصال في المعنى هو أساس الإعراب، فالجمل المستأنفة إما أن تأتي تفسيرا لما قبلها أو بيانا أو توكيدا أو حالا أو وصفا أو تعليلا، فكيف لا يقال بعد ذلك أنه لا محل لها من الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٠٧). وهذا كلام مردود من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن مناط تصنيف الجملة من حيث الإعراب هو إمكان حلول المفرد محلها، ويحتاج إلى إثبات انتقاض هذه القاعدة لأجل جعل محل للمستأنفة من الإعراب، أما اعتبار المعنى في الإعراب فهو لا ينافي قاعدة النحاة في التفريق بين الجمل، لكنهم يفرقون بين المعاني كلّ بحسبه، وتوضيحه في الوجه الثاني: وهو أن معنى الاستئناف مختلف عن المعاني الأخرى التي ذكرها، وقد ذكر النحاة مواضع تلك الجمل بحسب معانيها المناسبة لها التي يتفق فيها اللفظ مع المعنى.

الوجه الثالث: أن المعاني التي ذكرها لها مدلولها النحوي الخاص، فلا يصح الخلط بين المصطلح النحوي والمعنى اللغوي كما سبق.

الوجه الرابع: أن المعاني التي يأتي لها الاستئناف أكثر مما ذكر، فقد يكون اعتراضا أو ردا أو معنى مضادا أو مقابلا أو استدراكا، وكثير من المعاني متداخل بعضها في بعض من حيث الوصف اللغوي، أما المصطلح النحوي فهو منضبط محدد.

الوجه الخامس: هب أن بعض الجمل أمكن توجيهها لإعراب معين، فهل يطرد ذلك في جميع الجمل الاستئنافية؟ لا. وخذ على ذلك مثالا ذكره الباحث، وهو قوله تعالى: {فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } [يس: ٧٦] فماذا سيعرب جملة إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون؟

المعنى ومحل الجمل من الإعراب

هذا وقد كرّر الباحث فكرة أنّ «الاتصال في المعنى هو أساس الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٦)، فذكره في حديثه عن الجملة الاستئنافية؟ (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٦-٢١٨)، ثم في حديثه عن الجملة الاعتراضية فذكر أن «العلاقة بين الجمل هي علاقة معنوية في المقام الأول، وأن العلاقة النحوية ما هي إلا تبع لتلك العلاقة»، وأنها بتعريفها وشروطها التي ذكرها النحاة لا تفقد فائدتها، وعليه فلها محل من الإعراب، (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٣٧-٢٣٨)، وكذلك في كلامه عن الجملة التفسيرية أكد على ارتباط إعراب الجمل بالمعنى وأن مقتضى عدم الإعراب القول بعدم إفادتها معنى (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٥٥)، وكذلك في كلامه عن جملة الشرط وجوابه، فذكر أن لها معنى في السياق، وأنها «جملة تامة المعنى مستقلة بنفسها، لذلك كان من حقها أن يكون لها محل من الإعراب» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٨٠-٢٨٢)، وقد كرر مثل كلامه هذا في مواضع غيرها.

وهذا التلازم الذي يؤكد عليه الباحث مرارا بين انعدام المحل الإعرابي وانعدام المعنى غير صحيح، ولا أظنه طرأ ببال أحد من النحاة، ولم يأت بنص يفيد ذلك عن أحد منهم، فلا يقول النحاة بانعدام المعنى في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، بل القول بهذا أبعد من أن يحتاج إلى أن ينبه على بطلانه. وكذلك لا تلازم بين المحل الإعرابي والارتباط المعنوي العام بالسياق، فإنه يلزم أن يكون الكلام الواحد مهما طال مترابطا تجمع بينه وبين غيره وشائج معنوية وإن ضعفت، وإن وقع انقطاع تام في المعنى عند حديث المتكلم -بلا حاجة داعية- فهو مشعرٌ بجنونه، وقد يذكر خلو الكلام من الارتباط المعنوي باعتبار خلوه من المعنى القريب لا خلوه من أي علاقة معنوية.

وذكر مثل ذلك في واو الاستئناف، فرأى أن الجملة المعطوفة بالواو لا تدخل في الجملة الاستئنافية، وأن الواو توجه بأحد المعاني كما هو مقرر عند النحاة(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٥٥)، وهو يقصد ما عدا معنى الاستئناف الذي ذكره النحاة للواو، وهذا الرأي بناء على أن بين الجمل ارتباطا في المعنى، وهذا المعنى يوجب أن يكون لها محل في الإعراب (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٢٢-٢٢٣)، وقد كرر أيضا الإشارة إلى كلام الجرجاني في دلائل الإعجاز مفرقا بين واو العطف والاستئناف (الجرجاني، ١٩٩٢م، ص٢٢٤)، وجوابه ما سبق من أن الارتباط المعنوي بين الجمل لا يوجب للجمل محلا من الإعراب، وأن المحل الإعرابي هو شيء آخر غير الارتباط المعنوي وغير المعنى الذي تدل عليه الجملة، ولذلك فرق الجرجاني بين الواوين.

معادلة الجملة للحرف ومحلها من الإعراب

ومما جعله الباحث مما تستحق به الجملة -وسياق كلامه عن الجملة الاعتراضية- المحل الإعرابي عدم معادلتها للحرف، فقال: «ومما يؤهل هذه الجملة لأن يكون لها موضع من الإعراب أنها لم تعادل الحرف ولا ضمير

الفصل الذي يقوم بوظيفته منع اللبس» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٣٩)، فعدم معادلتها الحرف أو غيره لا يجعلها مستحقة للإعراب، ولا يمكن أن يكون ذلك قاعدة لإعراب الجمل؛ فمن المعلوم بديهة أن اتصاف الشيء بصفةٍ اتصف بها غيره لا يلزم منه اتصافه بغير تلك الصفة من الصفات التي اتصف بها غيره، ولا مشاركته غيرَه في عدم اتصافه بصفة ما يلزم منه مشاركته إياه في عدم اتصافه بغيرها من الصفات التي لم يتصف بها، إلا إن كان هناك تلازم وليس هذا بحاصل هنا.

وكرر هذا الاحتجاج في كلام نقلا عن حسني عبد الجليل فقد قال: «إن القول بأن جملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب قول بعيد عن الصواب -لما قلنا- ولأن جملة جواب القسم مستقلة قائمة بذاتها بدليل حاجتها إلى رابط يربطها مع جملة القسم، ومن ثم فهي بعيدة عن مماثلة الحرف من حيث نقصانه المعنوي... وسواء أكان القسم جملة فعلية أو اسمية فهو في محل رفع على الابتداء؛ لأن الجملة هنا في مقام المفرد لحاجتها إلى تمام الفائدة بالإسناد وليس بالسبك والتركيب» (حسني، ٢٠١٠م، ص١١١). وهذا كلام لا دليل فيه على استحقاقها محلا من الإعراب، فكونها مستقلة بذاتها يدل على خلاف ما ذهب إليه من كونها معربة، وكونها بعيدة عن مماثلة الحرف لا يعني استحقاقها للإعراب إذ مناط إعرابها إمكان حلولها محل المفرد، كما تقدم.

٥.الاستدلال بالخلاف

١.استدل الباحث على ترجيح ما يذهب إليه بوجود الخلاف في بعض المسائل، ولا يصح أن يجعل الخلاف في منزلة الدليل، إذ إنه حكاية آراء تفتقر في إثباتها إلى أدلة، وقد نصَّ بعض الأصوليين والفقهاء على أن الاختلاف ليس بحجة، ولا فرق بين العلوم في تحقق هذه القاعدة وصدقها، فهي قاعدة عقلية منطقية، قال ابن عبد البر :«الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة إلا من لا بصر له ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله» (ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١٩٩٤م، ٩٢٢/٢)، وقال الزركشي: «اعلم أن عين الخلاف لا ينتصب شبهة ولا يراعى بل النظر إلى المأخذ وقوته» (الزركشي، البحر المحيط، ١٩٩٤م، ٣١١/٨). هذا، وقد احتج الباحث بالاختلاف في هذه المواضع من كتابه:

استدل الباحث باختلاف النحاة في تسمية واو الحال -مطيلا في نقل ذلك عنهم- على أن ورودها في الجملة الحالية ليس شرطا فيها، وإن كانت جملة مبدوءة بمضارع مثبت، قال: «واختلاف النحاة في توجيه هذه الواو يجعل ورودها في الجملة الحالية وعدمه ليس شرطا أساسا في توجيه الجملة على أنها حال..» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٤٥). فكيف يكون الاختلاف في التسمية دليلا على عدم وجوب اقترانها بالمضارع المثبت في جملة الحال؟!

٢.وفي نقاشه للجملة الاعتراضية ذكر بعض الآيات القرآنية التي اختلف النحاة في توجيه بعض الجمل فيها أهي حالية أم اعتراضية، وجعل اختلافهم دليلا على عدم الفرق بينهما، قال: «واختلافهم في توجيه هذه الآيات دليل على أنه لا يوجد فرق بين الاعتراضية والحالية لا في الموقع المكاني ولا في الموقع الاعرابي» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٤٧-٢٤٨)، ومع بطلان هذا الاستدلال لأنه احتجاج بوجود الخلاف، تجدها مواضع منتقاة، فليس الأمر مطردا في كل جملة اعتراضية أن يوجد القول بأنها حالية، ولو طردنا القول بالاستدلال على أن الخلاف في توجيه جملة ما يجعلها شيئا واحدا، فهذا يلزم منه ما لا يقول به الباحث نفسه، فلو أخذنا أول مثال ذكره وهو قوله تعالى: (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا) [المائدة: ٢٣] فسنجد أن جملة أنعم الله عليهما وجهت على أنها صفة أو حال على إضمار قد أو اعتراض، فهل يلغي أيضا جملة النعت بناء على وجود جمل اختلف فيها أهي نعت أم حال، وأيهما يغلب هنا فيصف الجملة به؟!

ثم إن إعرابه بعض الجمل توكيدا مخالف لما عليه النحاة من كون التوكيد إما لفظيا وإما معنويا فاللفظي يشمل المفردات والجمل، أما المعنوي فهو بألفاظ معينة ليس فيها جمل، وكذلك إعراب الجمل بدلا مخالف لما عليه جمهور النحاة وإن كان قولا قيل به، وليس هذا استدلال على بطلان القول وإنما بيان لحقيقته مقارنة بأقوال النحاة.

٣.وفي مناقشته للجملة التفسيرية ذكر أن اختلاف النحاة في كثير من الجمل المفسرة على أقوال دليل على افتقارهم إلى معيار معين يحتكمون إليه في تحديد مواقع الإعراب لهذه الجمل، ثم ذكر أمثلة كثيرة مما اختلف النحاة في توجيهه من آيات القرآن، ثم رأى أن التفسيرية يمكن أن تعرب بدلا أو حالا (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٥٧-٢٦٣). فلا يمكن أن يستدل بذات الاختلاف على أنّ أحد القولين هو الصحيح، والاختلاف في الأمثلة التي اختلفوا فيها راجعٌ -في كثير من الأحيان- إلى أن عبارات القرآن حمالة أوجه، ومنها ما هو قابل للمناقشة والترجيح. على أنه مع كل ما سبق يمكن إعراب كثير من الجمل على الرأي القائل بأنها تابعة لما قبلها في الإعراب، وهو رأي سائغ، غير أن إطلاق القول بإعرابها يصطدم بالأمثلة التي لا تقبل ذلك حيث لا تحل محل المفرد.

٤.وذكر في نقاشه للجملة المستأنفة نحويا أمثلة كثيرة يمكن أن تعرب فيها بدلا أو حالا، وذكر اختلاف النحاة في توجيه تلك الأمثلة، أو احتمالهم الوجهين فيها، ليصل إلى أنّ الجملة المستأنفة معربة لإمكان إعرابها حالا أو بدلا (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٣٠-٢٣٥)، وهذا كله احتجاج بالاحتمال أو الخلاف في إعراب الجمل المستأنفة، ولو فرضنا أن الصواب في تلك الجمل جميعا إعرابها بدلا أو حالا، فماذا يفعل بالجمل التي لا تحتمل هذين الوجهين من الإعراب؟ ثم إن اختلاف النحاة في توجيهها يتبعه اختلاف في المعنى الدقيق للجملة، وهذا يذهب حين نجعلها معربة على قول واحد، واختلاف النحاة في توجيهها إقرار بمذهبهم في الجملة الاستئنافية لا نفي له.

٦.إطالة الاستدلال بما لا علاقة له بالموضوع

مما درج عليه الباحث في بحثه هذا إطالة الكلام بما يوهم أنه أدلة -وقد يكون مقتنعا بتوهمه هذا- وهو في الحقيقة

حشو لا علاقة له بموضوع الإعراب، وخذ مثالا على ذلك هذا النص -وهو من فقرة واحدة متصلة لكني جعلته على صورة فقرات للتوضيح-:

« - فالجملة المستأنفة هي جملة جديدة في سياق الكلام تعامل معاملة الجملة التي قبلها كونها مؤلفة من مسند ومسند إليه أو العكس.

-وهي كذلك جملة مفيدة لم تركب هذا التركيب ولم توضع في هذا الموضع إلا لأمر أراد المتكلم توصيله إلى ذهن المتلقي.

-فالجملة ليست عنصرا مجتزأ ومنفصلا عن السياق، ولكنها عنصر فعال في السياق ترتبط بالمتكلم والمخاطب.

-فهي جملة مفيدة في الكلام وإلا لا وجه للحديث عنها؛ لأنها حينئذ تكون لغوا لا قيمة له ولا وجه لإعرابه»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٨).

فكل هذه المعلومات التي أتى بها لا علاقة لها بموضوع الإعراب، ولا ينكر هذه المعاني التي ذكرها النحاة القائلون إن الجملة الاستئنافية لا محل لها من الإعراب، ولا يرون ما ذكره مانعا من كونها لا محل لها من الإعراب، ولا يلزم من ذلك إطلاقا أنها ليس لها معنى مفيد كما توهم الباحث، وأكد ذلك مرة أخرى في قوله: «وعليه لو قلنا إن الجملة الاستئنافية لا محل لها من الإعراب فنحن بذلك نقرّ أن الكلام يتضمن كلاما غير مفيد ولا يرتبط بما سبقه لا من حيث المعنى ولا من حيث اللفظ»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٩).

وذكر بين هذين النصين أنه يتبين له من النص الأول أن الجملة المستأنفة لا محل لها من الإعراب، لأمرين: وهما «أن الكلام المفيد لا بد أن ينتظم في جمل مفيدة، ... وأن القطع الذي حدث في سياق الكلام بين الجمل المستأنفة والجملة السابقة عليها إنما هو قطع ظاهري...إلخ»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٩)، وما هو إلا تكرار ممل لموضوع الارتباط المعنوي بين الجمل في الكلام وهو موضوع بلاغي لا علاقة له بإعراب الجمل وليس ينكره أحد من النحاة.

٧.إهمال مناقشة المسألة بالانتقال إلى غيرها

مما يؤخذ على منهج الباحث في الاستدلال إعراضه عن مناقشة المسألة التي هي محل البحث وانتقاله إلى غيرها حين لا تتفق مع الرأي الذي يتغياه، ويظهر هذا في مسألتين هما من المسائل المهمة في مناقشة مسألة الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

١.فقد بدأ الباحث بذكر الجملة الابتدائية، وبعد أن ذكر المصطلح واتفاق النحاة على كونها لا محل لها من الإعراب، ختم بجملة لا محل لها في القضية فقال: «والذي يراه الباحث أن الجملة الابتدائية لا ينبغي النظر إليها نظرة نحوية، وإنما ينظر لها نظرة بلاغية من كونها إنشاء أو خبرا»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٩٢)، فالتصنيف النحوي للجملة من حيث محلها الإعرابي مسألة، وتصنيفها البلاغي من حيث الخبر والإنشاء مسألة أخرى، ولا تلغي إحدى المسألتين الأخرى، ولكل فائدته العلمية وثمرته المعنوية، فلا معنى للتهرب من انعدام محلها الإعرابي إلى مسألة أخرى إلا الانصياع غير الموضوعي إلى محاولة الرضوخ إلى فكرة تحميل جميع الجمل محلا من الإعراب، وهذا الإهمال للمسألة موضع البحث يكشف مأزق هذا الرأي.

وفي مقدمة للفصل الثالث كرر بيان مأزقه من الجملة الابتدائية، فقال: «لأنها جملة في بداية الكلام فيصعب تأويلها بمفرد على القاعدة المشهورة من جهة التركيب، وأما من جهة المعنى فإن الجملة الابتدائية تفيد فائدة بلاغية من حيث تصنيفها أهي خبر أم إنشاء»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٣)، وهذا خلط بين مسألة الإعراب ومسألة الفائدة البلاغية، وهو هروب من الحكم الواضح والصفة اللازمة للجملة الابتدائية أنها لا محل لها من الإعراب.

٢.وفي نقاشه الجملة الاستئنافية ذكر أنَّ الاستئناف بسوى الواو استئنافان بياني ونحوي، وأن البياني لا يعنيه فهو يأتي لأغراض بيانية، وقد تناولها البلاغيون في علم المعاني (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٢٦-٢٢٧)، وهنا يظهر مرة أخرى المأزق الذي وقع فيه عند ذكره لإعراب الجملة الابتدائية، فهذه الجملة المستأنفة بلاغيا هي أيضا داخلة في الاستئناف النحوي، وأهمل إعرابها بالانتقال إلى النظر إليها بلاغيا، فماذا سيعرب مثلا قوله تعالى: (قال إنا منكم وجلون)، في الآية: {فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ} [الحجر: ٥٢] وعلى ذلك فقس آلاف الأمثلة.

٨.الاعتراض على النحاة بما لا اعتراض فيه

اعترض الباحث على النحاة على مسائل لم يصح اعتراضه فيها، ومنها:

- أنه ذكر أنهم أسهبوا في الجمل التي لها محل من الإعراب وفي ذكر وظائفها ودورها البلاغي والدلالي، أما التي لا محل لها من الإعراب فبقيت غفلا دون دراسة ودون بيان لوظائفها ودورها في الكلام الواردة فيه. (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٥-١٦) فاعتراضه هنا على كونهم لم يبحثوا دلالات الجمل التي لا محل لها من الإعراب ولا وظائفها البلاغية فهذا اعتراض على عدم اشتغالهم بشغل غيرهم، فهذه وظيفة البلاغيين، وإن كان الدرس اللغوي في نشأته الأولى ابتدأ متكاملا يشمل النحو دلالته وبلاغته، لكن ثقله كان على الجانب النحوي الذي تجرد بعد ذلك عن غيره، وهذا قد يجعل للاعتراض وجها مقبولا لأجل أن يزداد الاهتمام بدراسة ما لم يدرس لا من أجل تغيير حقيقتها أنها لا محل لها من الإعراب، وهو جنوح مفرط لوصفها بغير صفتها يقابله تفريط من جعل الجمل جميعا لا محل لها من الإعراب. (إبراهيم السامرائي، ١٩٦٦م، ص٢٣١، الخالدي ٢٠٠٥م، ص٢٠-٢٢.)

- ما ذكره في حديثه عن الجملة الاستئنافية والابتدائية -بعد أن ساق الأغراض البيانية التي تفيدها متداخلا بعضها في بعض- عن إهمال النحاة تناول أغراض الاستئناف (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٠٦)، وهو نقد في غير محله، لأن ذكر الأغراض البلاغية مهمة البلاغي لا النحوي، فكيف كيف نلوم النجار على إهماله الحدادة؟!

- اعتراضه على النحاة بأنهم «نظروا إليه -أي الاعتراض-

من زاوية بلاغية فقط، ولم ينظروا إليه نظرة شمولية تقف عند اللفظ ثم عند المعنى الذي يعبر عن حال المعترض»(الكندي، ٢٠٢١م، ١٢٠)، وليت شعري ما الذي يريد أن يكلف به النحاة هنا بعد أن كلفهم من قبلُ الكلام عن البلاغة، فلما ذكروا طرفا منها اتهمهم بالتقصير حين اقتصروا على الجانب البلاغي وأنهم أهملوا النظرة الشمولية! فأي نظرة شمولية يقصد؟ إنهم يتكلمون عنها من حيث المحل الإعرابي لا غير، وما زاد عن ذلك فهو استطراد ونافلة، قال: «ولم يتحدثوا كثيرا عن الأغراض اللغوية للجملة الاعتراضية»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٢٢)،وقد سبق التنبيه على هذا المصطلح.

٩.التناقض في عرض بعض القضايا

١.سمى الباحث كتابه (الجمل التي لا محل لها من الإعراب)، وهذا العنوان يقتضي إقراره بالجمل التي لا محل لها من الإعراب.

وكذلك عنون مبحثا في الفصل الأول بـ(الجمل التي لا محل لها من الإعراب)، وكذلك فعل في الفصل الثاني في مبحث بعنوان (آراء النحاة في الجمل التي لا محل لها من الإعراب)، وهذا قد يَرِدُ عليه أن هذه العناوين عقدها الباحث على ما درج عليه النحاة، وعلى ما اشتهر من وصفها بذلك، لا لإقراره بأنها لا محل لها من الإعراب، وهو إيراد قويّ، لكن يشكل عليه أن الباحث رأى في الفصل الأول من الكتاب أن الجمل التي لا محل لها من الإعراب سبع جمل (الكندي، ٢٠٢١م، ص٨٤)، وقد كرر رأيه بأنها سبع جمل في خاتمة كتابه أيضا، وهذا لا يتَّسق مع نقده مذهب النحاة في عدّهم هذه الجمل لا محل لها من الإعراب، فهو لم يأل جهدا في تقرير محلٍّ إعرابي لها، فكيف يقرر أصلا ويبني على خلافه فروعا، إذ يلزم من إثبات إعراب هذه الجمل جميعها أو أكثرها عدم عدها في الجمل التي ليس لها محل من الإعراب، لكنه فعل ذلك رغم إنكاره الشديد لكونها لا محل لها في مباحث الكتاب، وذكره في الخاتمة المحل الإعرابي الذي قرره لتلك الجمل.

٢.ذكر الباحث في مقدمته للكتاب -في سياق الإقرار- أن كثيرا من الدارسين يرون أن النحاة أهملوا دراسة الجملة فلم يعطوها حقها من الدراسة.

وذكر أن اهتمامهم بالجملة تبلور في القرن الثامن الهجري، ثم ذكر أنهم أسهبوا في الجمل التي لها محل من الإعراب وفي ذكر وظائفها ودورها البلاغي والدلالي، أما التي لا محل لها من الإعراب فبقيت غفلا دون دراسة ودون بيان لوظائفها ودورها في الكلام الواردة فيه. (الكندي، ٢٠٢١م، ص١٥-١٦).

وبعد أن ذكر هنا إهمال النحاة لدراسة الجملة، قال بعد صفحات: «يعد موضوع الجملة من المباحث المهمة في الدرس النحوي، وقد احتل منزلة كبيرة في اهتمام العلماء القدماء والمحدثين... لذا كانت عناية العلماء بها -على اختلاف توجهاتهم- كبيرة ومتباينة»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٤)! ثم نقضه بمثل الكلام الأول في أكثر من موضع (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢١٦).

٣.ومما يناسب أن يذكر في موضوع التناقض اعتراض الباحث على النحاة عند كلامه عن مفهوم الصلة والموصول، فقد ختم كلامه باعتراضه عليهم في مجيئهم بما يشبه التناقض -حسب تعبيره- في جعلهم الصلة والموصول كالكلمة الواحدة، مع إجازتهم الفصل بينهما بالقسم أو النداء أو الجملة الاعتراضية (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠٠)، وليس فيما قالوه تناقض، فإنهم يقررون لهما ما ثبت عن العرب فيهما وما تقتضيه حقيقتهما، فهما كالكلمة الواحدة من حيث المعنى وبعض الأحكام، ومع ذلك فكلٌّ منهما مستقل ببعض الصفات فالصلة كلمة مستقلة اللفظ لها أنواعها وخصائصها والصلة جملة مستقلة لفظا لها أنواعها وخصائصها، وجاز ما جاز من الفصل بينهما مراعاة لهذا الاستقلال، والفيصل في القضية النقل عن العرب.

١٠.أمثلة على مناقشة بعض المسائل

وأختم بمناقشة بعض المسائل المتفرقة في الكتاب ليتبين من خلالها جانب من طريقة استدلال الباحث في الكتاب، ولبيان تلك المسائل.

١.مناقشة في محل الجملة الاعتراضية

ذكر المؤلف كلام النحاة في كون الجملة المعترضة ليس لها محل من الإعراب، وعقّب ذلك بكلام صاحب كتاب إعراب النص، حيث ذهب إلى «أن الاعتراض الحقيقي اعتراض بالحال، وأن ما جاء مخالفا لذلك ليس اعتراضا على الإطلاق، وإنما هو من متعلقات الجملة التي تتقدم تبعا لتصرفات المنشئ» (حسني، ٢٠١٠م، ص٨٨)، وذكر أنه جعل الجملة الاعتراضية الدعائية جملة حالية، ونقل عنه مثالا «إن الثمانين -وبلغتها- قد أحوجت سمعي إلى ترجمان فجملة وبلغتها فيها ضمير يعود على المخاطب، وتدل عليه، وفيها ضمير يعود على الثمانين، وعلى هذا يكون التقدير: اعلم أن الثمانين مدعوا لك ببلوغها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان»(حسني، ٢٠١٠م، ص٩٥). ثم ذكر ناقلا عنه أيضا أن الاعتراضية المصدرة بـ»لن» حالية أيضا ومثل لها بقوله تعالى: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ) [البقرة: ٢٤]، «فإن المعنى: وأنتم عاجزون عن الفعل في الحال والاستقبال» (حسني، ٢٠١٠م، ص٩٥).

ثم ذكر تفريق النحاة بين الحالية والاعتراضية، ثم قال: «كما أن الجمل الاعتراضية تقتصر على الجمل الخبرية (كذا، ولعله يقصد: غير الخبرية) كالأمرية والدعائية والقسمية وغيرها، ولكن يمكن القول بما تتصل الجمل غير الخبرية في الجمل بالمقام أم بالحال أم بالمتكلم الذي يأتي اعتراضه معبرا عن حال يتصل به؟»(الكندي، ٢٠٢١م، ص١٢٠)، ولعله يقصد بهذه الجملة -المضطربة- أنه يمكننا وصف الجملة الاعتراضية من حيث اتصالها بالمقام أو الحال أو المتكلم، ولا فائدة لهذا الكلام في تصنيف الجملة من حيث محلها الإعرابي.

أما ما سبق من أمثلة فإعرابها حالا مردود، أولا: لوضوح أمرها في كونها جملا اعتراضية، ثانيا: إن سلمنا بإمكان إعراب بعض الجمل المعترضة حالا فهذا لا يطرد فيها

جميعا، فلو قال قائل: إن الثمانين -أطال الله في عمرك- قد أحوجت نفسي إلى ترجمان، فكيف ستعرب حالا، ولا صاحب للحال ولا ضمير يعود إلى المتكلم ولا إلى الثمانين؟ وكذلك لا يستقيم إعراب الجملة الاعتراضية في الآية حالا، لاختلاف المعنى، فكيف نؤول الجملة وإن لم تفعلوا -وأنتم لستم بفاعلين في المستقبل- أو حالة كونكم غير فاعلين في المستقبل، هكذا سيكون التقدير على منوال تأويل جمل الحال؟! ثالثا: إن المعنى بين جملة الحال والاعتراض ليس شيئا واحدا بل لكلٍّ معناه المختلف، وحين يريد المتكلم أيَّ معنى منهما فإنه يأتي بالجملة الدالة عليه.

ثم تعرّض للفروق التي ذكرها النحاة بين الاعتراضية والحالية، فذكر النحاة أن مما يميز الاعتراضية عن الحالية أنها: تكون غير خبرية، ويجوز تصديرها بدليل استقبال، ويجوز اقترانها بالفاء، ويجوز اقترانها بالواو مع تصديرها بالمضارع المثبت (ابن هشام، مغني اللبيب، ٥١٦/٢-٥٢٠)، ثم سعى إلى نقض هذه الفروق وخلص من ذلك إلى أنه لا فرق بين الجملة الاعتراضية والحالية، وأن الاعتراضية بالواو تعرب حالا مؤكدة، وأنها بدون واو تعرب توكيدا للجملة قبلها أو بدلا منها، ثم ساق مواضع من آيات اختلف النحاة في توجيهها بين حالية واعتراضية، وجعله دليلا على أن لا فرق بينهم (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٤٠-٢٤٩).

فأما محاولته نقض الفروق المميزة للاعتراضية من الحالية فهي محاولة وقع فيها في إشكالات منهجية، ولا يسلّم له منها بشيء، فقد جاء بثلاثة أمثلة جوز فيها بعض النحاة مجيء الخبر جملة إنشائية، وكلها مردود عليها ويتضح للناظر فيها عدم صواب الاحتجاج بها، وهي أمثلة ذكرها عبد السلام هارون في كتابه الأساليب الإنشائية، معترضا على الاحتجاج بها، وخذ مثالا على ذلك ما ذكره من تجويز الفراء (٢٠٧هـ) وقوع جملة الأمر حالا، مستدلا بقول أبي الدرداء: «وجدت الناس اخبُرْ تقْلِهْ» (السيوطي: همع الهوامع، ٣٢٠/٢)، وقد علق عليه عبد السلام هارون بقوله: «ولا عبرة بهذا المذهب؛ لأن الكلام فيه محمول على تقدير القول» (عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، ١٩٧٩م، ص٨٥)، وهذا التعليق لم ينقله الباحث -بل اكتفى من النص بما يخدم غرضه- فضلا عن التعقيب عليه. مع أن قول الفراء هذا لا يلزم منه نقض بقية الفروق بين الجملتين، فضلا عن دلالته أنه لا فرق بين الاعتراضية والحالية، بله أن يقول إن للاعتراضية محلا من الإعراب، وعلى ذلك فقس الكلام في بقية الأمثلة.

ثم ذكر أن الاعتراض بالشرطية مثل الحال في المعنى، فقولك أنت إن اجتهدت ناجح، معناه أنت مجتهدا ناجح، نقلا عن صاحب كتاب إعراب النص، وفي هذا إلغاء للفرق المعنوي بين الحال والشرط، واكتفى بهذا عن ذكر جواز تصدير الاعتراضية بغير الشرط مما يدل على الاستقبال كالتنفيس ولن (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٤٢).

وأما جواز اقترانها بالفاء فنقل فيه نصا لصاحب كتاب إعراب النص من غير تعليق عليه، يردّ فيه شواهد النحاة في الجملة الاعتراضية المقترنة بالفاء لأنها ليست اعتراضية عنده لكون الاعتراض لا بد أن يكون جزؤه الأول طالبا للثاني لفظا ومعنى، ممثلا بالبيت واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا، قال: «لأن قوله: واعلم فعلم المرء ينفعه، يمكن أن يكون: واعلم أن سوف يأتي كل ما قدرا فعلم المرء ينفعه» (حسني، ٢٠١٠م، ص٨٣)، وهو استدلال غير صحيح، فإمكان تأخير الاعتراض عن المتلازمين ليس دليلا على أنهما غير متلازمين وأن الأول لا يطلب الثاني لفظا ولا معنى، فقولك: أنت -حفظك الله- مثابر، يمكن أن تؤخر فيه الجملة فتقول: أنت مثابر حفظك الله.

ثم تطرق إلى جواز اقتران الاعتراضية بالواو مع تصديرها بالمضارع خلافا للحالية، فذكر أن هذا الشرط تتفق فيه الاعتراضية مع الحالية، ومثل لذلك بشاهد ذكره ابن هشام: شجاك -أظن- ربع الظاعنينا .. فالمضارع هنا لم يصدر بالواو (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٣٤)، وهو استدلال باطل أيضا، فالنحاة قالوا بجواز اقتران الاعتراضية بالواو لا بوجوبها، فلا يقدح في تفريقهم مجيء شواهد للاعتراضية غير مصدرة بالواو ولو بلغت ألوفا.

وكان جديرا به هاهنا أن يستدل بما ورد عن العرب من جمل الحال التي مضارعها مثبت وقد بدئت بالواو، وقد تأولها النحاة على إضمار مبتدأ بعد الواو (حسني، ٢٠١٠م، ص٨٣)، وذلك كقولهم: «قمت وأَصُكُّ عينه»، وكقول الشاعر: [من المتقارب]

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنُهم مالكا.

ومع ما سبق كله من عدم صحة انتفاء هذه الفروق بين الاعتراضية والحالية، فإنه إن سُلِّمَ بصحتها فإن ذلك ليس كافيا في الاستدلال على أنه لا فرق بينهما، ولا يقتضي أن تعرب الاعتراضية حالا، ذلك لأن هذه الفروق كلها أحكام لفظية، أما الفرق المعنوي فإنه قائم بذاته كافٍ في الدلالة على الفرق بينهما.

ثم ذكر أن الجملة الاعتراضية تتفق مع الحال المؤكدة في المفهوم، وهو أن «الاعتراض الحقيقي ما جاء بين ركنين أساسين مجيئا لا يصح فيه تأخيره مع بقاء دلالته» (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٤٦، نقلا عن إعراب النص، حسني، ٢٠١٠م، ص٨٥)، ولا أدري ما الاتفاق الذي يقصده هنا مع ما في هذا الكلام من نظر. فإن كان يقصد المعنى فهو مختلف فالحال المؤكِّدة لمعنى الجملة متضمَّنة في معنى الجملة بخلاف الاعتراضية التي تأتي بمعنى زائد قد لا تدل عليه الجملة، وإن دلت عليه مؤكدة له فليست خالية من معنى جديد تضيفه إلى الجملة، على أن القياس بينهما فاسد بأكثر من ذلك فالحال المؤكدة تأتي متأخرة لزوما خلافا للاعتراضية، وهي مفرد والاعتراضية جملة.

٢. مناقشة في محل الجملة التفسيرية

تطرق الباحث إلى بيان البلاغيين لوظيفة الجملة التفسيرية في السياق، وأنهم أشاروا إلى الموقع الإعرابي، فقد جعل القزويني مثلا تمام الاتصال بين الجمل بأمور ثلاثة، أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، أو بدلا منها، أو بيانا لها بأن تنزل منها منزلة عطف البيان -وهذه الثالثة لم ينقلها

الباحث- (القزويني، دزت، ٣/١١٤-١١٧). وهذا يحتمل أمرين الأول أن يقصد القزويني بمصطلحات النحاة هنا إيضاح المعنى لا الإعراب، والثاني أنه يقصد أنها تعرب كذلك، على خلاف رأي الجمهور.

ثم ذكر الباحث أن ابن هشام اشترط فيها أن تكون فضلة احترازا عن دخول الجملة المفسرة لضمير الشأن وعن الجملة المفسرة في باب الاشتغال، وعقّب عليه بأن ابن هشام خرج عن الضوابط المعتمدة في إعراب الجمل إلى ضابط آخر، وهو انعدام القصدية في الجملة التفسيرية، وينكر عليه عدم اشتراط هذا الشرط في غيرها من الجمل التي تتوقف فائدة الكلام عليها كجواب الشرط والقسم (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٥٣).

والحقيقة أن تقييد ابن هشام الجملة التفسيرية بأن تكون فضلة ليس خروجا عن ضابط النحاة في إعراب الجملة، بل هو تأكيد على هذا الضابط، فإن إخراج تلك الجمل لكونها تحل محل المفرد، وبهذا يسلم ضابط النحاة، على أن الجملة المفسرة لضمير الشأن خارجة بدون هذا القيد لكونها مفسرة ضميرا لا جملة. وأما عدم اشتراطه القصدية والعمدية -بتعبير الباحث- في جواب القسم والشرط فإن الضابط ليس ذلك في إعراب الجمل بل قبولها أن تحل محل المفرد.

ومناقشة لخلاصة ما ذكره، فإنّ إعراب التفسيرية المسبوقة بـ(أن) بأنها في محل جر بحرف باء محذوف فمقبول وقد قيل به وله نظائر، أما إعراب المسبوقة بأي بدلا فمتجه عند من أجاز كون الجملة بدلا وهو ما يقول به الباحث هنا، لكن النحاة القائلين بذلك لا يطلقون إطلاقه هذا، فلو قدرنا مجيء أي بعد الجملة الابتدائية، فهل نعرب ما بعدها بدلا منها وهي لا محل لها من الإعراب؟ أما استدلاله باختلاف النحاة فقد سبق أنه لا دليل في الاختلاف.

٣. مناقشة في محل جملة جواب الشرط

وفي حديثه عن جملة جواب الشرط اعترض على تفريق النحاة بين جملة الجواب المقترنة بالفاء أو إذا الفجائية في الإعراب إذا كانت جوابا لأداة شرط جازمة، وذكر أنه لا فرق بين الجملتين في الإعراب، لأنه لا معنى للتأويل بمفرد في هذا السياق (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٨١)، وقد أجاب النحاة عن هذا التساؤل، وبيّنوا الفرق بينهما وهو أن الجواب إن كان خاليا عن الفاء أو إذا فإن الجزم يظهر في لفظ الفعل أو في محله (الخضري، ١٩٧٨، ١٢١/٢)، ويظهر أثر هذا الإعراب في توابعها (عباس حسن، د.ت، ٤٢٩/٤) أما قضية تأويلها بالمفرد هنا فقد ناقشها النحاة -وقد نقل الباحث ذلك أيضا-، وإن سُلّم بقول من يقول إنها لا تحل محل المفرد، فهذا يجعلها لا محل لها من الإعراب كما قال بذلك الدماميني والشمني (الخضري، ١٩٧٨، ١٢١/٢)، فهو حجة للقائلين بعدم إعرابها لا العكس.

ثم إن الباحث ناقش رادًّ قول من قال إن جملتي الشرط وجواب الشرط هما الخبر، وقول من قال إن جملة الشرط هي الخبر، ليبقى قول من قال إن جملة الجواب هي الخبر (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٨٣-٢٨٦)، وهو قول وجيه، إلا أنه خاص بما إذا كانت أداة الشرط مبتدأ، فلا يعني ذلك أن جملة الجواب في كل موضع هي كذلك، وهذا واضح.

٤. مناقشة في محل جملة صلة الموصول

ومما ذكره هنا أن المحدثين من النحاة على رأيين (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠٤). الأول هو ما يوافق رأي الجمهور من أن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب، والثاني يرى أن جملة الصلة مع موصولها جملة واحدة هي جملة وصفية لها وظيفتها في الكلام، ثم ذكر أنه قول شوقي ضيف، وذكر نص كلامه بلا إحالة، وهو قوله: «وضعت جملة الصلة في الجمل التي لا محل لها من الإعراب وهو وضع غير دقيق منطقيا، لأن الاسم الموصول في مثل: (أقبل الذي حاضرنا أمس) لا يفهم معناه، ولا يتم إلا مع ذكر صلته فهي تلزمه لزوم المبتدأ من الخبر والنعت من المنعوت، وكان ينبغي أن توضع في طائفة الجمل التي لها محل من الإعراب هو نفس محل الاسم الموصول»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠٥)، وهو رأي شذّ عن قول النحاة متقدميهم ومتأخريهم، وما استدل به ليس بدليل، فإن كون الكلمة مبهمة لا يتم معناها إلا بغيرها لا يجعل لغيرها محلها من الإعراب، ثم إن قياسه غير صحيح فالمبتدأ مفهوم معناه ويسند إليه الخبر فيتم معنى الجملة، ولا كذلك الصلة مع الموصول، والمنعوت واضح المعنى ويزيده النعت وضوحا، أما الموصول فمبهم لا يتضح إلا بالصلة، ثم إن المعيار في إعراب الجمل كونها تحل محل المفرد لا ما ذكره مما لا ضابط له.

أما أن يكون إعرابها هو إعراب الاسم الموصول، فإن كان يقصد أنهما معا في محل إعرابي واحد فهو قول قيل به، ويرده ظهور علامة الإعراب في الموصول في بعض الأمثلة، وإن كان يقصد بأن للصلة محلا آخر مطابقا لمحل الموصول فهو خطأ واضح، فهل يعرب صلة الموصول الذي هو فاعل فاعلا فيكون في الجملة فاعلان؟ وهل يعرب صلة الموصول الذي هو مفعول به مفعولا به، فيكون للفعل المتعدي إلى فعل واحد مفعولان؟ وعلى ذلك قس من لوازم بطلان هذا الإعراب.

ثم ختم الباحث بخلاصة يرى فيها «أن جمهور النحاة من القدماء والمحدثين وقعوا في إشكال كبير حين عدوا جملة الصلة لا محل لها من الإعراب»(الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٠٩)، وعلل ذلك بـ:

إقرارهم أن الصلة والموصول بمنزلة الاسم الواحد، وهذا دليل عليه لا له، إذ إنه لا محل لجزء الاسم من الإعراب، فكلمة زيد لا يمكن أن يقال بأن لأحد حروفها محلا من الإعراب، ثم إن مناط إعراب الجمل قبولها أن تحل محل المفرد، ولا يحل المفرد محل جزء من المفرد، ثم إنهم يذكرون هذا بيانا للمعنى لا للإعراب.

وكرر الباحث كلامه مطيلا عن أن الموصول وصلته كالكلمة الواحدة (الكندي، ٢٠٢١م، ص٢٩٥-٢٩٦)، وهذا صواب من حيث المعنى إلا أن الإعراب يظهر في الموصول في التثنية وفي أيّ وفي الذين على لغة من يرفعها بالواو، وهذا يبطل القول بأنهما جميعا في محل إعرابي، ولهذا نظائر كثيرة في النحو، أي أن تظهر الحركة الإعرابية في

الكلمة والمعنى لا يتم بها، وذلك كالحال في قولهم ادخلوا الأول فالأول أو اشتريته يدا بيد، فالنصب ظاهر في الكلمة الأولى وتعرب حالا ومعنى الحال لا يتم إلا بما بعدها، بل هذا في المبتدأ والخبر أيضا، فتقول :الناجحان زيد وعمرو، فتعرب زيدا خبرا وتظهر فيها علامة الرفع مع أن معنى الخبر لا يتم إلا بالمعطوف بعدها، وهكذا غير ذلك من الأمثلة.

خاتمة

مما سبقت مناقشته يتضح أن كتاب (الجمل التي لا محل لها من الإعراب) الذي ناقش مسألة مهمة من مسائل النحو، واجتهد مؤلفه في تتبع أقوال النحاة من المتقدمين والمتأخرين، وفي جمع الأدلة ومناقشتها؛ به إشكالات منهجية وعلمية تقدح في أغلب النتائج التي توصل إليها الكاتب، وتجعل رأي صاحبه في فكرة الكتاب الأساسية وهي إيجاد محل إعرابي للجمل التي ليس لها محل عند النحاة ما عدا الابتدائية رأيا ضعيفا لا يقوى على أن يقوم بالاستدلالات الهشة والمضطربة أمام ما استقر عليه النحاة من القول بأنها لا محل لها من الإعراب، وقد تبين بهذا البحث من مشكلات الكتاب المنهجية أيضا:

حصول لبس في فهم المصطلحات والتخليط بينها أحيانا، وظهر ذلك في المصطلحات الآتية: (العمدة والمسند والمسند إليه، الجملة التفسيرية، الجملة الاستئنافية، خبر الجزاء، الأغراض البلاغية، الحشو، المبهم).

الخطأ في نسبة الأقوال إلى جماعة من النحاة من المتقدمين والمتأخرين، وقد تكرر هذا في مواضع منها ما نسبه إلى سيبويه من عدم التفرقة بين جمل جواب الشرط مما له محل وما ليس له، ومنها ما نسبه إلى الصبان والسامرائي في جملة جواب القسم، وما نسبه إلى الزمخشري والشلوبين في مصطلح الجملة التفسيرية، وما نسبه إلى بعض النحاة منهم سيبويه من القول بإعراب صلة الموصول، وغير ذلك.

عدم فهم النصوص وسوقها على أنها أدلة لشيء ما وهي لا تدل عليه، وهي ظاهرة متكررة في الكتاب، ولها أمثلة كثيرة.

ضعف الاستدلال والاضطراب فيه، كالخلط بين موضوع إعراب الجمل وإفادتها في دلالتها على المعنى، والاستدلال على صحة رأي ما بوجود الخلاف في المسألة أو المثال، وتردده في قاعدة أن الجملة محلها الإعرابي مرهون بحلولها محل المفرد، ولم يأت ببديل صالح يقوم مقامها وهي جوهر الموضوع، وتناقضه عند عرضه بعض المسائل، وإهمال مناقشة بعض المسائل محل البحث بالانتقال إلى مسألة أخرى كما فعل في محل الجملة الابتدائية وقسم من الجملة التفسيرية.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني الجزري، (١٤٢٠هـ)، البديع في علم العربية، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، ط١.

ابن الخباز، أحمد بن الحسين، (٢٠٠٧م)، توجيه اللمع، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – مصر، ط٢.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل، (د ت)، الأصول في النحو: تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر – تونس.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، (٢٠٠٥م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، (١٩٩٠م)، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد - محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، (١٣٨٣هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١١.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، (١٩٨٥م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط٦.
ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، (٢٠٠١م)، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١.
أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، (١٩٩٨م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١.
البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط١: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٩٩٧م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤.
جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق، أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – السعودية، ط١: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣.
حسني عبد الجليل يوسف، (٢٠١٠م)، إعراب النص، الصحوة للنشر والتوزيع، ط١.
الخالدي، كريم حسين، (٢٠٠٥م)، نظرات في الجملة العربية، دار صفاء، عمّان، ط١.
الخضري، محمد، (١٩٧٨م)، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، ، دار الفكر بيروت.
الخليلي، أحمد بن حمد، (٢٠١٧م)، صيحة إنذار وصرخة استنفار، الكلمة الطيبة، سلطنة عمان مسقط، ط١.
الزبيدي، سعيد جاسم، (د ت)، صلة الموصول ليست جملة.
الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، (١٩٨٧م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط٣.
السامرائي، إبراهيم، (١٩٦٦م)، الفعل زمانه وأبنيته، مطلعة العاني، بغداد.
السامرائي، فاضل صالح، (٢٠١١م)، معاني النحو، دار الفكر- عمّان، ط٥.
السامرائي، فاضل، (٢٠٠٧م)، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، الأردن-عمان، ط٢.
سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.
السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، (٢٠٠٨م)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (د ت)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر.
شوقي ضيف، (د ت)، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف، ط٢، القاهرة.
الصبان، محمد بن علي، (١٩٩٧م)، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١.
عباس حسن، (د ت)، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، ط٢.
القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، (د ت) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.
الكندي، سامي بن علي، (٢٠٢١م)، الجمل التي لا محل لها من الإعراب نقد وتوجيه، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، مسقط-سلطنة عمان.

دراسة تأثيلية للألفاظ المتعلقة بحرفة الصناعات السعفية في محافظة شمال الباطنة بسلطنة عُمان

د. موفق الحسن محمد/ جامعة صحار
د. علي بن سالم المانعي/ جامعة صحار
د. علي بن حمد الريامي/ جامعة التقنية والعلوم التطبيقية - صحار

Mowaffak Alhassan Mohammed/ Sohar University
Ali bin Salim Al Manei/ Sohar University
Ali bin Hamed Al Riyami/ University of Technology and Applied Sciences - Sohar

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2023 – 06 – 26

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 – 10 – 09

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 – 10 – 10

«تم تمويل المشروع البحث الذي أدى إلى هذه النتائج من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار بسلطنة عُمان بموجب برنامج التمويل المؤسسي المبني على الكفاءة بالعقد البحثي رقم (MoHERI/BFP/SU/٠١/٢٠٢١)».

الملخص

الأهداف: سعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهمية التأثيل Etymology بوصفه علم أصول الألفاظ في توثيق الرصيد اللغوي، وتبيين جذوره وصلاته باللغة الفصحى من خلال تجربة تطبيقية على مجموعة من الألفاظ المتعلقة بحرفة الصناعات السعفية في محافظة شمال الباطنة في سلطنة عُمان. بغية الإجابة على عدد من الأسئلة: ما أصول الكلمات المتعلقة بحرفة الصناعات السعفية في سلطنة عمان؟ وما مدى قربها من اللغة العربية الفصحى؟ وما التغييرات التي طرأت عليها؟

المنهج: اعتمد البحث المنهج التأثيلي الذي يرتكز على التحليل التاريخي المقارن للألفاظ بغية الوصول إلى الأصل اللغوي الذي انحدرت منه؛ فتميّز الألفاظ ذات الجذور العربية، والألفاظ الدخيلة التي اقْتُرِضت من اللغات الأخرى إن وُجِدت. ثم تدرس التغيرات الصوتية والدلالية التي مرت بها هذه الألفاظ حتى وصلت إلى صورتها الراهنة.

النتائج والخاتمة: وقد خلص البحث إلى جميع الألفاظ المستعملة في حرفة الصناعة السعفية التقليدية في محافظة شمال الباطنة بسلطنة عُمان عربية الأصل، كما خلص البحث إلى مجموعة من التغيرات الصوتية التي تطّرد في نطق الألفاظ العربية بصورتها الراهنة.

«تم تمويل المشروع البحث الذي أدى إلى هذه النتائج من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار بسلطنة عُمان بموجب برنامج التمويل المؤسسي المبني على الكفاءة بالعقد البحثي رقم (MoHERI/BFP/SU/٠١/٢٠٢١)».

الكلمات المفتاحية: الإيتيمولوجيا، التأثيل، السعفيات، الحرف التقليدية، سلطنة عُمان.

Etymological Study of the Vocabulary related to the Handicraft of palm-leaf in the Al-Batinah North Governorate in the Sultanate of Oman

Abstract

Objectives: This research sought to shed light on the importance of etymological studies through an applied experiment on a group of terms related to the handicraft of palm-leaf in the Al-Batinah North Governorate in the Sultanate of Oman, in order to answer a number of questions: What are the origins of the words related to the handicraft of palm-leaf in the Sultanate of Oman? ?How close is it to standard Arabic? And what changes have occurred

Methodology: The research adopted the etymological approach, which is based on the comparative historical analysis of words in order to reach the linguistic origin from which they are derived. Then it studies the phonetic and semantic changes that these words went through until they reached their .current form

Results and Conclusion: The research concluded that all the terms used in the traditional palm-leaf handicraft in the Al-Batinah North Governorate in the Sultanate of Oman are of Arab origin .

Key words: Etymology; Cultural heritage; Traditional handicrafts; handicraft of palm-leaf; Oman

المقدمة

في إطار السعي إلى تمكين اللغة العربية الفصحى وإعلاء شأنها بربط حاضر الأمة اللغوي بماضيها؛ يجيء هذا البحث ليسلط الضوء على الجذور الفصيحة للألفاظ المستعملة في قطاع غاية في الأهمية في المجتمع العماني، وهو قطاع الصناعات السعفية.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما أصول الكلمات المتعلقة بحرفة الصناعات السعفية في سلطنة عمان؟ وما مدى قربها من اللغة العربية الفصحى؟ وما التغييرات التي طرأت عليها؟ وما التطوّر الدلالي الذي لحقها؟

عينة الدراسة

حدّد البحث الألفاظ المتعلقة بحرفة الصناعات السعفية في محافظة شمال الباطنة بسلطنة عُمان عينة للدراسة، وقد جُمعت العينة من خلال مقابلات أجراها فريق البحث مع مجموعة من الحرفيين الممارسين لهذه الصناعة على النمط التقليدي في محافظة شمال الباطنة؛ ثم فُرّغت التسجيلات الصوتية، وفُرِزت الألفاظ المتعلقة بهذه الحرفة شاملة الأدوات المستخدمة في الصناعة، ومراحل العمل، وأجزاء المنتج النهائي ومتعلقاته.

منهج الدراسة

ا عتمد البحث المنهج التأثيلي الذي يرتكز على التحليل التاريخي المقارن للألفاظ بغية الوصول إلى الأصل اللغوي الذي انحدرت منه، وقد اتبع البحث الخطوات الآتية في دراسة الألفاظ:

١. إيراد المعنى الاصطلاحي للفظ؛ أي المعنى الذي يؤديه ويشير إليه عند أصحاب هذه الحرفة.

٢. تأثيل اللفظ بالتنقيب في المعاجم العربية القديمة للبحث عن الأصل اللغوي القديم الذي انحدر منه إن كان اللفظ عربيًا، أو البحث في المعاجم الأجنبية لتأصيل مصدر اللفظ إن كان اللفظ دخيلًا.

٣. دراسة التغييرات الصوتية والصرفية والدلالية التي تعرض لها اللفظ، وذلك عن طريق تثبيت النطق الحالي للفظ كما يرد على ألسنة مستعمليه، ومقارنته بالأصل اللغوي الذي انحدر منه.

٤. الوقوف على التطور الدلالي إن وجد.

علم التأثيل Etymology

يذكر معجم لاروس أن مصطلح étymologie مشتق من الكلمة اللاتينية etymologia والإغريقية etumologia ويعرفه بأنه يهدف إلى البحث عن أصول الكلمات وإعادة بناء هويتها التاريخية (Larousse.fr) أما في معجم أكسفورد فيُعرَّف علم التأثيل بأنه: «دراسة أصول الكلمات وتاريخها ومعانيها» (Oxford Advanced Learner›s Dictionary).

وقد أولى اللغويون الأوربيون الإيتيمولوجيا؛ أي إعادة الألفاظ إلى أصولها اهتماماً بالغاً. وقد عرّب اللغويون العرب مصطلح «Etymology» بـ «إيتيمولوجيا»، أو بـ «علم أصول الألفاظ»، أو بـ «التأصيل». بيد أنّ الباحث اللغوي عبد الحق فاضل اقترح في أواسط الستينيّات من القرن العشرين كلمة «تأثيل» تعريباً لهذا لمصطلح « Etymology» معللاً اقتراحه بأن كلمة «الأصل» ومشتقاتها مستعملة في الحياة اليومية بكثرة ؛ فهي مثقلة بمعانٍ متعددة، على عكس كلمة «تأثيل» نادرة الاستعمال؛ فهي بذلك تصلح لأن تكون مصطلحاً علمياً مناسباً تماشياً مع مبادئ اجتراح المصطلحات العلمية (القاسمي، ٢٠١٤). والتأثيل مجال من مجالات علم اللغة التاريخي، ويختص المعجم التأثيلي في ردّ الألفاظ التي يضمها إلى أصولها في اللغة ذاتها أو في اللغات الأخرى، وما مرت به من تحول وتغير في شكلها ومعناها واستعمالها. في حين أن المعجم التاريخي يحدد تاريخ كل تطور وتحول وتبدل يصيب اللفظ في شكله ومعناه واستعماله، ويسوق شواهد حقيقية مقتبسة من الوثائق التي ظهر فيها اللفظ أول مرة، وشواهد على جميع التغيرات والتحولات الآتية (القاسمي، ٢٠١١).

أهمية علم التأثيل:

تكمن أهمية علم التأثيل في كونه أداة تعين على تبيان جذور الألفاظ وتطورها عبر الزمن، وتطبيقها على مفردات اللغة العربية يحظى بأهمية قصوى؛ كونه يساعد على توثيق عرى الألفاظ العربية المستخدمة في عصرنا الحاضر بجذورها الفصحى، وهي الغاية المرجوة من دراستنا هذه.

تعريف بحرف الصناعات السعفية في سلطنة عُمان

تعد صناعة السعفيات من أقدم الصناعات الحرفية التي اعتمدت على منتجات وفوائد النخلة الكريمة. وقد استفاد العمانيون من جميع أجزاء النخلة ومكوناتها ومخلفاتها في عمل منتج حرفي نافع؛ فإلى جانب إنتاج الرطب والتمر، يُستخدم زور النخل في صناعة الأقفاص المختلفة، ومباخر الملابس وغيرها. أما جذوع النخل فتستخدم في أعمال البناء وخاصة في إنشاء عوارض السقف، كما تُحرق وتُحول إلى فحم أو تستخدم في إشعال النار لتجهيز الصاروج أو إنتاج الجير الأبيض المستخدم في طلاء واجهات المنازل. أما ألياف الجذع فتُستعمل في أغراض عديدة كصناعة الحبال ومقابض السلال وتبطين أغطية سروج الجمال وفي تنظيف الأواني وغير ذلك. بينما يدخل سعف النخل في صناعة الأواني والمنتجات السعفية المتنوعة كالقفير والمزماة والمكب والمهفّة والخصف وغيرها مما سيرد في هذه الدراسة. ((الهيئة العامة للصناعات الحرفية، ٢٠٠٩: ١٩٦).

ويقسم الحرفيون السعف (الخوص) إلى ثلاثة أنواع:

خوصة القمة أو القَلب.

خوصة الفواخي.

خوص هياف (يابس)

الدراسة التأثيلية

في الفقرات الآتية سنطبق دراسة تأثيلية على مجموعة من الألفاظ المستخدمة في حرفة صناعة الخناجر التقليدية في سلطنة عمان؛ إذ نورد اللفظ مضبوطاً بالشكل، ثم نتبعه بشكله الحالي كما يُنطق عند مستعمليه، ثم نوضّح المعنى الاصطلاحي الذي يُقصد عند أرباب هذه الحرفة. ثم نُأثِّل اللفظ مبيّنين الأصل اللغوي الذي انحدر منه من خلال مجموعة من المعاجم العربية هي: لسان العرب، والقاموس المحيط، والصحاح، وتاج العروس، هذا إنْ كان عربياً، أمّا إذا كان اللفظ دخيلاً؛ فنبيّن اللغة التي دخل منها من خلال مجموعة من المعاجم الأجنبية. ثم نتبع ذلك بتبيين التغيرات الصوتية والصرفية التي شهدها اللفظ في استعماله الحالي إن وُجدت. وقبل البدء بالدراسة التأثيلية يَحسُن توضيح الطريقة التي ستتم بها كتابة المصطلحات كما تُنطق عند مستعمليها الحاليين، من حيث كتابة الأصوات غير العربية سواء الأصوات الصامتة أو الأصوات الصائتة: وسنعتمد في هذا البحث نظام الرومنة (ISO ٢٣٣-٢: ١٩٩٣)، وهو نظام للكتابة الصوتية للأحرف العربية بالأحرف اللاتينية. اعتُمد نظام الترجمة الصوتية هذا كتعديل على نظام (ISO ٢٣٣: ١٩٨٤). وفيما يلي جدول بالأصوات العربية وطريقة كتابتها وفق هذا النظام:

الصوامت العربية	كتابتها بحسب نظام ISO 233-2
ء	ʾ
آ	ʾā
ب	b
ت	t
ث	ṯ
ج	ǧ
ح	ḥ
خ	ḫ
د	d
ذ	ḏ
ر	r
ز	z
س	s
ش	š
ص	ṣ
ض	ḍ
ط	ṭ
ظ	ẓ
ع	
غ	ġ
ف	f
ق	q
ك	k
ل	l
م	m
ن	n
هـ	h
ة	ẗ
و	w
ي	y

الصوائت العربية	كتابتها بحسب نظام ISO 233-2
الكسرة	i̯
الضمة	u
الفتحة	a
الكسرة الطويلة (ياء المد)	ī
الضمة الطويلة (واو المد)	ū
الفتحة الطويلة (ألف المد)	ā

وسيتم التعبير أيضاً كتابياً عن الأصوات غير القياسية أو التي تظهر في نطق بعض الكلمات على النحو الآتي:

الصوت	الرمز الكتابي
شبه الحركة أو النبرة (كما في مقبض)məgbat	ə
الألف المفخمة (كما في طوق)tōg	ō
الألف الممالة (كما في سير)sēr	ē

خَصف haṣaf

المعنى الاصطلاحي: كيس كبير مصنوع من الخوص يستخدم لحفظ التمر، ويستخدم أيضاً لشواء اللحم داخل

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 1: الخصف

التنور على الطريقة العمانية، حيث يوضع اللحم بعد تتبيله داخله ثم يوضع في التنّور.

التأثيل: جاء في القاموس المحيط: **خَصَفَةُ**: الجُلَّةُ تُعْمَلُ من الخوصِ للتَمْرِ، والثَّوْبُ الغَلِيظُ جِدّاً (مادة خصف).

وورد في تاج العروس: الخَصَفُ سَفَائِفُ تُسَفُّ مِن خوص النَّخْلِ فيُسَوَّى منها شُقَقٌ تُلبَّسُ بُيُوتَ الأَعْرَابِ ورُبَّمَا سُوِّيَتْ جِلالاً للتَّمْرِ (مادة خصف).

وورد في لسان العرب: خَصْفَةٌ والخَصَفَةُ بالتحريك جُلَّةُ التمر التي تعمل من الخوص وقيل هي البَحْرانِيةُ من الجلال خاصّة وجمعها خَصَفٌ (مادة خصف).

وورد في الصحاح: والخَصْفَةُ بالتحريك: الجُلةُ التي تعْمَلُ من الخوص للتمر، وجمعها خَصَفٌ وخِصافٌ (مادة خصف).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية: لا يوجد

قفير gafīr

الشكل SEQ الشكل ٦* ARABIC 2: القفير

المعنى الاصطلاحي: وعاء كالزّبِيل مصنوع من الخوص.

التأثيل: جاء في القاموس المحيط: **-قَفِيز:** الزَّبيلُ (مادة قفر).

وورد في اللسان: والقَفِير: الزَّبيل، يمانية (مادة قفر). وورد في تاج العروس: القَفِيرُ كأَمِير: الزَّبِيلُ وقال أَبو عَمْرٍو: القَفِيرُ والقَلِيفُ: الجُلَّةُ العَظِيمةُ البَحْرانِيّة التي يُحْمَلُ فيها القُبَابُ. وهو الكَنْعَدُ المالِح (مادة قفر).

التغيرات الصوتية:

إبدال القاف (g).

مكب məkab

الشكل SEQ الشكل ٦* ARABIC 3:

المعنى الاصطلاحي: إناء مخروطي الشكل ينسج من الخوص يستخدم لتغطية آنية الطعام.

التأثيل: جاء في اللسان: **كبَّ الشيءَ يَكُبه**، وكَبْكَبَه: قَلَبه... وكَبَبْتُ القَصْعَةَ: قَلَبْتُها على وجْهِها (مادة كبب). وورد في القاموس المحيط: كَبَّه: قَلَبَه (مادة كبب). وورد في جمهرة اللغة: كَبَبْتُ الشيءَ أَكُبُّه كبًّا، إذا قَلَبْتَه (مادة كبب).

الدلالة: واضح أنّ استخدام وزن اسم الآلة (مِفْعَل) من الفعل (كَبّ) مردّه إلى طريقة استخدام «المكب» حيث يتم «كَبُّه» أي قبله فوق الآنية لتغطيتها.

التغيرات الصوتية:

العدول عن الكسرة الصريحة بعد الميم إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

مخرافة məẖrāfat

المعنى الاصطلاحي: زبّيل مصنوع من الخوص له أربع عرى من كل جانب تربط معاً.

الشكل SEQ الشكل ٦* ARABIC 4: المخرافة

التأثيل: جاء في القاموس: **المِخْرف:** زِنْبِيلٌ صغيرٌ يُخْتَرَفُ فيه أطايِبُ الرُّطَبِ. الخَرُوفَةُ: النخلة يُخْرَفُ ثمرُها أي يُصْرَمُ فَعُولةٌ بمعنى مَفْعولة. والخرائفُ: النخل اللاَّئي تُخْرَصُ... وخَرَفْت فلاناً أَخرِفُه إذا أَقْطَعْت له الثَّمرَ... والمِخْرَف: النخلة نَفْسُها، والاخْتِرافُ: لَقْط النخل، بُسْراً كان أو رُطَباً... وأَخْرَفَ النخلُ: حان خِرافُه، والخُرافةُ: ما خُرِفَ من النخل ... والمِخْرَفُ، بالكسر: ما يُجْتَنى فيه الثِّمارُ، وهي المَخارِفُ، وإنما سمِّي مِخْرَفاً لأَنه يُخْتَرَفُ فيه أَي يُجْتَنَى (مادة خرف).

وورد في لسان العرب: الخُرافةُ: ما خُرِفَ من النخل والمَخْرَفُ: القِطْعة الصغيرة من النخل سِتّ أَو سبْعٌ يشتريها الرج للخُرْفةِ والمِخْرَفُ، بالكسر: ما يُجْتَنى فيه الثِّمارُ، وهي المَخارِف، وإنما سمِّي مِخْرَفاً لأَنه يُخْتَرَفُ فيه أَي يُجْتَنَى (مادة خرف).

وورد في الصحاح: المِخْرَفُ بالكسر: ما تُجْتَنى فيه الثمارُ (مادة خرف).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

العدول عن الكسرة بعد الميم إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

التغيرات الصرفية: تأنيث اللفظ بزيادة علامة التأنيث.

عزاف ʿzāf

الشكل SEQ الشكل ٦* ARABIC 5: العزاف

المعنى الاصطلاحي: طبق واسع مصنوع من الخوص يستخدم سفرة ليوضع الطعام عليه.

التأثيل: جاء في القاموس المحيط: **عَزَفَ يَعْزِفُ:** أقامَ في الأَكْلِ والشُّرْبِ (مادة عزف). وورد في اللسان: وعزف الرجل يَعزِفُ إذا أَقام في الأكل والشرب (مادة عزف).

الدلالة: واضح أن لفظ عِزاف اشتق على وزن اسم الآلة فِعال مجازاً من الفعل عَزَفَ يَعْزِفُ بمعنى أقامَ في الأَكْلِ والشُّرْبِ؛ حيث إن استخدام «العزاف» هو لتقديم الطعام والشراب.

التغيرات الصوتية:

إشمام الحركة.

مخمّة məẖammaẗ

الشكل SEQ الشكل ٦* ARABIC 6: المخمة

المعنى الاصطلاحي: مكنسة مصنوعة من الخوص.
التأثيل: جاء في القاموس المحيط: **خَمَّ** البَيْتَ والبئْرَ: كَنَسَها... والمِخَمَّةُ: المكْنَسَةُ (مادة خمم). وورد في معجم لسان العرب: خَمَّ البيتَ والبئرَ يَخُمُّهما خَمّاً واخْتَمَّهما: كنسهما، والاخْتِمامُ مثله، والمِخَمَّةُ: المِكنسَةُ والخُمامَة والقُمامَةُ: الكُناسةُ، وما يُخَمُّ من تراب (مادة خمم).
التغيرات الصوتية:
العدول عن الكسرة الصريحة بعد الميم إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

عرى ʿrā

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 7: يوضح شكل العرى

المعنى الاصطلاحي: جمع عُروة، وهي العروات التي تصنع للقفير والمخرفة والزبيل وغيرها.
التأثيل: جاء في اللسان: **وعُرْوَةُ** الدَّلْوِ والكوزِ ونحوِه: مَقْبِضُهُ وعُرَى المَزادة: آذانُها... وعَرَّى الشَّيْءَ: اتَّخَذَ له عُرْوةً (مادة عرى).
وورد في القاموس المحيط: عُرْوَةُ من الدَّلْوِ والكُوزِ: المَقْبِضُ (مادة عرى).
الدلالة: متطابقة.
التغيرات الصوتية: تسكين العين.

قلد gald

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 8: يوضح طريقة القلد

المعنى الاصطلاحي: فتل ليف النخل لجعله حبلاً.
التأثيل: جاء في القاموس المحيط: **قَلَدَ** الحَبْلَ: فَتَلَهُ، فهو قَلِيدٌ ومَقْلُودٌ (مادة قلد).
وورد في تاج العروس: قَلَدَ الشَّيْءَ على الشَّيْءِ: لَواهُ كإدَارَة القُلْبِ على القُلْبِ من الحُلِيِّ. وكُلُّ ما لُوِيّ على شَيْءٍ فقد قُلِدَ. وقَلَدَ الحَبْلَ: فَتَلَه (مادة قلد).
وورد في لسان العرب: قَلَدَ الحبْلَ يَقْلِدُه قَلْداً فَتَلَه، وكلُّ قُوَّةٍ انْطَوَتْ من الحبْلِ على قوّة فهو قَلْدٌ والجمع أَقْلادٌ وقُلُودٌ... وحَبْلٌ مَقْلُودٌ وقَلِيدٌ، والقَلِيدُ الشَّرِيطُ عَبْدِيَّة والإِقْلِيدُ شَرِيطٌ يُشَدُّ به رأْس الجُلَّة. يقال للشيخ إِذا أَفْنَدَ قد قُلِّدَ حَبلَه فلا يُلْتَفِتُ إِلى رأْيه، والقَلْدُ دارَتُك قُلْباً على قُلْبٍ من الحُلِيِّ وكذلك لَيُّ الحَدِيدةِ الدقيقة على مثلها، وقَلَدَ القُلْبَ على القُلْبِ يَقْلِدُه قَلْداً لواه وذلك الجَرِيدة إِذا رَقَّقَها ولواها على شيء، وكل ما لُوِيَ على شيءٍ فقد قُلِدَ (مادة قلد).
وورد في الصحاح: قَلَدْتُ الحبلَ أَقْلِدُهُ قَلْداً، أي فَتَلْتُهُ؛ والحبلُ قَلِيدٌ ومَقْلُودٌ (مادة قلد).
الدلالة: متطابقة.
التغيرات الصوتية:
إبدال القاف (g)
تحريك اللام بنصف حركة أو نبرة بسيطة.

خوص ẖūṣ

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 9: الخوص

المعنى الاصطلاحي: ورق النخل.
التأثيل: جاء في الصحاح: **والخُوصُ:** ورقُ النخل، الواحدة خُوْصَةٌ (مادة خوص).
وورد في تاج العروس: الخُوصُ بالضّمِّ: وَرَقُ النَّخْلِ والمُقْلِ والنارَجِيلِ وما أَشْبَهَها (مادة خوص).
وورد في اللسان: الخُوصُ ورَقُ المُقْلِ والنَّخْلِ والنَّارَجيلِ وما شاكلها واحدتُه خُوصة (مادة خوص).
الدلالة: متطابقة.
التغيرات الصوتية:
لا يوجد.

سَّف saff

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 10: يوضح طريقة السف

المعنى الاصطلاحي: السَّفُّ نسج الخوص بالأصابع بجدله وليه بعضه على بعض على شكل شريط طويل تمهيداً لخياطته وصنع المنتجات السعفية منه.
التأثيل: جاء في اللسان: سَفَفْتُ **الخُوصَ** أَسُفُّه، بالضم سَفّاً وأَسْفَفْتُه إِسْفافاً: نسجته بعضه في بعض، وكلُّ شيء ينسج بالأَصابع فهو الإِسْفاف... والسُّفَّة ما سُفَّ من الخوص (مادة سفف).
وورد في القاموس المحيط: سَفَّ الخُوصَ: نَسَجَهُ، كأَسَفَّهُ (مادة سفف).
وورد في أساس البلاغة: سَفَّ الشيءَ وأسفه نسجه بالأصابع (مادة سفف).
الدلالة: متطابقة.
التغيرات الصوتية: لا يوجد.

səffaṯ سفَّة

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 11: السفة

ما سُفّ (نُسج) من الخوص على شكل شريط طويل تمهيداً لجمعه وخياطته لصناعة المنتوجات السعفية.

التأثيل: جاء في اللسان: و**السفة ما سُفَّ** من الخوص وجعل مقدار الزَّبيل والجُلَّةِ (مادة سفف).

وورد في القاموس المحيط: السُفَّةُ: ما يُسَفُّ من الخُوصِ، ويُجْعَلُ مِقْدارَ الزَّبِيلِ أو الجُلَّةِ (مادة سفف).

وورد في الصحاح: السُّفة العرقة من الخُوص المُسفّ (مادة سفف).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

العدول عن الضمة بعد السين إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

tamšīr (لليف) تمشير

المعنى الاصطلاحي: تفريق أجزائه بعضها عن بعض كندف الصوف والقطن تمهيداً لغزله.

التأثيل: جاء في الصحاح: **مَشَّزتُ** الشيءَ: فرَّقته (مادة مشر).

وورد في القاموس المحيط: التمشيرُ: تقسيمُ الشيءِ وتَفْريقُهُ (مادة مشر).

وورد في لسان العرب: مَشَّرَ الشيءَ: قَسَّمَه وفَرَّقَه (مادة مشر).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

العدول عن تسكين الشين إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

bāʿ باع

المعنى الاصطلاحي: وحدة قياس الأطوال باستخدام اليد.

التأثيل: جاء في الصحاح: **الباع**: قَدْرُ مَدِّ اليدين. وبُعْتُ الحبلَ أَبوعُهُ بَوْعاً، إذا مددتَ باعَكَ به؛ كما تقول: شَبَرْتُهُ من الشِّبْرِ (مادة بوع).

وورد في القاموس المحيط: باعٌ: قَدْرُ مَدِّ اليَدَيْنِ، كالبَوْعِ والبُوعُ، ج: أبواعٌ (مادة بوع).

وورد في لسان العرب: الباعُ والبَوْعُ والبُوع: مَسافةُ ما بين الكفَّيْن إذ بسَطْتهما؛ الأخيرة هُذَلية؛ قال أبو ذؤيب:

فلو كان حَبْلاً من ثَمانِين قامة وخمسين بُوعاً، نالَها بالأَنامِل

والجمع أَبْواعٌ، وباعَ الحبْلَ يَبُوعُه بَوْعاً مدَّ يديه معه حتى صار باعاً (مادة بوع).

الدلالة: متطابقة

التغيرات الصوتية: لا يوجد.

rṣāġ رصاغ

المعنى الاصطلاحي: حبل من الليف تربط به رجل الدابة وتثبت إلى وتد لتثبيتها.

التأثيل: جاء في اللسان: و**الرِّساغُ والرِّصاغُ**: حبل يشدُّ في رُسْغ الدابّة شديداً إلى وَتِد أو غيره ويمنع البعير من الانْبعاث في المشي (مادة رصغ).

وورد في القاموس المحيط: رِساغٌ: حَبْلٌ يُشَدُّ في رُسْغِ البَعيرِ وغيرِهِ، ثم يُشَدُّ إلى وَتِدٍ فَيَمْنَعُه عن الانْبِعاثِ في المَشْيِ، ومُراسَغَةُ الصَّريعيْنِ في الصِراعِ (مادة رصغ).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

تسكين الراء.

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 12: يوضح طريقة قلد الحبل المثلوث

rəbgaṯ ربقة

المعنى الاصطلاحي: حبل من الليف يربط به عنق الدابة.

التأثيل: جاء في اللسان: **الرِّبقة والرَّبقة**... والرِّبْقُ بالكسر كل ذلك الحبْلُ والحَلْقةُ تشدّ بها الغنم الصغار لئلا تَرْضَع والجمع أَرْباقٌ ورِباقٌ ورِبَقٌ (مادة ربق).

وورد في تاج العروس: الرِّبْقُ بالكَسْرِ: حَبْل فيه عِدة عُرىً يُشَدُّ بِهِ البَهْمُ الصِّغارُ من أَعْنُقِها أَو يَدِها لِئلاّ تَرْضَعَ (مادة ربق).

وورد في الصحاح: الرِبقُ: بالكسر: حبل فيه عدّة عُرىً، تُشَدُّ به البُهُمُ، الواحدة من العُرَى: ربْقَةٌ(مادة ربق).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

العدول عن الكسرة الصريحة بعد الراء إلى نصف حركة، أو نبرة بسيطة.

إبدال القاف (g).

maṯlūṯ (حبل) مثلوث

المعنى الاصطلاحي: حبل من الليف يقلد بشكل ثلاثي أي من ثلاثة أدوار من الحبال الرفيعة.

التأثيل: جاء في تاج العروس: **المَثْلُوث** من الحبال: ما فُتِلَ على ثَلاثِ قُوىً (مادة ثلث).

وورد في اللسان: مَثْلُوثٌ: مَفْتُولٌ على ثلاث قُوًى؛ الليث: المُثَلَّثُ ما كان من الأَشياء على ثلاثةِ أَثْناءٍ والمَثْلُوثُ من الحبال: ما فُتِلَ على ثلاثِ قُوًى، وكذلك ما يُنْسَج أو يُضْفَر (مادة ثلث).

وورد في الصحاح: المثلوثة: مَزادةٌ تكون من ثلاثة جلود. وحبلٌ مثلوثٌ، إذا كان على ثَلاثِ قُوىً (مادة ثلث).

ḥābūl حابول

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 13: الحابول (نقلاً عن: إبراهيم، 2016)

المعنى الاصطلاحي: حبل يُستخدم ليُصعَد به النخل.

التأثيل: جاء في الصحاح: **الحابول**: الكَرُّ، وهو الحَبْلُ الذي يُصْعَدُ به النخلُ (مادة حبل).

وورد في القاموس المحيط: حابُولُ: حَبْلٌ يُصْعَدُ به على النَّخْلِ (مادة حبل).

وورد في اللسان: الحابُول: الكَرُّ الذي يُصْعد به على النخل (مادة حبل).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

لا يوجد.

daʿan دعن

المعنى الاصطلاحي: بساط يصنع من جريد النخل يستخدم كمفرش أرضي أوفي إعداد عريشة أو ظلة منه.

التأثيل: جاء في اللسان: **الدَّعْن**: سَعَف يضم بعضه إلى بعض ويُرَمَّلُ بالشَّريط ويبسط على التمر (مادة دعن).

وورد في القاموس المحيط: الدَّعْنُ: سَعَفٌ يُضَمُّ بعضُهُ إلى بعضٍ، ويُرْمَلُ بالشَّريطِ، ويُبْسَطُ عليه التَّمْرُ (مادة دعن).

وورد في جمهرة اللغة: الدَعن لغة أزدية وهو سعف يضم بعضه إلى بعض ويرمل ويبسط عليه التمر (مادة دعن).

الدلالة: عرفت الفظة توسيعاً لدلالتها؛ حيث لم تعد تدل على ما يبسط على التمر فقط بل على استخدامات أخرى كما ذكرنا.

التغيرات الصوتية:

العدول عن تسكين العين إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 14: عريشة من الدعن. (نقلاً عن: ريتشاردسون، 2011، ص 106)

zfānaẗ زَفانة

المعنى الاصطلاحي: صناعة الدعن من السعف.

التأثيل: جاء في لسان العرب: و**الزِّفْن والزَّفْن** بلغة عُمان كلاهما ظُلَّة يتخذونها فوق سُطوحهم تقيهم وَمَدَ البحر أي حَرَّه ونداه، والزَّفْنُ عَسيب من عُسُب النخل يضم بعضه إلى بعض شبيه بالحصير المَرْمول قيل هي لغة أَزْدِيَّة (مادة زفن).

وورد في القاموس المحيط: زِّفْنُ: ظُلَّةٌ يَتَّخِذُونَها فوقَ سُطوحِهِمْ تَقيهِمْ من حَرِّ البَحْرِ ونَداه، وعَسيبُ النَّخْلِ يُضَمُّ بعضُه إلى بعضٍ كالحَصيرِ المَرْمولِ (مادة زفن).

وورد في جمهرة اللغة: الزَّفْنُ لُغةٌ أزدية، وهي عسب من عسيب النخل يضم بعضه إلى بعض شبيها بالحصير المرمول (مادة زفن).

الدلالة: لم ترد لفظة الزِّفانة بمعنى صناعة (الزِّفن) في المعاجم العربية، ولكن اشتقاقها فصيح على وزن فِعالة كخياطة.

التغيرات الصوتية:

تسكين الزاي.

zōraẗ زورة

المعنى الاصطلاحي: واحدة الزور، وهو عسيب النخل.

التأثيل: جاء في اللسان: **والزَّوْز** عَسيبُ النَّخْل (مادة زور).

وورد في القاموس المحيط: الزَوْرُ: وسَطُ الصَّدْرِ، أو ما ارْتَفَعَ منه إلى الكَتِفَيْنِ، أو مُلْتَقَى أطْرافِ عِظامِ الصَّدْرِ. حيثُ اجْتَمَعَتْ، والزائِرُ، والزائِرون، كالزُّوَّارِ والزُّوَّرِ، وعَسِيبُ النَّخْلِ (مادة زور).

وورد في تاج العروس: الزَّوْرُ: عَسِيبُ النَّخْلِ (مادة زور)

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:

إبدال الفتحة بعد الزاي ضمة والعدول عن المقطع الصوتي (زَوْ) إلى مقطع صوتي شبيه بصوت (O).

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 15: الزورة

مبخرة (ملابس) məbḫaraẗ

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 16: مبخرة ملابس

المعنى الاصطلاحي: عبارة عن مجسم على شكل هرمي مصنوع من الخشب والخوص يستخدم لتبخير الثياب.

التأثيل: لا ترد كلمة مبخرة بهذا اللفظ اسم آلة في المعاجم العربية، ولكن أصل اشتقاقها وارد؛ حيث جاء في تاج العروس: البُخور كصَبُور: ما يُتَبَخَّر به. وثِيابٌ مُبَخَّرَةٌ: مطيَّبَةٌ. وتَبَخَّر بالطِّيبِ ونَحْوِهِ: تَدَخَّنَ (مادة بخر).

وورد في اللسان: تَبَخَّر بالطيب ونحوه: تَدَخَّنَ، والبَخُورُ، بالفتح: ما يتبخر به ويقال: يَخَّرَ علينا من بَخُور العُود أي طَيَّبَ (مادة بخر).

الدلالة: لا ترد كلمة مبخرة بهذا اللفظ اسم آلة في المعاجم العربية، ولكن اشتقاقها صحيح على وزن اسم الآلة (مِفعلة) مشتق من الفعل (بخر).

التغيرات الصوتية: العدول عن الكسرة بعد الميم إلى نصف حركة أو نبرة بسيطة.

شراجة šrāğaẗ

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 17: شريجة خوص

المعنى الاصطلاحي: قلد الخوص شريجةً.

التأثيل: لم ترد لفظة **(شراجة)** كاسم حرفة في المعاجم العربية، ولكن أصل اشتقاقها معروف؛ فقد ورد في اللسان: الشَّرَجُ: عُرى المُصحف والعَيْبة والخِباءِ، ونحو ذلك. شَرَجَه شَرْجاً، وأَشْرَجَها، وشَرَّجها: أَدخل بعض عُرَاها في بعض وداخل بين أَشراجها... وكلّ ما ضُمَّ بعضُه إِلى بعض، فقد شُرِجَ وشُرِّج والشَّرِيجَةُ: جَديلة من قَصَبٍ تُتَّخَذ للحَمام... والشَّرِيجة: شيء يُنْسَج من سَعَف النخل يُحمل فيه البِطِّيخ ونحوه، والتَّشْرِيج: الخِياطَة المتباعِدة (مادة شرج).

وورد في القاموس المحيط: الشَّرِيجَةُ: شيءٌ من سَعَفٍ يُحْمَلُ فيه البِطِّيخُ ونَحْوُهُ (مادة شرج).

وورد في تاج العروس: الشَّرَج مُحَرَّكَةً: العُرَى؛ عُرَى المُصْحَفِ والعَيْبَةِ والخِباءِ ونحو ذلك، شَرَجها شَرْجاً وأَشْرَجَهَا وشَرَّجَها: أدخل بعضَ عُرَاها في بعضٍ وداخَل بينَ أَشْراجِهَا، والشَّرِيجةُ: شيءٌ يُنسَجُ من سَعَفِ النَّخْلِ يُحمَلُ فيهِ البِطِّيخُ ونحوُه. والتَّشْرِيج: الخياطة المتباعدة (مادة شرج).

الدلالة: لم ترد لفظة (شراجة) كاسم حرفة في المعاجم العربية، ولكن اشتقاقها صحيح على وزن (فِعالة) كخِياطة ونِجارة من الفعل (شرج) بمعنى صنع الشريجة من سعف النخيل.

التغيرات الصوتية: تسكين الشين.

زبيل zabīl

المعنى الاصطلاحي: الفقير.

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 18: الزبيل

التأثيل: جاء في اللسان: **الزَّبِيل والزِّنْبِيل**: الجِراب، وقيل الوِعاء يُحْمل فيه، فإذ جَمَعوا قالوا زَنابيل، وقيل: الزِّنْبِيل خطأ وإنما هو زَبِيل (مادة زبل).

وورد في تاج العروس: الزَّبِيلُ كأَمِيرٍ، وإذا كسَرْتَ الزَّايَ شَدَّدْتَ الْبَاءَ مِثْل سِكِّينٍ وقِنْدِيلٍ بالكسرِ لأَنّهُ ليسَ في كَلامِهِم فَعْلِيل بالفتحِ قَالَهُ الجَوْهَرِيُّ، وقد يُفْتَحُ وهي لُغَةٌ عن الفَرَّاءِ نَقَلَها الصّاغَانِيُّ: وهو الْقُفَّةُ أو الْجِرَابُ أو الْوِعاءُ يُحْمَلُ فيه ج زُبُلٌ ككُتُبٍ وزُبْلاَنٌ بالضَّمِّ وزَنَابِيلُ يُقالُ: عندَهُ زُبُلٌ مِن تَمْرٍ (مادة زبل).

وورد في القاموس المحيط: زَبيلُ وزِبِّيلُ وزِبْيِيلُ: القُفَّةُ، أو الجرابُ، أَو الوِعاءُ، ج: زُبُلُ، وزُبْلانٌ (مادة زبل).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية: تسكين الزاي.

سمّة səmmaẗ

المعنى الاصطلاحي: بساط أو حصيرة مصنوعة من الخوص تفرش على الأرض للجلوس، أو تبسط تحت النخل ليسقط عليها المحصول.

التأثيل: جاء في القاموس المحيط: **السمَّة**: سُفْرَةٌ من خوص تُبْسَطُ تَحْتَ النَّخْلِ لِيَسْقُطَ عليها ما تَنَاثَرَ, ج: سُمَمْ، والسَمامة (مادة سمم).

وورد في لسان العرب: والسُّمَّةُ شِبْه سفرة عريضة تُسَفُّ من الخوص وتبسط تحت النخلة إذا صُرِمت ليسقُط ما تَناثَر من الرُّطَب والتمر (مادة سمم).

الدلالة: متطابقة.

التغيرات الصوتية:
العدول عن الضمة بعد السين إلى شبه حركة، أو نبرة.

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 19: بعض أشكال السمة (نقلاً عن ريتشاردسون، 2011،مج2، ص 466.

منسف mənsaf

المعنى الاصطلاحي: وعاء واسع مفلطح يستخدم لتخليص الحبوب من الغبار.

التأثيل: جاء في تاج العروس: **نَسَفَ** الطَّعامَ: نَفَضَه. والمِنْسَفُ كمَنْبَرٍ: اسمٌ لما يُنْفَضُ به الحَبُّ (مادة نسف).
وورد في القاموس المحيط: المِنْسَفُ: لِما يُنْفَضُ به الحَبُّ (مادة نسف).

الشكل SEQ الشكل * ARABIC 20: المنسف
(نقلاً عن ريتشاردسون، 2011. مج2، ص 468

منسف mənsaf

المعنى الاصطلاحي: وعاء واسع مفلطح يستخدم لتخليص الحبوب من الغبار.

التأثيل: جاء في تاج العروس: **نَسَفَ** الطَّعامَ: نَفَضَه. والمِنْسَفُ كمَنْبَرٍ: اسمٌ لما يُنْفَضُ به الحَبُّ (مادة نسف).
وورد في القاموس المحيط: المِنْسَفُ: لِما يُنْفَضُ به الحَبُّ (مادة نسف).

الخاتمة

حاول البحث تطبيق دراسة تأثيلية على الألفاظ المستعملة في حرفة الصناعات السعفية في محافظة شمال الباطنة بسلطنة عُمان. وقد بيّن البحث أهمية التأثيل بوصفه علمًا يمكن من خلاله تأصيل الموروث اللغوي، وتوضيح أصوله العربية، وصلاته الوثيقة باللغة العربية الفصحى. إضافة إلى أهميته لفهم مظاهر التغيرات اللغوية التي تطّرد في منطقة لغوية معينة مما يتيح تتبع مساراتها وفهم آلياتها. وقد خلص البحث إلى وضع مسردٍ بالألفاظ المستعملة في حرفة الصناعات السعفية في محافظة شمال الباطنة، وقد تضمن المسرد اللفظ المستعمل بنطقه الحالي، ثم توضيح لمعناه الاصطلاحي الذي يؤديه حاليًا عند أصحاب هذه الحرفة، ثم تأثيل له يبيّن أصله اللغوي الذي انحدر منه. وقد تبيّن من خلال تحليل عينة الدراسة على المستوى المعجمي أنّ:

١. جميع الألفاظ المستعملة في الحرفة عربية الأصل.
٢. هذه الألفاظ إما أنها موجودة بلفظها في المعاجم العربية القديمة، أو أنها صيغت على الأوزان القياسية للمشتقات العربية من جذور عربية فصيحة.

أما من خلال تحليل ألفاظ عينة الدراسة على المستوى الصوتي والصرفي؛ فيتبيّن ما يلي:

١. ثمة إبدالات صوتية مطردة وهي: اطّراد إبدال صوت القاف بالصوت (g)
٢. يطّرد في أوزان اسم الآلة (مِفْعَل)، و(مِفْعلة) عدم تحقيق الكسر في أول الوزن، والعدول عنه إلى نصف حركة باتجاه الكسر مثل: (مخرافة، منسف، مبخرة).
٣. يطّرد تسكين أول الكلمة في وزن (فِعالة) كما في (زفانة، شراجة).

ويوصي البحث بتكثيف الدراسات التأثيلية في اللغة العربية مما يسهم في زيادة الصلات بين الموروث اللغوي في العالم العربي وجذوره الفصيحة.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم، عبد الباسط عودة (٢٠١٦). نخلة التمر في المعتقدات الشعبية. مجلة الثقافة الشعبية، (٣٥). ١٠٦-١٢٣.

بلعيد، صالح (٢٠١١). مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية. أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية التطبيقية، مج١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر- فاس: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية. ٧١-٨٨

الجريدة الرسمية العمانية، عدد ١٢١٧. شوهد بتاريخ ٢٠٢٣/١/٢٥، والرابط في أدناه:

type=G&٣٤١=https://www.mjla.gov.om/legislation/gazettes/details.aspx?Id

الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٩٧٩). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط٢). دار العلم للملايين.

الحرّاصي، عبد الله بن ناصر وآخرون (٢٠١٣). الموسوعة العمانية، (ط١). منشورات وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان.

الخفاجي، شهاب الدين (٢٠١٥). شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. تعليق وتصحيح محمد عبد المنعم الخفاجي. دار المكتبة الأزهرية للتراث.

ريتشاردسون، نيل؛ دور، مارشيا (٢٠١١). الحرف التقليدية العمانية. ترجمة عبد الله الحراصي وآخرون، وزارة التراث والثقافة ودار موتيفيت للنشر.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (١٩٦٥-٢٠٠١). تاج العروس من جواهر القاموس. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الفيروزآبادي، مجد الدين (٢٠٠٥). القاموس المحيط (ط٨). دار الرسالة.

القاسمي، علي (٢٠١٤). صناعة المعجم التاريخي للغة العربية. مكتبة لبنان ناشرون.

القاسمي، علي (٢٠١١). تاريخ المعجم التاريخي. أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية التطبيقية، مج١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر- فاس: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية. ٤٧-٦٩.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢٠٠٤). المعجم الوسيط (ط٤). مكتبة الشروق الدولية.

مكتب تنسيق التعريب: ٠٢MB٥Rj/https://cutt.ly

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (١٩٩٣). لسان العرب (ط٣). دار صادر.

الهيئة العامة للصناعات الحرفية (٢٠٠٩). الحرف العمانية دراسة توثيقية (ط١). مطبوعات الهيئة العامة للصناعات الحرفية.

References

Dworkin, Steven N. (٢٠١٥). Etymology. In James D. Wright (Eds.), International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences (٢nd ed.), Elsevier) ٢٠٧-٢١١. https://doi.org/١٠,١٠١٦/B٩٧٨-٠-٠٨-٠٨٦٧٠٩-٠٧٠٠٣٥,٨-٤.

Larousse.fr. https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/%C٣%A٩tymologie/٣١٦٠٥

Lehmann, W.P. (٢٠٠١). Etymology. In Neil J. Smelser, Paul B. (Eds.), Baltes International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences, Pergamon ٤٨٧٤-٤٨٧٧. https://doi.org/١٠,١٠١٦/B٠-٠٨-٠٧٦٠٤٣٠٧٦-٧/٠٣٠٥١-٥

Oxford Advanced Learner›s Dictionary. https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/etymology?q=etymology

المرأة وتمثّلاتها في الخطابين السنّي والشّيعيّ

د. محمود بن حمد الرواحي/ جامعة الشرقية
D. Mahmoud bin Hamad Al Rawahi/ Al-Sharqiyah University

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2024 – 02 – 06

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 – 05 – 28

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 – 05 – 30

الملخص

يعتمد خطاب الشعر على السياقات الثّقافيّة بتنوّع واسع للمقاصد والمفاهيم، وبمنطوقات تستجيب للموجّهات الثقافيّة المختلفة، ويتّخذ العمل الفنّي منها مادة اختلافه، وحين يتعلّق الأمر بالشّعر فهو لعبة أفكار في توزيع وتصوير، وضمن هذه السياقات مثّلت المرأة موجها موضوعيّا في خطاب الأفراد والجماعات الشعريّ، لمكانتها ودورها منذ ولادة فكرة الحبّ والأمومة، وقد مثّلت السّيدتان عائشة زوجة النبي محمّد عليه، وابنته فاطمة أنموذجين بارزين في تشكيل تمثّلات خطاب الشعر في مرجعيّة مذهبيّة؛ شكلت من قرب كل منهما من النبيّ، ومكانتهما وتضحيتهما، وقيمهما بمرجعيّة الخطابين السّني والشّيعيّ. وقد تشكلت هذه التمثلات من الكثير من جوانب حياة الشخصيّتين ومآثرهما الأخلاقيّة، ومكانتهما في نفوس المؤمنين، ودورهما في حياة النبي وأصحابه من بعده، فصّور الشعراء هذه الجوانب في الوصف والمدح والرثاء. نأمل أنْ تطرح الورقة أبرز هذه التّمثلات بالمنهج التحليليّ من خلال نماذج شعريّة. فما دور الأنساق الثقافيّة في تشكيل خطاب الشعر، وكيف تجلّت تحولات المرأة في الإسلام، وما أهم تمثلات السيدتين؛ عائشة وفاطمة في خطاب شعر المذهبين.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الموجهات، السني، الشيعي، التَّأويل، التّمثّلات.

Women and their representations in Sunni and Shiite discourses

Abstract

Poetic discourse depends on multi-purpose cultural contexts, and with words that respond to cultural trends, and when it comes to poetry, it is a game of ideas in distribution and depiction. Women have represented the objective guide in poetic discourse since the birth of the idea of love and motherhood. The two ladies, Aisha and Fatima, represented two prominent models in shaping representations of poetic discourse within the sectarian reference of their status, and their sacrifice based on the reference of the Sunni and Shiite discourses. These representations were formed from many aspects of the lives of the two characters, their moral deeds, their position in the hearts of believers, and their role in the lives of the Prophet and his companions after him. Poets depicted these aspects in descriptions, praise, and lamentations. We hope that the research will present the most prominent of these representations through the analytical approach through poetic models. What is the role of cultural patterns in shaping poetic discourse, how were women's transformations manifested in Islam, and what are the most important representations of the two women? Aisha and Fatima in the poetry of the two sects .

Key words: Discourse, directions, Sunni, Shiite, interpretation, representations

المقدّمة

ما يخلقه التّطوّر النفسيّ من مادّة الموقف الإنساني دافع إلى الاقتراب من الخلْق للنجاة من الاندثار الإنسانيّ؛ وهو ما تحاوله الدراسات النفسيّة في جوانبها المتعدّدة، ويحمل الخطاب الكثير من المؤشرات الثقافية في مختلف السياقات، ورسالة الخطاب هي دالّ على مُنشئ يعكس هذه السياقات التي ينتجها المحيط والتطور بكل صوره. والمرأة من الركائز التي لا يمكن تجاهل دورها في صناعة المواقف التي يدور حولها السياق الثقافي في المجتمعات البشريّة.

فاعلية خطاب الشعر بتحقّق شعريته المرتبطة بمساحة التّأويل، ولا يمكن أنْ يفتح فنٌّ أدبيّ آخر للقراءة مثل ما فعل الشّعر؛ لقيامه على جعل القراءة أكثر توتّرا، والمبدع يمثّل مركّبا من نزعات متعارضة. وإبداعه نتيجة حساسيّة الموقف تجاهها، ويكون التلقي ــ بخلاف أشكال الخطاب الأخرى ــ متعة كبيرة كذلك في اكتشاف هذه العلاقات، ومحمولات السياق الثقافي، هذا السياق الذي يصنعه المحيط بأبعاده ذات الموجهات الإنسانيّة والاجتماعيّة والدينية. وتمثل ثقافة المجتمعات الإسلامية بتعدد مذاهبها واحدا من النماذج الأكثر تأثيرا في صناعة الخطاب الشعريّ المؤسس على مكانة المرأة والموقف منها، ولهذا نجد في أنموذجي خطابي الشعر السُّني والشيعيّ الكثير من السياقات الثقافيّة التي ولدتْ منها منطلقات الخطاب الشعريّ. فكيف يقوم الشعر بهذا الاختلاف ؟، وما أهم المنطلقات التي تشكّلت منها تمثّلات المرأة في هذين الخطابين ؟، وإلى أي مدى يصل هذا التّأثير في تشكيل الخطاب الشعريّ ؟.

العلاقات البشريّة التي يختزلها الفنّ ترتبط بالمؤثّر ودوره في توجيه الخطاب الملفوظ، وحين يتعلّق الخطاب بما هو عميق ومتجذّر في الذّوات، باعتباره مصدرا ومكوّنا أساسيّا؛ فما سيتحقق العمل الفنّي به هو منطلقات توّظف الدلالة النسقيّة نتيجة المحيط الثقافيّ بكل اختزالاته في المذهبين السّني والشّيعيّ، إضافة إلى دور المقوّمات الفكريّة في المذهبين فيهما، وقد اخترع الشعر كثيرا من الموروثات النسقيّة التي أنتجها الفكر المذهبي وتطوّره بعد ظهور الإسلام وظهور هذه المدارس بأوجهها الفقهيّة والسّياسيّة، وغيرها ممّا يوجّه التّمثلات في الخطاب الشعريّ.

السّيدة عائشة مثلا ذات قيمة ترتبط بالنّبي ﷺ ذاته بعيدا عن الإطار التاريخيّ والاجتماعيّ المدنيّ؛ ومن هنا كانت مكانتها في تشكيل خطاب الشعر كما نجد ذلك في تجربة حسّان بن ثابت. هذا الارتباط يتجاوز العلاقة والاختيار إلى الاصطفاء في المذهب السّني؛ فهي همزة وصل ببيت النبوّة؛ والشّك في هذا شكّ في تصرّف النبي ﷺ من الجانب الذي يمسّ الإيمان به، ولذا فهي رمز الطّهر والنقاء، وقد انتقل هذا الموقف جيلا عن جيل حتى يومنا هذا. وعلى الرغم من تأثير كثير من النساء والرجال في محيط حياة النّبي ﷺ من جوانب مختلفة؛ نجد أنّ ما يصوّره الخطاب الشّعري ينطلق من كونها الأكثر ظهورا وتأثيرا، وهذه المكانة أجبرت الشاعر/ الرجل على أنْ يحترم ما استدعته مكانتها من النبي محمّد ﷺ؛ وإلّا فالأمكنة والمواقف استحوذ عليها الرجال؛ ولو لم يكن التشكيل من موقف المكانة والتقديس لكانت المرأة خارج إطار الاحتفاء الشّعريّ، مقابل ما كان يوظّفه الشعر في جانبه الآخر لدى كثير من الشعراء في خطاب الهجاء الذي ينطلق من تأثير المرأة باعتبارها أمّا أو زوجة سيّئة؛ شكّلت فحولة الرجل قبل الإسلام تجاوزاته في الذمّ والهجاء، والذي يرتبط بالجزء السّيء في الرجل، مع أنه لم يكن للحبّ معنى من غيره؛ فقيس جمال كلّ شيء بها، واكتسبت الأشياء المحسوسة شهرتها بتشبيه المرأة بها كجمال القمر وعيون المها.

فاطمة الزّهراء تمثّل الطهر وحبّ أهل البيت في خطاب الشعري الشّيعيّ، بل هي أيقونة الإصلاح التي تحرّك مشاعر المؤمنين المحبّين لبيت النّبي محمّد ﷺ، ولهذا الحب جذوره، ولهذا التقديس والتّمثّل تاريخه، والذي صنع مادّة شعريّة في شعراء خلّدوا هذه المكانة في تجاربهم حتى عصرنا الحالي؛ كما نجد ذلك لدى دعْبل الخُزاعيّ وغيره. وقد وظّف الخطاب النسب الذي يحقّق استمراريّة هذه المكانة حتّى يومنا هذا، ومهما كان الخلاف الفكريّ قائما بين السّنة والشيعة؛ لكنّ ذلك لا يمكن أن يغيّر مكانة شجرة النّسب هذه التي تمثّل الزهراء أحد جذورها وإنْ اختلف التوظيف الذي ينحو بالخطاب إلى غايات مختلفة، ولهذا كان كل فريق يبني خطابه الشّعريّ على أسس الموقف والولاء، فكان الفكر مادّة الخطابين السّني والشّيعيّ.

سنحاول أن نتتبّع بالمنهج التحليلي بعض التجارب الشعريّة؛ لتحديد بعض هذه المنطلقات التي شكّلت أهم تمثّلات المرأة في الخطابين السّني والشيعيّ، ولا تزعم هذه العُجالة من خلال هذه النماذج الوصول إلى الكثير من هذه المنطلقات؛ ولكن اختيار السيدتين؛ عائشة وفاطمة جاء من الفاعليّة الأيقونيّة التي تشير إلى كثير من التأثير الثقافي والبناء النّسق العام، للمكانة البارزة التي يمثّلانها في الفكرين.

أولا: الأنساق الثقافيّة وفاعليّة التوظيف الشعريّ

يستطيع هذا المنطلق أنْ يفتح لكثير من الأسئلة مسارات بحثيّة متعدّدة لا تنتهي، إذ ما يخلقه التّطوّر النفسيّ من مادّة الموقف الإنساني لا ينتهي إلا بانتهاء الإنسان، وأكثر ما تحتاجه البشريّة اليوم في تسارعها العلميّ والثّقافيّ هو الاقتراب من الخلْق الذي يحميها من التّصلب والموت الشعوريّ، ولهذا نجد الدّراسات النفسيّة تحاول مواكبة هذا التّسارع مع محافظتها على الأسس الإنسانيّة في جوانبها المتعدّدة.

ما يوظّفه الخطاب يكون موجّها لتحقيق رسالة؛ هي في الأصل دالّ ظاهر على معيّن مباشر، ويعتمد هذا الخطاب على السياقات الثّقافيّة في النّظام اللفظيّ الذي يشير إلى تنوّع واسع للمقاصد والمفاهيم، ومن خلال تفاعل أطرافه في النّسق الاجتماعيّ يتمّ اختيار منطوقاته استجابة للموجّهات الثقافيّة المختلفة(٥)، وهنا يكمن دور

المحيط الثّقافيّ والمؤثّرات والتّطور الثقافيّ الذي ينظّم هذه المؤثّرات؛ في أنْ تكون قادرة على توجيه الخطاب وتلقيه، أو أنْ تكون قاصرة؛ فيتراجع أو يضعف أمام خطاب أو اتّجاه آخر.

في اختلاف الشعر عن غيره ما يوجّه التّوظيف إلى خصوصيّة التّلقي، فمن ناحيتين يمكن أنْ نقول شيئا عن هذا الاختلاف، وبإيجاز شديد؛ فإنّ لغته تمتلك طاقة التّحوّل في تواصلها مع الكائنات(٢٥)، ومن ناحية ثانية فإنه يؤدّي إلى ما وراء الشّعريّة، وهو مجال آخر يتعلّق بمساحة التّأويل وما فتحته للدّراسات الحديثة من مجال للبحث والتّقصي، نجزم أنّه لا يمكن أنْ يفتح فنٌّ أدبيّ آخر للقراءة مثل ما فعل الشّعر، ولهذا فما وصله الشعر ــ على الأقل إلى اليوم ــ يجعل القراءة أكثر توتّرا من ذي قبل، فالشعريّة مرتبطة بإقلاق التّلقي ليكون أكثر حذرا في التعامل معها.

والمبدع مركّب من نزعات متعارضة؛ كونه كان بشريّا يمثّل حياته، ويمثّل عمليّة إبداعيّة، ومن عمله هذا نفهم فنّه، فهو بخلاف الآخرين لا يؤدّي وظيفة بصفة رسميّة، ويشترك مع غيره في جوانب لحاجة الفنّ لشحنة من الحياة الرّوحيّة الجمعيّة مقابل الحياة الشّخصيّة(١)، فالمادّة التي يشترك فيها مع الآخرين تتحوّل من خلال الفنّ إلى عمل إبداعيّ هو نتيجة حساسيّة الموقف تجاهها، فالعمل الفنّيّ مقياس هذا الاحتكاك والتعامل مع كل الموضوعات والمفردات المحيطة به، تلك التي لا يستطيع غيره فهم اشتباكاتها مع الذات، أو حتّى نوعيّة الموقف منها، والذوات الأخرى جزء أكبر من هذا المحيط، وفي ظلّ هذه العلاقات تصبح الموضوعات والمفردات أكثر حساسيّة وتغييرا للمواقف والاتّجاهات.

يختفي المبدع خلف الظاهر، ويتّخذ العمل الفنّي من الرّموز والصّور متنفّسا عن الرغبات، ويخلق منها علاقات بعيدة وغريبة، وهو ما يحقّق المتعة لدى الفنّان في إخراج عمله إلينا(١)، ويكون التلقي متعة كبيرة كذلك في اكتشاف هذه العلاقات، وملاحقة تركيب السّياق الفنّي المختلف، وحين يتعلّق الأمر بالشّعر فهو لعبة أفكار في توزيع يحقّق الفنّية بالاتّزان، ولهذا فخصوصيّة الخطاب الشّعري تأتي من جهتين؛ توظيف العلاقات الغريبة، وتوزيع الخطاب الدلاليّ، ونعني به الإيقاع المحقّق للمعنى، والعلاقة بين التلقي والتركيب الشّعري ــ كما أشرنا ــ فنّيّة مرتبطة بحبّ الخطاب واختلافه في تشكيل العلاقات بينه وبين القراءة، وكما يرى طودوروف كذلك فإنّ « العلاقة بين الشّعريّة والتّأويل هي بامتياز علاقة تكامل «(١٧)، حيث الشّعريّة والاختلاف في توجيه الخطاب، بمعنى آخر؛ الاختلاف الموازي للشعريّة يتحقّق بما يثيره من تأويل، ولهذا فالملفوظ في السّياق بؤرة دلاليّة يتقن الشّعر توجيهها في توازٍ صوتيّ دالّ.

الكلمات الحسيّة التي يستخدمها الشّاعر؛ لا يمثّل بها صورة المحسوسات، بل هي تصّور ذهني له دلالته وقيمته الشّعوريّة، ولا يمكن الوصول إلى الأداء الحسيّ بهذه الكلمات الحسيّة، وإنّما يوظّفها الشّاعر لإثارة الدّهشة فينا(١)، أو لأنه يختفي خلفها، ويعتمد كثيرا على إشعاعاتها الدلالية وكيميائيّتها النفسيّة، ولكن هذه البؤرات ليست كلها بنفس المستوى التّأثيري، فالعلاقات البشريّة التي يختزلها الفنّ ترتبط بالمؤثّر ودوره في توجيه الخطاب الملفوظ، والمرموز، « معظم مفردات اللغة هي كلمات معجميّة أو أسْماء ترجع إلى أشياء. لكن معظم هذه الأشياء أفاهيم مجرّدة، وليست موجودات محسوسة في العالم «(١٣)، وما يقوم به الخطاب الفنّي هو الخلق، والعمل على صنع علاقات مختلفة لم تكن موجودة من قبل، يصير موقع البؤرة الدلاليّة توجيها مختلفا عن طبيعة التواصل اللفظّي البشريّ، وحين يتعلّق الخطاب بما هو عميق ومتجذّر في الذّوات، باعتباره مصدرا ومكوّنا أساسيّا؛ فما سيتحقق العمل الفنّي به أكثر من كونه رمزا أو إشارة، وهو ما سنحاول أنْ نعرضه عن تمثّلات المرأة في الخطابين السّني والشّيعيّ.

ثانيا: تحوّلات مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي

من خلال العبارة يمكننا أن نصل إلى منطلقاتنا في هذه العجالة، وهي توظيف الدلالة النسقيّة التي طرحها الغذّامي في قراءته للأنساق الثقافيّة العربيّة، ومنها سنحاول دراسة بعض هذه التّمثلات في الخطاب الشّعريّ؛ كونه « المخزن الخطر للأنساق المُضمرة والأصل المستتر بالجماليّات عبر الأجيال وفي أنواع الخطاب»(١١) كما يرى، ويلزمنا تتبّع بعض المقوّمات الفكريّة في المذهبين ليكون الطرح في ميزان الخصوصيّة والاختلاف بين الخطابين، ونعني به ذلك التشكيل الفكري المرتبط بالموقف من المرأة، فقد اخترع الشعر كثيرا من الموروثات النسقيّة وغرسها ثقافيّا لتصير سمة المؤسّسة النخبويّة الثقافيّة والرّأسماليّة، والناتج الثقافيّ لقبولنا بالنموذج الشّعريّ هو شعريّة القيم، فتشرّبت المؤسسة الثقافيّة بهذه القيم وبرّرت تصرّفها من المدخل الجماليّ(١٠)، ولا نريد محاكمة الشّعر هنا، وإنْ كنّا لا نختلف كثيرا مع الغذّاميّ، إذ الحالة الجماليّة حالة كونيّة شاملة، وعلاقة الشعر بالعالم ــ بعيدا عن موقف أفلاطون من الشعراء ــ علاقة شائكة ترتبط بالحضارة في استقرارها واضطرابها.

علاقة الإنسان القديمة بالأرض لفتتْ انتباهه إلى مكانة المرأة؛ تلك الطَّوطَم المقدّس في القبيلة، فكان فيها سرُّ الخصوبة في الأرض، فكانت الأرض إلها ورمزا؛ لتكون الأمومة هي المعبود(٣)، لتتطوّر هذه العلاقة في الشعوب البدائيّة إلى ما يُسمّى بدور الأمومة؛ باعتبارها الأصل الأول، ولعب هذا الأمر دورا مهمّا في التعيين القبليّ لدى العرب، فساهمت هذه الطوطميّة في ولادة القبائل العربيّة(١٩)، هذا وإضافة إلى المكانة التي لا يمكن تجاهلها للمرأة كانت الطبيعة البشريّة في تعيين أشكال العلاقة بين المرأة والرجل تبرز مركزها ومكانتها اجتماعيّا وعاطفيّا؛ إذ تشكّل المحور التّام الذي يعيش به الرجل في هذا الجانب، ولا يُستثنَى من ذلك إلا القليلون؛ وأما الرّوحيّون من الصّوفيّة ومن يشبههم في العلاقة النظرة العذريّة والحبّ الإلهيّ فكانت مصدرا وموجّها أساسيّا لتجاربهم، فخرجت تجارب فنّية كانت المرأة فيها روحا معنوية حرّة.

أسهمت المرأة في التغيير بظهور الدين الإسلاميّ؛ كما كانت تسهم على امتداد التاريخ في التغيير بعيدا عن الإسهام النسويّ؛ بل باعتبارها عنصرا اجتماعيّا غير مشروط بالجنس، لكنها فقدت كثيرا من حُرّيتها التي كانت عليها قبل الإسلام، إذ تطوّر المجتمع العربيّ نحو الأبويّة الذّكوريّة في الدولة ذات الجوهر السّياسيّ، والتشريعيّ؛ فكانت قيود المرأة أشدَّ من قيود الرجل في ظلّ قيد حُريّة الأفراد، على الرغم من حصولها على حقوق مختلفة كانت مفقودة في حياتها(٨)، ومع هذا التطوّر كانت علاقة الرجل بالمرأة ونظرته تأخذ كذلك أبعادا أخرى تتعلّق بالطبيعة والاكتمال، فالرجل والمرأة قطبان لإنسان واحد، يتفاعلان في حقيقة واحدة لاستمراريّة الوجود المادّي على الأرض، وواقع هذه الظاهرة البيولوجيّة الحبّ أو التّجاذب المادّي، ويعني القيمة الحقيقة للأثر الشعوريّ في الفنّ، ويجد فيه الأخير انعكاسه وملموسه؛ في أي شكل من أشكاله، هذا هو التّداخل وبؤرة الصّراع الداخليّ في كائن واحد، حيث هو الإنسان بشكلين مختلفين.

تقول أنّا دانيال عن الحبّ في كتابها (المرأة الحبُّ): « فالمثل القديم الذي يقول عن الحبّ: إنّه هو الذي يحرّك العالم يكاد يكون صحيحا بالحرف الواحد، فإنّ إشباع الذّات لدينا هو يقينا المحرّك لكل ما نعْمل»(١٤)، ولهذا كان هذا الجانب هو مشكّل مواقف الإنسان من أوجه الحياة بمنظاره؛ إذ هو الدافع الأوّل للاستمراريّة؛ لأنّه الفرق بين الإنسان وبقيّة الكائنات التي تقودها الغرائز، فعلى الرغم من أهميّة الجنس باعتباره غريزة بقاء؛ لكنّ الدوافع النفسيّة الاجتماعيّة هي ما يسمو بنفسانيّته عن بيولوجيّته المرتبطة بجانبه الجنسيّ الضّروريّ.

من هنا كانت العلاقة بين الرّجل والمرأة في هذا الجانب النفسيّ شائكة بحضور الصّراع بين الحسيّ والمعنويّ، لكنّ المرأة باعتبارها المصدر العاطفيّ الأول وجّهت هذه العلاقة إلى مواقف مختلفة؛ تدخّلت فيها الثقافة السائدة والأنساق، كما أنّها امتزجت بمواقف ذات عمق إنسانيّ استجاب له الشعر لمكانته من الإنسان شعوريّا، هذه الثقافة ولدت في بيئة الفكر والمذهب الدينيّ؛ فكانت مطبوعة به؛ وبدورها أسهمت في تشكيل الخطاب الشّعريّ، والدلالة النسقيّة ــ كما يرى الغذّاميّ ــ « ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزّمن لتكون عنْصرا ثقافيّا أخذ بالتّشكّل التّدريجيّ إلى أنْ أصْبح عنصرا فاعلا، لكنّه وبسبب نشوئه التدريجيّ تمكّن من التّغلغل غير الملحوظ «(٩)، أو ربّما انشغل التلقي عنه بنواحٍ أخرى كالجماليّات المتعدّدة في النصوص الأدبيّة، أو الصّورة الشعريّة، ولا يمكن أنْ تتخلّص التجارب بأنواعها من النسقيّة، فلا يمكن بداية أنْ يخلو العمل من أيّ أفكار لأنه لا يولد من فراغ، ودلالة النّسق منغرسة في الخطاب ثقافيّا مستهلكة من قِبل جماهير اللغة(١١)؛ المتحدّثة بلغته.

ثالثا: تمثّلات المرأة في الخطابين السّني والشّيعيّ

كما أشرنا سابقا إلى دور الاختلاف بين المذهبين في تشكيل هذه التّمثلات، وما سيعنينا هنا هو تتبّع هذه التّمثلات التي أنتجها الفكر المذهبي وتطوّره بعد ظهور الإسلام وظهور هذه المدارس بأوجهها الفقهيّة والسّياسيّة، وغيرها ممّا يوجّه التّمثلات في الخطاب الشعريّ، فالتطوّرات السّياسية التي هيمنت بعد ظهور الاختلاف الفكري المذهبي، وتعدد المواقف التي تبنّتها الفرق المختلفة؛ وجهت الحكم إلى توظيف الصراع في خدمة الفكر المذهبيّ؛ كما هو الحال في الدولة العبّاسيّة.

ـ تمثّلات السّيدة عائشة أم المؤمنين :

يقول حسّان بن ثابت (ت٣٦هـ) في السّيدة عائشة (٥٨هـ)؛ من (البحر الطّويل) :

حَصانٌ رَزانٌ مَا تَزنّ بريبَةٍ وتُصْبِح غرْثى من لُحومِ الغوافِل
حليلَة خير النّاس دينًا ومنْصِبًا نبيَّ الهُدى والمكْرُمات الفَواضِل
عقيلَة حيّ من لُؤيّ بن غَالِب كِرام المسَاعي مجْدها غير زائل
مُهذّبة قدْ طيّب الله خِيمَها وطهّرها من كُلّ سُوءٍ وبَاطِل(٢٢)

إنّ القيمة التي تحملها السّيدة عائشة لا ترتبط بإطار تاريخيّ يحاول البعض توظيفه في دراسة العلاقات الاجتماعيّة والدينيّة في فترة النبيّ محمّد ﷺ وما بعده؛ من خلال الدور الفاعل الذي نقلته الأخبار والرّوايات والسّير؛ إنها قيمة ترتبط بالنبي ذاته، فقد أولاها عنايته الفائقة؛ فاستفادت من تواصلها المباشر معه، وكان لها مكانة في بيته؛ مما جعلها مُبلّغة مباشرة لعلمه وناقلة لمعرفته(١٢)، وهذا الارتباط الذي يتجاوز العلاقة والاختيار إلى الاصطفاء الذي يؤمن به أهل السّنة بأنه توجيه من الله دائما للنبي محمّد؛ كما هو في غيره من أعماله ومواقفه، وقد أورد شلبي هذا الاختيار بأنه هديّة محبّة الله للنبيّ(١٦)، ولا يمكن عندهم أنْ يفعل عن هوى.

تمثّل السيدة عائشة في أبيات حسّان همزة وصل ببيت النبوّة؛ والشّك في هذا شكّ في تصرّف النبي ﷺ من الجانب الذي يمسّ الإيمان به، ولذا فهي رمز الطّهر والنقاء، فيردّ الشّاعر على من يمسّ هذا القُدُس المثل للأخريات، وفي الخطاب الذي يعيّن جملة الصّفات تمثّل المرأة القريبة من النبي ﷺ هنا الرباط الذي يوصله بأصحابه؛ إنها مبلّغة العلم وشاهدة الاختيار، ومن حبّ حسّان للنبيّ المرتبط بالإيمان كانت هذه المكانة؛ ويقول حسّان في ذلك (من الوافِر) :

وجبْريلٌ رسولُ الله فينَا وروحُ القُدْس ليسَ لهُ كِفَاء
وقَال الله قدْ أرسلتُ عبْدا يقولُ الحقَّ إنْ نَفعَ البلاءُ
شهدْتُ بِهِ فقوموا صدّقوه فقلتُم لا نقولُ ولا نشَاءُ(٢٢)

فكيف يمكن أنْ تكون في غير هذا المقام؛ فالشعر لم يأت بهذا التّمثل إلا خلاصة فكر ناشئ من عقيدة وإيمان بلورا هذا الحب، وقد انتقل هذا الموقف عبر الأجيال؛ لنجد أصوات تدافع بهذا الإجلال، وبما تمثّله السيدة عائشة للنساء في الخطاب السّنيّ، من مكانة عظيمة؛ وقد هزّت حادثة الإفك قلوب الشعراء ليدافعوا عن رمز الطهر

سيّدتهم عائشة، زوجة النبي محمّد ﷺ، ومن هؤلاء السّيد عبدالحميد الخطيب (ت١٣٨١هـ).

قال من (بحر الكامل):

أعْني بِها محْبوبَة المخْتَار]عا ئشة التي [امتازتْ بخير صِفَات

(...)

وغَدتْ بِحقِ أعْلم الزّوجاتِ بلْ هيَ مرْجع الفُتيا وخيرُ رُواةِ

وهيَ التي بالإفْكِ قَد رُميتْ فبرّها الإلَهُ بمُحْكَم الآيَات(٤)

كيف يمكن أنْ لا تكون عائشة المرأة الأولى على الرغم من النساء اللواتي سبقنها في حياة النبي محمّد ﷺ؛ وكلّ هذا الخطاب الذي أنتجه الموقف والارتباط بسيرة المختار، وهذه المكانة أجبرت الشاعر/الرجل على أنْ يحترم ما استدعته مكانتها من النبي محمّد ﷺ؛ وإلا فالأمكنة والمواقف استحوذ عليها الرجال؛ ولو لم يكن التشكيل من موقف المكانة والتقديس لكانت المرأة خارج إطار الاحتفاء الشّعريّ، ويشير الغذّامي إلى هذه القضية بالتفصيل في كتابه (المرأة واللغة)، وجاء في مقدّمته: « تكشف المرأة عن أن عدوّها الحقيقيّ هو الثقافة، وعن أن الثقافات العالميّة قدْ تمادتْ في تهميش المرأة. وترى المرأة أنّ الدين قد أنْصفها وأعطاها حقّها»(١٠)، ونحن على إثر هذا نتساءل؛ هل كان على المرأة أنْ تنتظر قوّة خارج الاعتراف البشريّ لتكون شكلا آخر للبشريّة كما هي في حقيقتها.

نعم ترى المرأة في الإسلام منصفا؛ لكننا نعتدّ بما تحقّق في أرض الواقع مقابل ما يجب أنْ تعيشه المرأة باعتبارها الوجه الآخر للبشريّ بكل مشاعره ومواقفه، وماذا سننتظر من خطاب الشعر أكثر من حاجته إلى التوجيه العقديّ لينظر الشعراء فيه إلى مكانة المرأة، وبهذا المنظار كذلك كانت المرأة تمثّل الشرّ والفتنة، بل هي أصل خبث الرجل وسوء خلقه، وإذا ما هجا الشاعر أصاب أمّ المهجوّ، كما نجد في هجاء الأخطل (ت٩٢هـ)؛ من (البسيط) :

بِمعْرضٍ أو معْبدٍ أو بني الخَطَفى ترْجو، جريرُ مُساماتي وأخْطَاري

قَومٌ إذَا اسْتَنبحَ الأضْيَاف كلبُهم قَالوا لأُمّهم: بُولي علَى النّارِ

فَتُمسِكُ البَولَ بُخلا أنْ تجود بهِ وما تبُول لَهُم إلاّ بمقْدار(٢٣)

وعنْدما نحاول أنْ نعتمد على الخلُق البشريّ الذي يبقى الجزء الأهم في احترام المرأة في أي منزلة تكون؛ فإننا ندرك أنّ ما يشير إليه الغذّامي يرتبط بالجزء السّيء في الرجل، « فالموقف من التأنيث ــ كما يرى ــ هو الكاشف عن الموقف الفحوليّ من الآخَر والمهمّش، مع ما تمنحه الذّات كمذكّر لنفسها من سُلطان على الأشياء والعالم والآخر (الأخْرى)»(١٠) ، وأين ستكون المرأة أمام هذا السّلطان المستحوذ على الطبيعة البشريّة، وتقرير العادات، وتحديد مصير غيره من الكائنات، وعلى رأسها وجه البشريّة الآخر؛ والذي يأتي في الأصل وجهها الأول؛ باعتبار الأم التي تضحّي لولادة هذا الذكريّ المتسلّط على جنسه البيلوجيّ، ومهد خلقه ونشأته.

لماذا لم يتجاوز الأخطل فكرة الأم إلى فكرة الإنسان الآخر الذي يقرّر اختيار ما يحقّق له صفاته، لقد وجد ثقافة سائدة وأعرافا لم يستطع الدين ــ إنْ كان كما تراه المرأة ــ تخليصها من هذا التّسلط، من الجانب البشريّ، فضلا عن الأخلاقيّ الذي يعني احترام الأمّ؛ باعتبار أنّ للشاعر أما حرص الدين على تشكيل منظومات احترامها الإنسانيّ.

قال حسّان بن ثابت هاجيا؛ من (الكامل) :

مَنْ مُبْلِغٌ صَفْوان أنّ عجوزَه أمَةٌ لجارِهِ معْمرَ بن حبيب

أمَةٌ يُقالُ من البراجِم أصْلُها نَسَبٌ من الأنْسَاب غيرُ قريب

سائِلْ بحنْبَلَ إنْ أردْتَ بيَانها مَاذا أرَاد بخرْبِها المثْقُوب(٢٢)

مثّلت المرأة هنا الفشل الذريع الذي خرج منه موقف صفوان العدائيّ، وإنْ اشتركت أمه في الموقف؛ فستبقى آخر لا يشترك فكرا مع صفوان، لكنّ الاسْتعانة بمحدّدات المجتمع الذي كان في بداية عهده بالإسلام تسهم في تشكيل صورة المرأة الشريرة التي تنتج أمثال صفوان في مواقفهم، ويكفي أنْ نرجع إلى الثقافة المتأصّلة والمتجذرة في الوجدان وفي العقل الذّكوريّ، بل وتجدّد نفسه(١٠)، ويمكن الرجوع على سبيل المثال إلى كتاب (العرب والمرأة) لخليل كريم؛ للوقوف على التّراث المعجميّ حول النظرة الغليظة، والتي تُرى بها المرأة وتوصف(٢١)، لنصل إلى الثقافة المتوارثة والمؤثّرة في رؤية المرأة تهمة سلوك الرجل السلبيّ.

هل أنصف الخطاب المرأة حين مثّلت الحبيبة والمعشوقة الأثيرة، بل إنه لم يكن للحبّ معنى من غيره؛ فقيس جمال كلّ شيء بها، واكتسبت الأشياء المحسوسة شهرتها بتشبيه المرأة بها؛ فمن أين عرفنا بجمال القمر قديما، ومن أين رأينا اتّساع عيون المها، « وما زالت المرأة ملهمة للأدباء الشعراء وقد شغلت حيّزا وافرا من وجدان الإنسان العربيّ، حيث كانت المرأة منذ العصر الجاهليّ حتّى نزار قبّاني هي ثلاثيّة: الأنوثة والجسد والهويّة «(٢٦)، وقد مثّلت المرأة في الخطاب العاطفيّ هذا خير تمثيل.

يقول كُثيّر عَزَّة (ت١٠٥هـ)؛ من (البحر الطويل):

فَلا يحْسبُ الوَاشونَ أنّ صَبَابتي بِعزّة كانتْ غمْرةً فتَجلّت

فأصْبحتُ قدْ أبْللتُ من دَنَفٍ بها كمَا أُدْنِفت هيْفَاءُ ثمّ اسْتبلّت

فوالله ثمّ اللهِ لا حلّ بعْدها ولا قبْلها من خُلَّةٍ حيثُ حلّت

ومَا مرَّ من يومٍ عليَّ كيومِها وإنْ عَظُمتْ أيّامُ أخْرى وجلّت

وحلّتْ بأعْلى شَاهِقٍ من فؤادِه فلا القلبُ يسْلاها ولا النّفْس ملّت(١٨)

لم يكُن الغزلُ العُذريّ ترفا لكنّه كان ردّة فعل قسوة التّرف على النّفس، وكان انعكاس احترام الحبيبة، ولقد كان لهذه الظاهرة إرْهاصات سبقت ازدهارها في العصر

الأمويّ(٢٤)، وقد مثّلت المرأة فيها البشريّ الملائكيّ المقدّس في نظر عاشقها المُتيّم، وقد صحب الحرمان هذه الظاهرة؛ ممّا زاد من هذا التّمثّل، فعزّة بقيت في مكانتها بقلب كثيّر، لتمثّل النقيّ (لا حلّ بعْدها ولا قبْلها من خُلَّةٍ حيثُ حلَّت)، ولهذا كان لهذا الشعر أنْ يسهم في ولادة التّصوّف؛ لما يحمله من جانب روحيّ ووفاء للمعشوق.

تمثّلات السّيدة فاطمة الزّهراء:

في جانب الخطاب الشّيعيّ نجد أن فاطمة الزّهراء(ت١١هـ) تمثّل القداسة التي تشكل حبّ أهل البيت، ونظر مفكّرو الإسلام إليها قدوة المجتمع نساءً ورجالا، وبقيت فاطمة أيقونة الإصلاح التي تحرّك مشاعر المؤمنين المحبّين لبيت النّبي محمّد ﷺ؛ وإنْ كانت المشاعر لدى الشّيعة تؤجّج بأثر ذكرى الآلام؛ لكن لهذا الحبّ جذوره، ولهذا التقديس والتّمثّل تاريخه، ففاطمة الزهراء « أخذت مكانها الرفيع بين أعلام النساء وفي التّاريخ، لأنها بنْت نبيّ، وزوجة إمام، وأم شهداء ...فهي أصل قوى من أصل الدعوة التي نبتت في مجرى الزمن أجيالا طوالا ولم تزل لها آثارها في عصرنا هذا، وفيما يلي من العصور «(٧)، ومن هنا كانت المكانة التي جعلت عائشة أيقونة المثل الأعلى في الخطاب السّني؛ جعلت فاطمة كذلك في الآخر الشّيعيّ، يقول شريعتي في الدعوة إلى فاطمة القدوة:

«إذا القضيّة الأساسيّة تتلخّص في كيفيّة الفهم، فالشيعة الذين يتمسّكون بأهل البيت عليهم السّلام بقوّة وصراحة ووضوح؛ يعتبرونهم مظهرا للقيم النّبيلة السّامية، على اعتبار أنّ مُثُلهم وقيمُهم لا تختصّ بقوم دون غيرهم»(١٥)، فالعلاقة التي يراها شريعتي بين فاطمة ومحبّوها يجب أنْ تكون فاعلة في شموليّة التّأثير، ومفكّر مثل شريعتي يدرك تمام الوسطيّة بين الحب العميق والمصلحة الإنسانيّة، ولكن من جانب آخر يخصّ ما نحن بصدده؛ نجد امتداد هذه المكانة لتشمل المعاني السامية والقيم المتعلّقة بالمجتمع.

وفي دعوته للفهم يقول:

«أمّا عن كيفيّة الفهم، وكيفيّة استقاء العبَر والدروس من سيرة حياة فاطمة مثلا، ومن أسلوب حياتها، ومن دورها الاجتماعيّ والفكريّ والدّينيّ؛ فهذه قضيّة ذات أهميّة، حيث يجب أنْ تنصبّ جميع جهود المثقّف الملتزم في هذا المجتمع على الفهم الصّحيح للثّقافة الشّيعيّة وللمذهب الشّيعيّ وعلى الوعي النّاضج لتاريخ الإسلام ودين الإسلام، لأنّ الفهم الصحيح مفتاح تجارتنا جميعا. ومن جملة ما ينبغي فهمه على نحو صحيح هو فاطمة عليها السّلام»(١٥).

يرسم شريعتي في خطابه للمثقّف الذي يراه ملتزما خطوط الفهم الصحيح للدعوة التي يتمثّلها الفكر الشيعي من خلال سيرة فاطمة ودورها، ويرى كما يظهر من كلامه خطورة الفهم الخاطئ الذي يؤدّي إلى الإساءة إلى المنهج الفاطميّ الصحيح الناضج في تاريخ الإسلام، لكننا سنعود إلى ما مثّلته فاطمة ونماذج أخرى في جانب آخر في الخطاب الشّيعي القديم شعرا.

قال دعبل الخُزاعيّ (ت٢٢٠ه) من (البحر الطويل):

وإنْ فخروا يَومًا أتَوا بمحمّد وجبْريلَ والفرقَان ذي السُّورات

وعَدّوا عليّا ذا المناقِبِ والعُلا وفاطِمةُ الزّهراء خيَر بنَات

وحمْزة والعَبّاس ذَا الهَدي والتُّقى وجعْفَرا الطّيَّار في الحَجَبَات(٢)

تمثّل الزّهراء القدوة التي يرسمها الشّاعر ثمرَة أسرة لا يمكن نكران فضلها ومكانتها بأي حال من الأحوال، وكما أشار العقّاد سابقا في كلامه بأن الزهراء أصل قوى من أصل، ولهذا كان الخطاب يوظّف النسب الذي يحقّق استمراريّة هذه المكانة حتّى يومنا هذا، ومهما كان الخلاف الفكريّ قائما بين السّنة والشيعة؛ لكنّ ذلك لا يمكن أن يغيّر مكانة شجرة النّسب هذه لدى الفريقين، وما يبقي هذا التمثّل اليوم هو ما يستند عليه الخطاب من ركائز عقديّة، وحبّ الفريقين لبيت النّبي ﷺ؛ وإنْ اختلف التوظيف الذي ينحو بالخطاب إلى غايات مختلفة، ويرى الغذّامي أننا نعيش في كثير من الأحيان ــ تواطئا مع الشعر ــ وهمًا بأن الشعر لا صلة له بسائر الخطابات والسّلوكيات، باعتباره مجازيا بعيدا عن الواقع والمنطق، وأكّدت وما زالت النظريّة الأدبيّة والجانب النقدي منها يؤكّدان ذلك(١١)، لكنّ الفكرة الثّقافية تشكل المحيط الذي يولد فيه الخطاب الموجّه بالذات، ولهذا كان كل فريق يبني خطابه الشّعريّ على أسس الموقف والولاء، فكان الفكر مادّة الخطابين السّني والشّيعيّ.

تمثّل فاطمة الزهراء في نصّ آخر للخزاعيّ مأساة نكبة المسلمين في الحسين، فيحيط المشهد الحزين بلون التلاشي والحزن الذي لم يتوقّف حتّى يومنا، وإنْ تطوّرت القضيّة وفتحت لها مسالك للبحث؛ لكنّ النكبة تولد بشكل مستمرّ، إذ يسهم الخطاب في إذكاء وجع الحُسينيّات الشّيعيّة:

قال من (البحر الطويل):

أ(فاطِمُ) لَو خِلتِ الحُسينَ مُجنْدَلا وقَدْ مَاتَ عطْشَانا بِشطِّ فُراتِ

إذَنْ للطَمْتِ الخدّ (فَاطِم) عنْدَه وأجْريتِ دمْع العَينِ في الوجنَات

أ(فَاطِم)قومييابنَةَالخيرَواندبيِنُجومسَماواتٍبأرْضِفَلات(٢)

يقيم الخزاعيّ مشهده على المأساة التي يجعل من الزهراء بؤرة الحزن العميق فيها؛ وأيّ قلب لا يتفطّر لهذا المشهد الذي تتقدّمه أيقونة الحزن على الحسين، والتي تجمع بين مكانتها في بيت النبيّ ﷺ وقربها من الشّهيد، « وقتل الحسين .. وذهب الأمل في دولته ودولة الطالبيين من بعْده إلى أجل بعيد، ولكنّه كان يُشْتم بالكلمة العوراء فيهون على الرجل من أصحاب الأريحيّة أنْ يموت ولا يصبرُ على سماع تلك الكلمة أو يترك الجواب عليها «(٦)، ولكنّ صوت النّدب بفاطمة الزهراء استمرّ، فهي تمثّل إلى جانب المأساة الحقيقة وأم الشهداء حتّى اليوم.

يقول اليعقوبيّ (ت١٣٨٥) من شعراء القرن الرابع عشر الهجريّ في رثاء الزهراء؛ من (بحر المتقارب):

إلامَ لـواؤكَ لا يُـنشَـرُ وحـتّى م سيفُك لا يُشْهرُ

فكمْ أكْبدٍ لـك مـن شوْقِـها تَـحِـنُ وكـم أعْيـنٍ تـسْهرُ
أتـغْضي وأسْـيافُ أعدائكـم إلـى اليَـومِ مـن دمكِـم تقْطِـرُ
أتنـسى القتـيلَ بـمحْـرابهِ لـهُ الـرّوح يبْكـي ويسْـتعْبِرُ

إلى أن يقول:

تُخانُ وديعَة طَـه الأمين لَـديْـهم وذمّتـه تُـحْـفَـرُ
ويمْنعُها القومُ حتّى البُكاء عليـهِ وعـنْ إرْثه تُنهَرُ(٢٠)

فهـل سـيفرغ الخطـاب الـذي يجعـل مـن الزهـراء قضيّـة عالميّـة، حمّلهـا بـكاء التاريـخ وظلـم الطغـاة، بـل تحوّلـت إضافـة إلـى مكانتهـا عنـد محبّوهـا إيمانـا وعقيـدة إلـى أيقونـة كفـاح، واسـتنهاض ضـد الظلـم والوقـوف مـن أجـل الحريّـة.

حاولنـا أن نعـرضَ بعـض تمثّـلات المـرأة فـي الخطابين السّـني والشّـيعي مـن خـلال أنموذجيـن يرتبطـان بفكـر المذهبيـن، وهمـا السـيدة عائشـة وفاطمـة الزهـراء، وتبـدو الكثيـر مـن التّمثـلات متشـابهة ومتداخلـة مـن حيث التوظيـف الـذي اسـتغلّ المكانـة التاريخيّـة والدينيّـة، وبقـي بعـض الملامـح التـي تعـود إلـى القضايـا الرئيسـيّة التـي تعـود إليهـا بعـض أوجـه التمثيـل، وهـذا الـدور يلعبـه الوعـي الـذي يتطـوّر تاريخيّـا عبـر الأفـراد المسـاهمين فيـه، وتلعـب المـرأة باعتبارهـا وجهـا بشـريا فاعـلا دورا كبيـرا فـي تأسـيس وتوجيـه هـذا الخطـاب فـي منافسـتها لمكانـة الرجـل ثقافيّـا ومدنيّـا.

الخاتمة

الشـعر كغيـره مـن الخطابـات يتشـكّل فـي موضوعاتـه بتأثيـر المحيـط والتّنـور الثقافـيّ، ونظـام رسـالته اللفظيّـة تحمـل مؤشّـرات السـياقات الثقافيّـة فـي النّظـام اللفظـيّ بتنـوّع المقاصـد فـي النّسـق الاجتماعـيّ؛ لكنـه يختلـف عـن غيـره مـن أشـكال الخطـاب بخاصيّـة فنيّـة تولـد مـن التشـكيل والتلقـي؛ فـلا يمكـن أنْ يفتـح فـنٌّ أدبـيّ آخـر للقـراءة مثـل مـا فعـل الشّـعر؛ فالمـادّة التـي يشـترك فيهـا الشـاعر مـع الآخريـن تتحـوّل مـن خـلال الفـنّ إلـى عمـل إبداعـيّ هـو نتيجـة حساسـيّة الموقـف تجاهها، يجعـل الموضوعـات المتولّـدة مـن المواقـف أكثـر حساسـيّة. يعتمـد الشـعر فـي بنـاء خطابـه علـى المـادة المشـتركة بيـن النـاس الناتجـة مـن تأثيـر الإيمـان والاتجاهـات والمواقـف بصنـع علاقـات مختلفـة ممـا هـو عميـق ومتجـذّر فـي الـذّوات، مرتبطـا بالمكانـة والقداسـة والإيمـان.

شـكلت المـرأة جـزءا كبيـرا مـن بنـاء خطـاب الشـعر جـاوز الجوانـب العاطفيّـة التـي رسـمت علاقتهـا بالرجـل إلـى صـور تعـود إلـى علاقـة الإنسـان بـالأرض والخلْـق، وأخـرى ارتبطـت بالمكانـة والإيمـان والقداسـة والشّـرف، انطلـق الشـعر مـن مواقـف مختلفـة انتقلـت عبـره إلـى الأجيـال؛ لا يـزال تأثيرهـا جليّـا علـى واقعنـا اليـوم. وتمثّـلات المـرأة فـي الخطابيـن السّـني والشّـيعيّ ــ باعتبارهمـا اتجاهيـن مؤثّريـن ــ تشـكل جانبـا مهمـا مـن التجـاور والتداخـل يعيـد إلـى صـورة مشـرقة وظفهـا الخطابـان فـي التقائهمـا عنـد الأصـل وافتراقهمـا فـي بنـاء صـورة الموقـف، أسسـت بهـا المؤسسـة الثقافيّـة دعائـم خطابهـا، شـكلت فيهـا المـرأة قيمـة جماليـة وأيقونـة فنيّـة مقدسـة ومصـدرا روحيـا وصوفيـا، أبـرزت الكثيـر مـن أشـكال الإبـداع الشـعريّ.

ومـع التطـور الفكـري والاجتماعـي بظهـور الإسـلام ولـدت فـي اتجاهـات اختـلاف المواقـف مـن الأثـر الدينـي أبعـاد أخـرى شـكلت مـن مكانـة المـرأة صـورا أخـرى فـي الخطـاب الشـعريّ، عبّـرت عـن إسـهاماتها فـي مراحـل التغييـر المرتبـط بمكانتهـا فـي سـلّم البيـت النبـويّ. عبّـر الشـعر عـن هـذا التطـور بإبـراز كثيـر مـن تمثّـلات المـرأة فيهـا؛ أنتجها الفكـر المذهبـي ومدارسـه بأوجههـا الفقهيّـة والسّياسـيّة. كانـت السـيدة عائشـة زوج النبـي ﷺ وفاطمـة الزّهـراء أيقونتـي القداسـة والحـب النبـويّ المرتبـط بالإيمـان، وظّـف الشـعر مـا يرتبـط بمكانتهمـا فـي رسـم صـورة خطابـه؛ موجهـا التلقـي إلـى معانـي النقـاء والاصطفـاء والـدور الكبيـر فـي بنـاء المجتمـع وإصلاحـه باعتبارهمـا قـدوة الإيمـان والعطـاء والتضحيـة للرجـال والنسـاء، وقـد سـاهمت الخلفيـات المذهبيّـة فـي رسـم خصوصيّـة فنيّـة خطـاب الشـعر بمـا دفعـت بـه التجـارب الشـعريّة إلـى تكويـن مـادة الصـورة الشـعريّة.

خرجت هذه العجالة بمجموعة من النتائج هي:

- كل خطـاب يتـم توجيهـه بالسـياقات الثقافيـة والاجتماعيّـة؛ لأنـه يشـكل مادتـه مـن التأثّـر بهـا، والشـعر واحـد مـن هـذه الخطابـات وإنْ اختلـف بفنّيتـه وتشـكيلاته وخصوصيّـة تلقيـه.
- الشـاعر يوظـف الاختفـاء خلـف المباشـر لصنـع رمـوز وصـور فنيّـة هـي عبـارة عـن تصّـور ذهنـيّ لـه دلالتـه وقيمتـه الشّـعوريّة.
- الدلالـة النسـقيّة تولـد مـن المـوروث والأثـر الفكـري الناتـج مـن المواقـف والمؤثّـرات الدينيّـة والمذهبيّـة؛ وكل اتّجـاه مهمـا كان نوعـه لـه أطـره الخاصّـة فـي مـادة بنائـه وشـكل خطابـه.
- مكانـة المـرأة تعـود إلـى علاقـات الإنسـان بمـا يـدور حـول أصلـه ومواقفـه ومقدّسـاته، فهـي المقدّسـة وسـر الخصوبـة والاسـتمرار والحـب والجـزء العاطفـيّ الأهـم.
- أسـهم الشـعر بتطـور مكانـة المـرأة فـي الإسـلام ومـا تبعـه مـن تشـعّب مذاهبـه فـي توظيـف رمزيّـة هـذه المكانـة المتعلقـة بالإيمـان وحـب النبـي ﷺ وأهـل بيتـه؛ فكانـت المـرأة أيقونـة الطهـر والإصـلاح وقـدوة النسـاء والرجـال. شـكلت منطلقـات المـدح والثنـاء والرثـاء والتوجيـه إلـى الإصـلاح.
- وظـف الشـعر الموقـف مـن مكانـة المـرأة فـي خطابـه المختلـف كلَّ مـا مـن شـأنه أنْ يمـسّ الـذات الإنسـانيّة؛ فكانـت المـرأة الحـب والشـرف والطهـر والقداسـة، كمـا كانـت فـي خطـاب الهجـاء والـذمّ منطلقـا للحـض مـن شـأن الفـرد والعائلـة والقبيلـة.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

١ـ إسماعيل، عزالدين (١٩٨٤)، التّفسير النفسي للأدب، (ط٤) مكتبة غريب، القاهرة، مصر.

٢ـ الأشتر، عبدالكريم (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، شعر دعْبل الخُزاعيّ، (ط٢) مجمّع اللغة العربيّة، دمشق، سوريا.

٣ـ البطل، علي (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، الصورة الشعريّة في الشعر العربي حتّى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطوّرها)، (ط٢) دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤ـ الخطيب، السّيد عبدالحميد (١٣٦٢هـ)، سيرة سيّد ولد آدم (محمّد صل الله عليه وسلّم)، المطبعة السّلفيّة، القاهِرة، مصْر.

٥. العبد، محمد (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، العبارة والإشارة (دراسة في نظريّة الاتّصال)، (ط٢) مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.

٦. العقّاد، عبّاس محمود (١٩٩٣م)، أبو الشهداء الحسين بن علي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٧. العقّاد، عبّاس محمود (٢٠٠٦م)، فاطمة الزهراء والفاطميّون، (ط٥)، نهضة مصْر للطّباعة والنشْر والتّوزيع، القاهرة، مصْر.

٨. العلويّ، هادي (١٩٩٦م)، فصول عن المرأة، (ط١) دار الكنوز الأدبيّة، بيروت، لبنان.

٩. الغذّامي، عبدالله محمّد (١٩٩٨م)، ثقافة الوهم (مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، (ط١)، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب.

١٠. الغذّامي، عبدالله (٢٠٠٦م)، المرأة واللغة، (ط٣) المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب.

١١. الغذّامي، عبدالله (٢٠٠٥م)، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة)، (ط٢) المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت، لبنان.

١٢. النّدويّ، سليمان (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، تعريب وتحقيق: محمّد رحْمة الله حافِظ النّدويّ، (ط١) دار القلم، دمشْق، سوريا.

١٣. تشاندلِر، دانيال (٢٠٠٨)، أسس السيميائيّة، ترجمة: طلال وهْبة، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، لبنان.

١٤. دانيال، أنّا (١٩٨٠)، المرأة الحبّ، ترجمة: كلير فَهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر.

١٥. شريعتي، علي (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، مسؤولية المرأة، ترجمة: خليل الهنْداويّ، (ط٢) دار الأمير للثّقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

١٦. شلبي، محمود (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، حياة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، ط(١) دار الجيل، بيروت، لبنان.

١٧. طودوروف، تزفيطان (١٩٩٥)، الشّعريّة، ترجمة: شُكري المبخوت، ورجاء سلامة، (ط٢) دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، المغْرب.

١٨. عبّاس، إحسان (١٣٩٠هـ/١٩٧١م)، ديوان كثيّر عزّة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

١٩. علي، جواد (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٢) دار الساقي، بيروت، لبنان.

٢٠. قسم الدراسات الإسلاميّة (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، فاطمة الزهراء عليها السلام في ديوان الشعر العربيّ، (ط١) مؤسّسة الزهراء، مؤسسة البعثة، بيروت، لبنان.

٢١. كريم، خليل (١٩٩٨م)، العرب والمرأة، (ط١) مؤسّسة الانتشار العربيّ، بيروت، لبنان/ سينا للنشر، القاهرة، مصر.

٢٢. مُهنا، عبدأ علي (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ديوان حسّان بن ثابت، (ط٢) دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

٢٣. ناصر الدّين، مهْدي محمّد (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، شرح ديوان الأخطَل، (ط٢) دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

الدراسات:

٢٤ـ الرّبيعيّ، كريم قاسم جابر (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، الغزل العذري حتّى نهاية العصر الأمويّ؛ أصوله وبواعثه وبنيته الفنّيّة(رسالة ماجستير)، جامعة البصرة، العراق.

٢٥ـ ملّوك، رابح (٢٠٠٧ـ٢٠٠٨م)، قصيدة النثر وإبْدالاتها الفنّيّة(رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر، الجزائر.

المصادر الإلكترونيّة:

٢٦ـ إدريس، عبدالنور(٢٠٠٥م)، « المرأة المثال في وجدان الشعر العربيّ «، (العدد١٣٩٥) الحوار المتمدّن.

الترقيم الدولي:
0832-2523